تأملات روحية وتربوية
في سورة القدر

تأمُّلاتٌ روحيةٌ وتربويةٌ

في سورةِ القَدْرِ

تأليف

يوسف حلو خضر الناجي الموسوي

إمام وخطيب حسينية الإمام الحسين عليه السلام

الإهداء...........

إلى أولياءِ نعمتي: النبيِّ محمّدٍ ﷺ

وعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ

والتسعةِ المعصومينَ من ذرّيّة الحسينِ عليهم السلام

وكلِّ مَن ساهمَ في إِخراجي من حَيّزِ البَهيميَّةِ

إلى الإنسانيّة... أُهدي كتابي هذا.

المقـدمة

المقدّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على محمّدٍ وآله...

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التّوبة: ١٠٥].

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (المؤمن إذا مات وترك ورقةً واحدةً عليها علمٌ تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرفٍ مكتوبٍ عليها مدينةً أوسع من الدنيا سبع مرات...)(١).

بدافع الآية والرواية وما يسانخهما من الآيات والراويات، ولكوني أمارس مهمة الخطابة والتبليغ في حسينية الإمام الحسين عليه السلام على مدار السنة وخاصةً أيام شهري محرم ورمضان الكريم بدأت بتدوين محاضراتي التي ألقيها، ولاسيما في شهر رمضان المبارك لكون أغلبها تتعلق بالتربية والأخلاق، والأمم بأخلاقها، فإن ذهبت ذهبوا، وثمرة العقيدة والفروع هي الأخلاق.

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١/ ص ١٩٨).

والمغريات، والعولمة الغربية اللادينية تعمل على تجريد الدين من هذه الثمرة فكان لزاماً أن نقدّم المحاضرات التربوية والأخلاقية للمجتمع الإنساني.

ومن ثم انقدحت فكرة في ذهني؛ أن أطور تلك المحاضرات إلى موسوعة تضم ما يتعلق بشهر رمضان من مناسبات وعبادات... ومحاضرات تحمل عنوان الضيافة الإلهية وآثارها وشروطها من أجل تحقيق التقوى التي جعلها الله سبحانه هدف الصوم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

فجاء هذا الجزء ضمن سلسلة الموسوعة الرمضانية حاملاً عنوان «تأملات روحية وتربوية في سورة القدر» وهو تقرير لسلسلة محاضرات لأستاذنا(١) آية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظلّه، وفي نهاية كل محاضرة أثرنا تساؤلات عقائدية وتربوية خصوصاً ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام وبيان بعض مقاماتهم المرتبطة بهذه السورة.

وهذه الإثارت استفدناها من كتب السيد الأستاذ ومنها علم الإمام والشفاعة والمعاد... بالإضافة الى دروسه - دام ظله - في مختلف الفروع الأخرى وآراء بعض العلماء في هذا المجال.

وأخيراً، أتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى بواسطة النبي وآله

(١) طبعاً لم أتتلمذ بحضرته الشريفة عن قرب وإنما بواسطة الخدمة الإلكترونية!! أي عن طريق ما يصلنا من الأقراص المدمجة... وبعبارة أخرى عن طريق النت والحاسوب.

عليه وعليهم السلام أن يرزق زوجتي حسن التبعُّل والعاقبة لِما توفره من أجواء مناسبة من اجل إتمام كتاباتي... سائلًا المولى سبحانه أن ينفعنا بهذا العمل في يوم وصفه سبحانه بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

يوسف حلو الناجي/ ١٤٣٥ هـ

أهمية سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد وآله. . .

أهمية سورة القدر

يمكن تقسيم سورة القدر إلى قسمين:

الأول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر: ١-٣].

والثاني: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ [القدر: ٤-٥].

سؤال: ما هي أهمية سورة القدر؟

الجواب: في روايات أهل البيت عليهم السلام توجد تأكيدات على بعض السور والآيات ومنها سورة يس الرحمن وآية الملك والشهادة. . . ومنها سورة القدر ومن تلك الأحاديث:

- روي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قرأها أُعطي من الأجر كمن صام شهر رمضان وأحيا ليلة القدر»(١).
- وعن الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال: «من قرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر: ١] بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله»(٢).

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥١٦: نقلاً عن تفسير الأمثل تفسير سورة القدر.

(٢) المصدر السابق.

يقول آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي معلّقاً على الروايتين: «وواضح أنّ كل هذه الفضائل في التلاوة لا تعود على من يقرؤها دون أن يدرك حقيقتها، بل إنّها نصيب من يقرؤها ويفهمها ويعمل بها... من يقدِّر القرآن حقّ قدره ويطبق آياته في حياته»(١).

- عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا معشر الشيعة، خاصموا بسورة إنا أنزلناه في ليلة القدر تفلحوا، فوالله إنها لَحجّة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا»(٢).
- وقال عليه السلام: «ففضل إيمان المؤمن بجملة ﴿إنا أنزلناه﴾ وبتفسيرها، على من ليس مثله في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم...»(٣).

إذاً السورة فيها دلالة وارتباط بأهل البيت عليهم السلام وعلومهم وهذا سيتضح من خلال الأبحاث القادمة بعونه ومشيئته تعالى.

(١) تفسير الأمثل تفسير سورة القدر.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢٥/ ص ٧١).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢٥/ ص ٧٤).

سبب النزول

سبب النزول

سؤال: ما سبب نزولها؟

الجواب: رويت عدة روايات لسبب النزول ويجمعها عظمة وبركات هذه السورة ومنها:

- . . . عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أُري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [في منامه] بني أمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقرى، [فأصبح كئيباً] حزيناً، قال، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام، فقال: يا رسول الله، مالي أراك كئيباً حزيناً؟

قال: ياجبرئيل، إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي، ويضلون الناس عن الصراط القهقرى! فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، إنني ما اطلعت عليه؛ فعرج الى السماء، فلم يلبث أن نزل عليه بآيٍ من القرآن يؤنسه بها (قال): ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]، وأنزل عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ١-٣] جعل الله عز وجل ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من ألف شهر ملك بني أمية»[1].

(١) أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت.

- رُوي أن رسول الله ﷺ أري أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألّا يبلغوا من العمر مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر(١).
- وفي حديث آخر أنه ذُكر لرسول الله رجلٌ من بني إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب من ذلك رسول الله عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فقال: يارب! جعلت أمتي أقصر الناس أعماراً، وأقلها أعمالاً. فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ الذي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك الى يوم القيامة في كل رمضان(٢).

وقد جاء في تأويل هذه الآية أنها نزلت في دولة الرسول التي كانت خيراً من دول الظالمين من بني أمية، حيث نقل الترمذي عن الحسن بن علي عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ أري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يعني نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ يملكها بعدك بنو أمية)(٣)، وكانت حكومة بني أمية ألف شهر لا تزيد ولا تنقص.

وهكذا فضيلة حكومة العدل وأثرها العظيم في مستقبل البشرية أكثر من ألف شهر من حكومة الجور.

---

(١) تفسير جامع الأحكام للقرطبي، ج٢٠، ص١٣٣.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦١٥.
(٣) تفسير جامع الأحكام للقرطبي، ج٢٠، ص١٣٣.

- روي عن العلاّمة البحرانيّ رحمه الله بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان عليّ بن الحسين صلوات الله عليه يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] صدق الله عزّ وجلّ أنزل القرآن في ليلة القدر ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢] قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا أدري، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣] ليس فيها ليلة القدر، قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: وهل تدري لِمَ هي خير من ألف شهر؟ قال: لا، قال: لأنّها ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القدر: ٤] وإذا أذن الله عزّ وجلّ بشيء فقد رضيه ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥] يقول: تسلّم عليك يامحمّد ملائكتي وروحي بسلامي من أوّل ما يهبطون إلى مطلع الفجر.

ثمّ قال في بعض كتابه: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥] في ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، وقال في بعض كتابه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۚ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

يقول في الآية الأولى: إنّ محمّداً حين يموت يقول أهل الخلاف لأمر الله عزّ وجلّ: مضت ليلة القدر مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فهذه فتنة أصابتهم خاصّة، وبها ارتدّوا على أعقابهم، لأنّهم إن قالوا لم تذهب، فلابدّ أن يكون لله عزّ وجلّ فيها أمر، وإذا أقرّوا بالأمر لم يكن له من صاحبٍ بُدٌّ(١).

(١) تفسير البرهان ٤٨٨: ٤ ح ٢٩.

وروي بإسناده عن بريدة، قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام معه، إذ قال: يا عليّ، ألم أُشهدْكَ معي سبعَة مواطن: الموطن الخامس ليلة القدر؟ خصّصنا ببركتها ليست لغيرنا[١].

(١) بصائر الدرجات ٢٤٢ ح ٩.

الفرق المضموني بين
(إنّا) و(إنّي)

الفرق المضموني بين (إنّا) و(إنّي)

سؤال: لماذا عبّرت السورة بـ (إنّا) ولم تقل (إنّي)؟

الجواب: نعم، بعض الآيات في القرآن تأتي باللفظة الأولى ومنها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النِّساء: ١٠٥].
- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [النِّساء: ١٦٣].
- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢].
- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].
- قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ [مريَم: ٧].

وأخرى تأتي باللفظ الثاني (إنّي) ومنها:

- قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البَقَرَة: ٣٠].
- قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البَقَرَة: ١٢٤].
- قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥].
- قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة: ١١٥].

- قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] .
- قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هُود: ٤٦].

وسبب هذا الاختلاف يرجع الى:

لعل هناك نكات أدبية ونحوية. . .

هناك فرق مضموني بين (إنّا) و(إنّي) وهو متوقف على بيان مقدمة وهي:

الله (جلّ جلاله) ينجز الأفعال بنحوين:

أولاً: مباشرة وبلا توسّط شيء؛ أي من خلال قوله فقط: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

والآيات حافلة بهذا النحو ومنها: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

ثانياً: ينجزها بتوسيط بعض مخلوقاته، فالله سبحانه هو المشافي لكن من خلال الطبيب، وهو الرافع للجوع وللعطش لكن من خلال الطعام والماء. يحكي القرآن الكريم قول شيخ الموحّدين إبراهيم الخليل عليه السلام في هذه الآيات: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ (٨١)﴾ [الشعراء: ٧٨-٨١]، فالله سبحانه يهدي ويطعم ويسقي ويشفي ويُميت ويُحيي من خلال

الأسباب وبنظام الوسائط؛ فهو يرفع العطش بالماء والجوع بالطعام والمرض بالدواء وعبر الطبيب. . . وهكذا.

والآيات حافلة بهذا النحو من الأعمال ومنها:

- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعَام: ٦١].
- قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السَّجدَة: ١١].
- قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات: ١-٥] [(١)].

هذا هو دور الأسباب والوسائط في نظام عالم الإمكان، والوسائط والأسباب تؤدّي دورها بإذن الله، لكن لا على النحو الذي تكون فيه في عرْض إرادة الله أو في طولها، بل على نحو الظهور والآية والتجلّي، فهي مظاهر وآيات وتجلّيات لله سبحانه، وهذه الموجودات هي مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته، فملك الموت هو مظهر لاسمه المميت،

(١) النازعات والناشطات والسابحات والسابقات هي صنوف من الملائكة ينهض كلّ منها بمهمّة، إذ قيل مثلاً إنّ المراد من «النازعات» ملائكة الموت تنزع الأرواح من الأجساد، ومن «الناشطات» الملائكة التي تُخرج الأرواح من الأجساد أيضاً مع فارق أنّ «النازعات« خاصّة بالملائكة التي تنزع أرواح الكفّار من أجسادهم بشدّة، بينما «الناشطات» خاصّة بنزع أرواح المؤمنين. وقيل في «السابحات» إنّها الملائكة التي تنهض بمسؤولية الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنّة وبروح الكافر إلى النار، كما قيل في «السابقات» إنّها مطلق الملائكة لأنّها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح/التوحيد، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، جَ٢، دار فراقد، ط٦، ص: ٣٧٨ - ٣٧٩.

وعيسى بن مريم عليه السلام هو مظهر لاسمه المحيي. .[١]. .

وهكذا باقي الأعمال لأن الله سبحانه أبى إلا أن يجري الأشياء بأسبابها. . . عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: أبى الله أن يجري الأشياء إلا بالأسباب[٢] فجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن[٣].

سؤال: أهذه الأسباب ملكية (مادية محسوسة) أم ملكوتية غيبية؟

الجواب: قد تكون ملكية وقد تكون ملكوتية. . .

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].

- قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزَاب: ٧٢].

إذاً استعمال (إنا) في السورة المباركة يشير الى النحو الثاني من الأفعال (أي بتوسط الأسباب)[٤].

---

(١) التوحيد، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، ج٢، دار فراقد، ط٦، ص: ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٢) بيان: لعل المراد بالشيء ذي السبب: القرب والفوز والكرامة والجنة، وسببه الطاعة وما يوجب حصول تلك الأمور، وشرح ذلك السبب هو الشريعة المقدسة، والمفتاح: الوحي النازل لبيان الشرع وعلم ذلك المفتاح - بالتحريك - أي ما يعلم به هو الملك الحامل للوحي، والباب الذي به يتوصل إلى هذا العلم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة / بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢/ ص ٩٠).

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢/ ص ٩٠).

(٤) إلى هنا انتهى كلام سماحة العلامة آية الله العظمى كمال الحيدري دامت إفاضاته =

سؤال: أليس الله قادراً على كل شيء فلماذا يسند بعض الأعمال إلى الأسباب؟

الجواب: هذا بحسب النظام الأحسن والأدلة العقلية والنقلية تثبت ذلك (أي نظامنا هو الأحسن وبعبارة فنية: ليس في الإمكان أبدع ممّا كان).

الدليل العقلي: يتمثّل المحتوى الأساسي للدليل بأنّ الله سبحانه عالم بجميع جهات الأفعال قادر على إيجادها بأيّ وجه شاء، فإذا ما افترضنا أنّ الأمر في إيجاد شيء يدور بين إيجاده على وجه أكمل وإيجاده على نحو كامل، فلا شكّ في اختياره نمط الإيجاد الأكمل بالضرورة.

الدليل النقلي: قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدَة: ٧]، ثمّ نضمّ إليه قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦].

ستكون النتيجة أنّ كلّ ما خلق الله، وما صدق عليه أنّه مخلوق، إنّما خُلق على أحسن وجه وأكثره إتقاناً وإحكاماً(١) (٢).

= حول توضيح مفردة (إنا) وباقي الأسئلة أضفتها لتوسعة المطلب ومن أجل بيان مقام من مقامات النبي وآله عليه وعليهم السلام لأنهم وسائط الفيض الإلهي (طبعاً الإضافة مستفادة من دروسه دام ظله في مباحث التوحيد).

(١) ينظر التوحيد، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، ج٢، دار فراقد، ط٦، ص: ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١.

(٢) إلى هذه النقطة يومئ النصّ التالي للطباطبائي: «قوله تعالى: الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىءٍ خَلَقَهُ، قال الراغب: الحسن عبارة عن شيء مبهج بصيغة الفاعل مرغوب فيه» إلى أن يقول: «وحقيقته ملاءمة أجزاء الشيء بعضها لبعض والمجموع للغرض والغاية =

سؤال: إذا كان النظام الأحسن، فلماذا وجدت الشرور؟

كوجود الشيطان والوسواس الخنّاس والنوازل السماويّة والكوارث الطبيعيّة وصولاً إلى بعض الأوبئة والأمراض الغامضة؟.

الجواب: أيّ وجود في نفسه فهو خير وحسن، كما عبّر القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السَّجدَة: ٧]، فكلّ شيء من الموجودات هو في نفسه حسن وجميل وخير. أجل، عندما تتزاحم هذه الموجودات فيما بينها وتتضادّ يقع بينها علاقات فعل وانفعال، فتؤدّي بعضها إلى انعدام بعض أو إلى انعدام بعض كمالات وجود آخر. هذه الخصيصة المتمثِّلة بالتضادّ والتزاحم والصراع تأتي في طليعة خصائص عالم المادّة. فعالم المادّة ممتلئ بالتزاحم، فالماء يزاحم النار والنار تزاحم الماء، والحيّات والعقارب والحشرات السامّة تزاحم بسمومها وجود الإنسان، والإنسان يزاحم بفعاله وجود الحيوانات، ويضرّ بها عبر تصرّفاته بالبيئة والطبيعة. ومعنى ذلك أنّ الشرور هي من لوازم وجود المادّة، وعالم المادّة هو المنطقة التي تتحرّك في مداها ظاهرة الشرور،

= الخارجيّة منه، فحسن الوجه تلاؤم أجزائه من العين والحاجب والأنف والفم وغيرها، وحسن العدل ملاءمته للغرض من الاجتماع المدني وهو نيل كلّ ذي حقّ حقّه، وهكذا.

والتدبّر في خلقة الأشياء، وكلّ منها في نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض، والمجموع من وجوده مجهّز بما يلائم كماله وسعادته تجهيزاً لا أتمّ ولا أكمل منه، يعطي أنّ كلّاً منها حَسن في نفسه حُسناً لا أتمّ وأكمل منه بالنظر إلى نفسه».

ثمّ ينتهي بعد إيضاح: «وكيف كان، فالشيء بما أنّه موجود مخلوق لا يتّصف بالمساءة، ويدلّ عليه الآية: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ إذا انضمّ إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ﴾، فينتجان، أوّلاً: أنّ الخلقة تلازم الحسن، فكلّ مخلوق حسن من حيث هو مخلوق».

على ما يشير إليه النصّ الفلسفي التالي: «فمجال الشرّ ومداره هو عالم المادّة الذي تتنازع فيه الأضداد وتتمانع فيه مختلف الأسباب، وتجري فيه الحركات الجوهرية والعرضية التي يلازمها التغيّر من ذات إلى ذات ومن كمال إلى كمال. والشرور من لوازم وجود المادّة القابلة للصور المختلفة والكمالات المتنوّعة المتخالفة... وبهذا تبيّن أنّ عالم التجرّد التامّ لا شرّ فيه»(١).

سؤال: أليس الله قادراً على كل شيء، فلماذا يسند بعض الأعمال إلى الأسباب الملكية أي الطبيعية مثلاً رفع العطش بواسطة الماء أو الملكوتية من قبيل قبض الأرواح بواسطة الملائكة، ألا يتنافى هذا مع قدرته المطلقة؟

الجواب: يتم من خلال بيانين هما:

الأول: ليس هناك تنافٍ بين قدرة الله على فعل وبين أن يجعل له مظهراً وآية وواسطة ينجز الفعل من خلالها، فكلّ ما نسب إليه القرآن أمراً من الخلق والتدبير والغنى والعزّة والإحياء والإماتة وما شابه إنّما هو مظاهر وتجلّيات وآيات لخالقيّة الله (جلّ وعلا) وتدبيره وآمريته وولايته، من دون أن يكون لهذه الموجودات ولاية أو عزّة أو قوّة أو إحياء أو إماتة في عرض ولاية الله وعزّته وقوّته أو في طولها، لما يؤدّي إليه الأوّل من الشرك الجلي، والثاني من الشرك الخفي.

الثاني: بحسب النظام الأحسن أنّ الحكمة الأزلية لله سبحانه اقتضت أن تتمّ إدارة العالم وتدبير الوجود والكون من خلال هذا النظام،

(١) ينظر التوحيد، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، ج٢، دار فراقد، ط٦، ص: ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.

وأنّ النسق الذي يتخلّل الوجود وعالم الخليقة هو تبع لإرادة الله. فهو سبحانه الذي أراد أن يتمّ أمر هذا العالم من خلال مبدأ العلّية ونظام الأسباب والمسبّبات، وعبر نسق المراحل والترتّب بين الوجودات والموجودات. فمن الآيات القرآنية ما يتحدّث صراحةً عن أنّ الله (جلّ وعــلا) ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ٩-١١]، مع أنّه ما كان يُعجزه سبحانه أن يخلقها على غير هذه الكيفيّة ومن دون هذا الترتّب أو النسق. لكن مقتضى النظام الأحسن الذي أبدعه الله سبحانه وأتقن من خلاله كلّ شيء ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [النَّمل: ٨٨]، هو الذي يملي بروز هذه الأنساق في نظام الكون(١).

وفي ضوء ذلك نفهم أهمية وجود الإنسان الكامل في عالم الإمكان المتمثلة بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وعليه نطرح السؤال التالي والإجابة عليه من أجل فهم نظرية الإنسان الكامل:

والسؤال: ما حاجة الله سبحانه للإنسان الكامل وهو القادر المطلق؟!

الجواب: **أولاً**: النظام الأحسن ونظام السببيّة هو الذي يسوّغ وجود الخليفة أو الإمام أو الحجّة كي يمارس دوره على الدوام، لينسجم ذلك مع النظام السببي الذي يتخلّل حركة الوجود، على ما يومئ

(١) ينظر التوحيد، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، ج٢، دار فراقد، ط٦، ص: ٤٢٨.

إليه النصّ الحديثي المشهور: «أبى الله أن يُجري الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً»(١).

هكذا الحال بالنسبة إلى الهداية حيث شاءت إرادة الله سبحانه أن تتمّ من خلال خليفته نبيّاً كان أم إماماً، وذلك بوصف الهداية بضروبها المختلفة في مقدّمة الأدوار التي ينهض بها الخليفة. نقرأ في نصّ روائيّ عن جابر، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام، قال: قلت: لأيّ شيء يُحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال: (لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أنّ الله عزّ وجلّ يرفع العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبيّ أو إمام، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون»، يعني بأهل بيته الأئمّة الذين قرن الله عزّ وجلّ طاعتهم بطاعته، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّساء: ٥٩]. وهم المعصومون المطهّرون الذين لا يذنبون ولا يعصون، وهم المؤيّدون المُوَفّقون المُسَدّدون، بهم يرزق الله عباده، وبهم يعمّر بلاده، وبهم ينزل القطر من السماء، وبهم تَخْرج بركات الأرض، وبهم يمهل أهل المعاصي ولا يعجل عليهم بالعقوبة والعذاب، لا يفارقهم روح القدس ولا يفارقونه ولايفارقون القرآن ولا يفارقهم صلوات الله عليهم أجمعين)(٢).

---

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ١٨٣، باب معرفة الإمام والرّد إليه، الحديث ٧.
(٢) علل الشرائع، ص ٥٢؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، الباب ١، ح ١٤، ص ١٩.

النصّ مشبع بالمهامّ التكوينية والوجودية التي ينهض بها الخليفة الإمام بالإضافة إلى دور الهداية، وذلك في نطاق النظام الأحسن الذي أراد الله سبحانه أن يجري في الوجود.

ثانياً: لا يسع أيَّ موجود في نطاق عالم الإمكان أن يأخذ الفيض من الله مباشرة، لقصور في قابلية القابل وليس لعجزٍ في فاعلية الفاعل. على هذا فإنّ الله (جلّت قدرته) لا يعطي الملائكة الفيض مباشرة وإنّما يتمّ ذلك بتوسّط آدم الذي تعلّم الأسماء من الله: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البَقَرَة: ٣٣]، لأنّه ليس بمقدور الملائكة أخذ الفيض مباشرة. يمكن تقريب الأطروحة بعملية تحويل الطاقة الكهربائية من طاقم التوليد الأصلي إلى الأطقمة الفرعية في البيوت؛ فإنتاج الطاقة يتمّ عبر مركز الإنتاج الأساسي، ثمّ تتحوّل إلى المدينة عبر محوّلة ضخمة هي التي تستلم الطاقة، ثمّ يُصار لدخولها إلى البيوت عبر محوّلات أصغر هي التي تستلم الطاقة وتوزّعها على كلّ بيت. البيت في هذا المثال لا يستلم الطاقة الكهربائية مباشرة عن مركز التوليد أو من المحوّل الرئيسي، لافتقاده إلى مثل هذه القابلية، وإنّما يستلمها عبر محوّلات صغيرة، ومن الواضح أنّ العجز في المثال ليس في الطاقة ذاتها بل في الموقع الاستلامي الذي يمثّله البيت.

تبنّى هذه الأطروحة في تفسير وجود الخليفة في نظام التكوين عدد من الفلاسفة والمفسِّرين. فممّن فسّر وجود الخلافة وديمومتها على أساس نظرية الفيض من المفسِّرين؛ السيّد محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، حين قال في تفسير آية الخلافة من سورة البقرة: «ومعنى كونه خليفة أنّه خليفة الله تعالى في أرضه، وكذا كلّ نبيّ استخلف في

عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى، ولكن لقصور المستخلف عليه لما أنّه في غاية الكدورة والظلمة الجسمانية، وذاته تعالى في غاية التقدّس، والمناسبة شرط في قبول الفيض على ما جرت به العادة الإلهية، فلابدّ من متوسّط ذي جهتي تجرّد وتعلّق ليستفيض من جهة ويفيض بأخرى»[١].

«المناسبة» في النصّ هي التي يعبّر عنها الحكماء بـ«السنخية»، على حين يعبّر عنها القرآن بـ«الشاكلة» كما في قوله سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ٨٤]. كما أنّ فيه إشارة واضحة إلى أنّ الخليفة موجود ذو بعدين، بأحدهما (التجرّد) يسانخ الله (جلّ جلاله) فيأخذ منه، وبالآخر (التعلّق) يعطي للآخرين ويفيض عليهم. وبُعد التعلّق الذي يفيض من خلاله هو البُعد البشري الذي دأبت الآيات على تأكيده في مثل قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وذلك في مقابل البُعد القدسي التجرّدي الذي بلغ به ما بلغ، كما في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٨-٩][٢].

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلّامة الآلوسي البغدادي، طبعة دار إحياء التراث العربي، ج ٢٠، ص ٣٥.

(٢) ينظر التوحيد، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، ج٢، دار فراقد، ط٦، ص: ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠.

فضل إيمان المؤمن بجملة
«إنا أنزلناه» وبتفسيرها

فضل إيمان المؤمن بجملة «إنا أنزلناه» وبتفسيرها(١)

عوداً على بدء، قلنا: السورة لها علاقة ببيان مقامات أهل البيت عليهم السلام طبقاً للروايات التي وردت عن النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم ومنها:

- ما روي عن أبي جعفر الثاني قال: كان علي عليه السلام يقول: ما اجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] بتخشع وبكاء إلا ويقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة؟ فيقول لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما رأت عيني ووعاه قلبي، ولما يلقى قلب هذا من بعدي، فيقولان: وما الذي رأيت؟ وما الذي يلقى؟

فيكتب لهما في التراب «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر» قال: ثم يقول لهما: هل بقي شيء بعد قوله: «من كل أمر»؟ فيقولان: لا، فيقول فهل تعلمان مَن المنزل إليه ذلك الأمر؟ فيقولان: أنت يارسول الله؟ فيقول: نعم، فيقول: هل تكون ليلة القدر من بعدي؟ وهل ينزل ذلك الأمر فيها؟ فيقولان: نعم، فيقول فإلى من؟ فيقولان: لا ندري، فيأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برأسي ويقول: إن لم تدريا فادريا، هو

(١) هذا البحث مستفاد من آراء عدة من العلماء وأيدناه بالشواهد الروائية.

هذا من بعدي، قال: وإنهما كانا ليعرفان تلك الليلة بعد رسول الله ﷺ من شدة ما يداخلهما من الرعب[(١)].

- وورد في الحديث: فضل إيمان المؤمن بجملة «إنا أنزلناه» وبتفسيرها، على من ليس مثله في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم!!

سؤال: كيف يكون فضل إيمان المؤمن بجمله «إنا أنزلناه» وبتفسيرها، على من ليس مثله في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم؟

الجواب: إن المعروف عن هذه الليلة هي الليلة التي أنزل بها القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] وهذا مما لا يختلف فيه اثنان من المسلمين فيقيناً ليس هذا هو المراد وإلا فلماذا اعتبر معياراً يميز به المؤمن عن غيره كالإنسان على سائر البهائم؟

إن محل نزول القرآن هو قلب رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٩٧].

وأما بعد الرسول ﷺ فإن القرآن ينزل على قلوب أوصيائه ﷺ ولا نعني بذلك أن القرآن لم يكتمل نزوله.

ولكن نعني بهذا النزول على قلب الأئمة نزول الحقائق الملكوتية اللامتناهية والمتجددة في كل عام .

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢٥/ ص ٧١).

حيث دلّت الروايات والأحاديث الشريفة المتكاثرة على ذلك ومنها ما ورد عن رسول الله ﷺ قوله لأصحابه (آمنوا بليلة القدر؛ إنها تكون لعلي بن أبي طالب وولده الأحد عشر من بعده)(١) وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: (ليلة القدر في كل سنة وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة وإن لذلك الأمر وُلاةً بعد رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدثون)(٢).

ومن ذلك نفهم معنىً مهماً من معاني الإيمان بليلة القدر وهو أنها مختصة بإمام الزمان وأنها مفتاح من مفاتيح الوصول إلى اليقين بأحقية الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بخلافة رسول الله ﷺ دون غيرهم لعدم قدرة غيرهم على ادعاء هذا المقام العظيم .

ومن هنا نفهم معنى الرواية الواردة عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معاشر الشيعة، خاصموا بسورة «إنا انزلناه» تفلحوا، فوالله إنها لَحجَّة الله تعالى على الخلق بعد رسول الله ﷺ وإنها لسيدة دينكم وإنها لغاية علمنا، يا معشر الشيعة، خاصموا ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ١-٣] فإنها لِولاة الأمر خاصة بعد رسول الله ﷺ، يا معشر الشيعة، يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فَاطِر: ٢٤] وكذلك نفهم من قوله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)(٣).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٦/ ص ٢٤٣).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٦/ ص ٣٧٣).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢/ ص ١٠٠).

فإن لم يكن هناك ارتباط متواصل بين الحقائق القرآنية المتجددة وبين قلب طاهر كقلب رسول الله ﷺ فلا معنى من كون أنهما لن يفترقا أبداً حتى يردا على رسول الله الحوض.

فالقرآن ينزل في كل ليلة قدر على قلب الإمام المعصوم عليه السلام لأن القرآن حادث متجدد وله تأويلات ووجوه عديدة لا يعلمها إلا الوصي.

- فقد قال أبو عبد الله عليه السلام عن القرآن: (إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا)(١).
- وورد عن أبي جعفر عليه السلام: (إن القرآن حي لا يموت ولو كانت الآية في أقوام وماتوا لماتت الآية ولمات القرآن ولكن هي جارية في الباقين كما أنها جرت في الماضين(٢).

فالقرآن يتجدد تأويله في كل سنة خلال نزوله على قلب المعصوم وفي زماننا على قلب المهدي عجل الله فرجه في ليلة القدر من كل سنة وهو أمر الله الذي تأتي به الملائكة إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين هم أولو الأمر كما وصفهم القرآن والرسول ﷺ... والحقيقة أن أولي الأمر هم من يتلقون الأمر من السماء.

ومن عسى أن يكون هؤلاء إلا أئمة الهدى ومصابيح الدجى وحجج الله على أرضه وعباده.

وفي ضوء ذلك يكون لكل زمان تأويل للقرآن يتغير بتغير الزمان

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٥/ ص ٤٠٤).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٥/ ص ٤٠٣).

وكما ورد أن للقرآن سبعين بطناً وروى إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إن للقرآن تأويلاً فمنه ما جاء ومنه ما لم تَجِيء فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان)(١).

والخلاصة

- فضل الإيمان بليلة القدر متوقف على فهمها بهذا المستوى وان فيها تعيُّنَ وتقديَر ما يكون إلى السنة القادمة وبمصادقة المعصوم وفي عصرنا بإمضاء من الإمام الحجة عجل الله فرجه المهدي بن الحسن عليه السلام.
- يتلقى الإمام عليه السلام تأويلات القرآن المتجددة في ليلة القدر.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٩/ ص ٩٧).

علاقة علوم أهل البيت عليهم السلام
بليلة القدر

علاقة علوم أهل البيت عليهم السلام بليلة القدر(١)

سؤال: هل يزداد أهل البيت علماً بليلة القدر؟

الجواب: لعلّ من أوضح النصوص المعتبرة التي بيّنت هذه الحقيقة ما ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام حين سأله سائل: أرأيت قولك في ليلة القدر وتنزّل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء، يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عَلِمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعلمه؟ وقد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات وليس من علمه شيء إلّا وعليّ عليه السلام له واعٍ.

فأجابه عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أُسري به لم يهبط حتّى أعلمه عزّ وجلّ ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان كثير من علمه ذلك جُملاً يأتي تفسيره في ليلة القدر، وكذلك كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد علم جُمل العلم ويأتي تفسيره في ليلة القدر كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال السائل: أوَ ما كان في الجمل تفسير؟

قال عليه السلام: بلى، ولكنّه إنّما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي

(١) مقتبس من كتاب علم الإمام: لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: دار فراقد: ط٢: ١٤٣٢ هـ ص ٣٠٧ - ٣٣٩.

القدر إلى النبيّ وإلى الأوصياء: افعل كذا وكذا لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه.

قلت: فسِّر لي هذا.

قال: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا حافظاً لجملة العلم وتفسيره.

قلت: فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟

قال: الأمر واليسر فيما كان قد علم.

قال السائل: فما يحدث لهم في ليالي القدر علمٌ سوى ما علموا؟

قال: هذا ما أُمروا بكتمانه، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلّا الله عزّ وجلّ.

قال السائل: فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟

قال: لا، وكيف يعلم وصيّ غير علم ما أوصي إليه.

قال السائل: فهل يسعنا أن نقول: إنّ أحداً من الوصاة يعلم ما لا يعلم الآخر؟

قال: لا، لم يمت نبيّ إلّا وعلمه في جوف وصيّه، وإنّما تنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد.

قال السائل: أو ما كانوا علموا ذلك الحكم؟

قال: بلى قد علموه، ولكنّهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه حتّى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة.

قال: يا أبا جعفر، لا أستطيع إنكار هذا؟

قال أبو جعفر عليه السلام: مَن أنكره فليس منّا.

قال السائل: يا أبا جعفر، أرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هل كان يأتيه في ليالي القدر شيءٌ لم يكن عَلِمه؟

قال: لا يحلّ لك أن تسأل عن هذا.

أمّا علم ما كان وما سيكون، فليس يموت نبيّ ولا وصيّ إلّا والوصي الذي بعده يعلمه. أمّا هذا العلم الذي تسأل عنه فإنّ الله عزّ وجلّ أبى أن يطّلع الأوصياء عليه إلّا أنفسهم»(١).

شرح عبارات النص

يشتمل هذا النصّ القيّم على عدّة أمور أساسيّة في فهم حقيقة علمهم عليهم السلام:

الأوّل: أنّ علمهم يشمل ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنّه لا يعزب عن علمهم شيء، وهذا ما أشير إليه بقوله عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا أسري به لم يهبط حتّى أعلمه جلّ ذكره علم ما كان وما سيكون» ثمّ قال: «لم يمت نبيّ إلّا وعلمه في جوف وصيّه». ومن الواضح أنّ ذلك يشمل العلم الحادث الذي يرتبط بالأمور المستقبليّة أيضاً.

الثاني: أنّ من علومهم التي تتعلّق بالأمور المستقبليّة أعني العلم الحادث، ما لا يعلمونه بنحو الأمر المحتوم الذي لا تبديل فيه، بل هو قابل للتغيير من قِبَله سبحانه، لذا نجد أنّ الإمام أكّد هذه الحقيقة مرّة بعد أخرى بقوله: «لكنّهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه حتّى يُؤمروا».

(١) الأصول من الكافي: ج ١ ص ٢٥١، كتاب الحجّة، باب في شأن ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ وتفسيرها، الحديث: ٨.

الثالث: أنّ إمضاء وحتم ما علموه من الأمور المستقبليّة من خير وشرّ وطاعة ومعصية، وحياة وموت ورزق ونحوها، إنّما يحصل لهم عليهم السلام في ليلة القدر من كلّ سنة، وهذه أهمّ خصوصيّة في هذه الليلة بالنسبة إلى الأوصياء عليهم السلام.

من هنا قد يقال إنّ المراد بالجمل في قوله عليه السلام: «وكان كثير من علمه ذلك جُملاً» ما يقبل البداء من الأمور المستقبليّة، وبالتفسير في قوله: «ويأتي تفسيرها في ليلة القدر» هو تعيين وتفصيل ما هو محتوم وما يقبل البداء.

قال الفاضل الإسترابادي: «يفهم من كلامه عليه السلام أنّ الله تعالى علّم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كلّ نقوش اللوح المحفوظ المتعلّقة بما مضى وما سيكون، ونقوش اللوح المحفوظ قسمان: قسم منه لله فيه المشيئة والبداء يجري فيه، وقسمٌ محتوم لا يجري فيه البداء. والنقوش المتعلّقة بكلّ سنة تصير محتومة في ليلة القدر، وتنزّل الملائكة والروح فيها بالإذن فيما صار محتوماً.

وأمّا قوله عليه السلام: (وهذا ممّا أمروا بكتمانه) فمعناه أنّهم مأمورون بكتمان خصوصيّات ما ينزل عليهم في ليلة القدر. وأمّا قوله: (ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلّا الله) فمعناه أنّه لا يعلم ما يصير محتوماً في كلّ سنة قبل أن يصير محتوماً إلّا الله تعالى. وأمّا قوله: (لكنّهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه حتّى يؤمروا في ليالي القدر) فمعناه أنّه لا يجوز لهم العمل بمقتضى علمهم إلّا بعد العلم بأنّه صار محتوماً، وبعد الإذن في العمل»[(١)].

(١) نقلاً عن مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣ ص ٩٨.

وعلى هذا فليس المراد أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم المجمل قبل ليلة القدر، ويحصل على التفسير والتفصيل في ليلة القدر، كما لعلّه فهم السائل من كلام الإمام بقوله: «وكان كثير من علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر» وإنّما المراد أنّ الإمام وإن كان يعلم الإجمال والتفسير معاً كما في قوله عليه السلام: «لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا حافظاً لجملة العلم وتفسيره» فما يقف عليه في ليلة القدر هو إمضاء ما قد علمه من التفسير قبل ذلك.

وقال المازندراني: «وكان كثير من علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر» يحتمل فيه احتمالان:

الأوّل: أنّه يأتي تفسيرها وتفصيلها في ليلة القدر، **والثاني**: أنّه يأتي الأمر بتفاصيلها، حمله السائل على الأوّل واستفهم على سبيل التقرير (أوَما كان في الجمل تفسير) يريد أنّ فيها تفسيرها، والنفوس القدسيّة إذا علمت الجملة فقد علمت تفسيرها أيضاً، إمّا بنفس معرفة الجمل أو بأدنى التفات، وذلك كما إذا نظرت إلى زيد فقد أبصرت كلّه إجمالاً وأبصرت أجزاءه وتفاصيله جميعاً عند إبصار واحد، بل إبصار الكلّ والأجزاء إبصار واحد وإنّما يتفاوت بالاعتبار، فأقرّ به عليه السلام بقوله: (بلى) وصدّقه، وأشار بقوله: (ولكنّه إنّما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبيّ والأوصياء: افعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أُمروا كيف يعملون فيه) إلى أنّ المراد هو الاحتمال الثاني.

توضيحه: أنّ كثيراً من علمه عليه السلام ذلك كان مجملاً لا يعلم يؤمَر بإمضائه وفعله وتركه أم لا يؤمَر، أوَ يثبته أم يمحوه كما في العلم الذي يجري فيه البداء، وإنّما يأتي الأمر في ليلة القدر بتفاصيل هذه الأمور في

ليلة القدر، وإنّما قال كثير من علمه ذلك جملاً، لأنّ من علمه أيضاً كان مثبتاً لا يجري فيه البداء، وكان الأمر به معلوماً لا يحتمل غيره»(١).

ثمّ رجع السائل فسأله بقوله: «فالذي كان يأتيه في ليالي القدر ما هو؟» للمبالغة في استعلام ما يأتيه فيها، فأجابه عليه السلام بنحو ما أجابه سابقاً، من أنّ الذي يأتيه هو «الأمر واليُسر» والمراد باليُسر هو التخفيف بالمحو ونحوه.

ثمّ عاد السائل وقال: «فما يحدث لهم في ليالي القدر علمٌ سوى ما علموا» إشعاراً بأنّ هذا محال؛ لأنّه تحصيل الحاصل، ومبالغة في استعلام ما يحدث لهم فيها من الأوامر المخصوصة، فأجابه عليه السلام صريحاً بأنّ هذا، أي ما يحدث لهم من الأوامر ممّا أمروا بكتمانه وإظهار خصوصيّاته.

ثمّ بيّن عليه السلام أنّه لا يعلم تفسير ما سأل عنه السائل من الأوامر المخصوصة والخصوصيّات التي تنزل فيها إلّا الله تعالى. والحصر قد يكون حقيقيّاً فيكون المراد أنّه لا يعلم ما يصير محتوماً في ليلة القدر قبل أن يصير محتوماً إلّا الله تعالى كما تقدّم، وقد يكون إضافيّاً بالنسبة إلى غير الأولياء، لأنّ عقول غيرهم لا تتحمّل ما تنزّل في ليالي القدر.

والحاصل: أنّ المستفاد من هذا النصّ أنّهم عليهم السلام علموا المحتوم وغير المحتوم جميعاً، لكن لا يجوز لهم العمل في غير المحتوم إلّا بعد العلم(٢).

---

(١) شرح أصول الكافي والروضة: ج ٦ ص ١٦.
(٢) أصول الكافي: ج ١ ص ٢٢٥، الحديث: ٤.

- وروي بالإسناد عن الحسن بن العبّاس بن الحريش، قال: عرضت هذا الكتاب على أبي جعفر عليه السلام فأقرّ به قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال عليّ عليه السلام في صبح أوّل ليلة القدر الّتي كانت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سلوني، فوالله لأخبرنّكم بما يكون إلى ثلاثمئة وستين يوماً، من الذرّ فما دونها فما فوقها، ثمّ لأخبرنّكم بشيء من ذلك لا بتكلّف ولا برأي ولا بادّعاء في علم إلّا من علم الله وتعليمه، والله لا يسألني أهل التوراة ولا أهل الإنجيل ولا أهل الزبور ولا أهل الفرقان، إلّا فرّقت بين كلّ أهل كتاب بحكم ما في كتابهم.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيت ما تعلمونه في ليلة القدر، هل تمضي تلك السنة وبقي منه شيء لم تتكلّموا به؟ قال: لا والّذي نفسي بيده، لو أنّه فيما عَلمنا في تلك السنة: أن أنصتوا لأعدائكم، لنصتنا، فالنَّصْت أشدّ من الكلام[1].

- وروي بالإسناد عن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيت مَن لم يقرّ بما يأتيكم في ليلة القدر كما ذكر ولم يجحدهُ؟

قال: أما إذا قامت عليه الحجّة من يثق به في علمنا فلم يثق به، فهو كافر، وأمّا من لم يسمع ذلك، فهو في عذر حتى يسمع.

ثمّ قال عليه السلام: يؤمن باللّه ويؤمن للمؤمنين[2].

روى ثقة الإسلام الكلينيّ قدس سره بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام،

---

(١) المصدر نفسه ٢٤٣ - ٢٤٢ ح ١٢. والنصت: السكوت.
(٢) بصائر الدرجات ٢٤٤ ح ١٥.

قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: ٤].

يقول: ينزل فيها كل أمرٍ حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنّما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه مِن حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ومَن حكم بأمرٍ فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب، فقد حكم بحكم الطاغوت، إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عَزَّوَجَلَّ الخاصّ والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك السنة من الأمر، ثمّ قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

العلم الحادث يبدأ أوّلاً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثمّ يصل إلى الأوصياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

سؤال: قد يقال إنّ هذه الزيادة الحاصلة في علم الأوصياء في كلّ سنة في ليلة القدر أو ليلة الجمعة يلزم منها أن يكون الوصيّ أعلم من النبي الذي يرثه، والوصي اللّاحق أعلم من الوصي السابق عليه؛ لأنّ الملائكة والروح تتنزّل على الأخير بما لم تتنزّل على الأوّل من الأمور المتعلّقة بمصائر الناس وآجالهم وأرزاقهم ونحو ذلك.

لذا ورد في نصّ متقدّم أنّ السائل سأل: فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ وهل يعلم أحد من الوصاة ما لا يعلم الآخر؟

الجواب: وهذا ما أجابت عليه نصوص كثيرة أنّ هذه الزيادة تبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ الأوصياء السابقين، إلى أن تنتهي إلى الوصي الذي بين ظهرانيكم، لئلا يكون آخرهم أعلم من أوّلهم.

- عن يونس بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: ليس شيء يخرج من الله حتّى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ بأمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ واحد بعد واحد، لكي لا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا»(١).

- عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ لله علمين: علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلماً استأثر به، فإذا بدا لله في شيء منه أعلمناه ذلك، وعرض على الأئمّة الذين كانوا من قبلنا»(٢).

- عن محمّد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبد الله عن سليمان قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقلت: جعلت فداك! سمعتك وأنت تقول غير مرّة: لولا أنّا نزاد لأنفدنا.

قال: أمّا الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيّه بكماله، وما يزاد الإمام في حلال ولا حرام.

قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟

---

(١) الأصول من الكافي: ج ١ ص ٢٥٥، كتاب الحجّة، باب لولا أنّ الأئمّة يزدادون لنفد ما عندهم، الحديث: ٤.

(٢) بصائر الدرجات الكبرى: ج ٢ ص ٢٥٦، باب ما يزاد الأئمّة ويعرض على كلّ من كان قبلهم من الأئمّة، رسول الله ومن دونه، الحديث: ١٣٩٨.

قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام.

قلت: فتزادون شيئاً يخفى على رسول الله ﷺ ولا يعلمه؟

فقال: لا، إنّما يخرج الأمر من عند الله فيأتي به الملك رسول الله ﷺ، فيقول: يا محمّد، ربّك يأمرك بكذا وكذا، فيقول: انطلق إلى عليّ عليه السلام، فيأتي عليّاً عليه السلام فيقول: انطلق به إلى الحسن، فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هذا ينطلق إلى واحد بعد واحد حتّى يخرج إلينا.

قلت: فتزادون شيئاً لا يعلمه رسول الله ﷺ؟ فقال: ويحك! كيف يجوز أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله ﷺ والإمام من قبله؟!»(١).

عن عبد الله بن بكير عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: لولا أنّا نزاد لأنفدنا.

قال: قلت: أتزادون شيئاً ليس عند رسول الله ﷺ؟قال: إنّه إذا كان ذلك أُتي النبيّ ﷺ فأخبر، ثمّ إلى عليّ، ثمّ إلى بنيه واحداً بعد واحد حتّى ينتهي إلى صاحب هذا الأمر»(٢).

ويترتّب على هذه النصوص ونظائرها أمران أساسيّان:

الأوّل: أنها تكشف بوضوح أنّهم عليهم السلام يرثون رسول الله ﷺ العلم بعد مماته أيضاً، وقد يبدو هذا الأمر غريباً لأوّل وهلة، إذ

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٥٥، الحديث: ١٣٩٧.
(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٢٦ ص ٨٦، كتاب الإمامة، باب أنّهم يزادون ولولا ذلك لنفد ما عندهم، الحديث: ٢.

المتعارف أنّ أهل البيت عليهم السلام يأخذون ويرثون علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو حيٌّ بينهم، فكيف يتصوّر أنّهم يرثونه وإن كان ميّتاً.

إلّا أنّ هذه الغرابة تزول إذا علمنا أنّ وجوده صلى الله عليه وآله وسلم المعنوي في عوالم الملكوت له الدور نفسه الذي كان له وهو في هذه النشأة، كما هو مفاد كثير من النصوص التي أثبتت هذه الحقيقة. ولعلّ من أهمّ الشواهد على ذلك... من أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يشهد على أعمال الخلائق:

- عن سماعة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «سمعته يقول: ما لكم تسوءون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

  فقال رجل: وكيف نسوءه؟

فقال: أما تعلمون أنّ أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله وسرّوه»(١).

وبهذا يتبيّن أنّ إمامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للأئمّة عليهم السلام ليست منحصرة وهو في هذه النشأة، وإنّما هي مستمرّة وممتدّة لما بعد مماته صلى الله عليه وآله وسلم. فهو واسطة الفيض بين الله والأئمّة عليهم السلام، كما هو واضح من تعبير الروايات المتقدّمة التي تؤكّد أنّهم عليهم السلام لا يزاد في علمهم شيئاً إلّا ويبدأ بالخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ عليّ عليه السلام ثمّ سائر الأئمّة عليهم السلام.

قال القيصري في شرحه على فصوص الحكم: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يمدّ أرواح جميع الأنبياء السابقين عليه بحسب الظهور والزمان حال كونه في الغيب، لكونه قطب الأقطاب أزلاً وأبداً، كما يمدّ أرواح الأولياء

(١) الأصول من الكافي: ج ١ ص ٢١٩، كتاب الحجّة، باب عرض الأعمال على النبيّ والأئمّة، الحديث: ٣.

اللّاحقين به، بإيصالهم إلى مرتبة كمالهم في حال كونه موجوداً في الشهادة، ومنتقلاً إلى الغيب، وهو دار الآخرة؛ فأنواره غير منقطعة عن العالم قبل تعلّق روحه بالبدن وبعده، سواء كان حيّاً أم ميّتاً»(١).

الثاني: ثبت أنّ ازدياد كمالات النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام لا تختصّ بحياتهم الدنيويّة، بل هي مستمرّة بعد مماتهم أيضاً، وهم في نشآت الملكوت.

قال المازندراني: «ينبغي أن يُعلم أنّ كلّ علم ألقاه تعالى إلى نبيّه ﷺ كان أوصياؤه عليهم السلام عالمين به من غير زيادة ولا نقصان، وأمّا العلوم المستأثرة المخزونة فإذا اقتضت الحكمة الإلهيّة إظهارها في أوقات متفرّقة على وليّ العصر والخليفة الموجود في تلك الأوقات، ولا يلزم منه أن يكون هو أعلم من النبيّ ﷺ، لما ذكر من أنّه يُعرض ذلك أوّلاً على رسول الله ﷺ ثمّ عليه.

ولا ينافي ذلك ما مرّ أنّه ﷺ (لم يمت إلّا حافظاً لجملة العلم وتفسيره)(٢)، إذ لعلّ المراد بجملة العلم، العلم بالمحتوم وغيره على وجه الحتم وعدمه، ثمّ يحصل له بعد الموت العلم بالحتم في غير المحتوم، والله أعلم»(٣).

---

(١) شرح فصوص الحكم، داود القيصري، تحقيق: آية الله حسن حسن زاده الآملي، بوستان كتاب قم، الطبعة الأولى ١٤٢٤: ج ١ ص ١٨٦.

(٢) الأصول من الكافي: ج ١ ص ٢٥٢، كتاب الحجّة، باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر، الحديث: ٨.

(٣) شرح الأصول والروضة: ج ٦ ص ٢٥.

مفردة (أنزلناه)

مفردة (أنزلناه)

لبحث هذه المفردة لابد من الرجوع الى القرآن الكريم ولعل ثمة سؤالاً مفاده لماذا الرجوع الى القرآن بالتحديد؟

الجواب: نؤسس قاعدة عامه وهي:

بما أن القرآن كلام لمتكلم واحد.

إذاً: ننظر الى مجموعه من أجل فهمه بصورة صحيحة.

أضف الى ذلك روايات أهل العصمة عليهم السلام التي بينت أن القرآن يصدّق بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً ومنها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ القرآن ليصدّق بعضه بعضاً، فلا تكذّبوا بعضه ببعض»(١).

وقال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيتٌ لا تُهدم أركانه، وعزّ لا تهزم أعوانه... كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله»(٢).

(١) كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، للعلّامة علاء الدِّين علي المتّقي بن حسام الدِّين الهندي، المتوفّى سنة ٩٧٥، مؤسّسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ: الحديث ٢٨٦١، ج ١ ص ٦١٩.

(٢) نهج البلاغة، مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلمات الإمام عليّ عليه السلام، =

بعد أن اتضحت هذه القاعدة نرجع لبحث مفردة (أنزلناه).

سؤال: لمن يرجع ضمير (الهاء) في (أنزلناه)؟

الجواب: قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

إذاً الضمير يعود على القرآن الكريم وأنه نزل في شهر رمضان المبارك.

ومن هنا تتضح حقيقة أن شهر رمضان هو ربيع القرآن كما ورد في الحديث الشريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لكلّ شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان»[1].

لأن شهر رمضان تشرف بنزول القرآن الكريم.

وقفة تأمل (أهمية بعض الأزمنة والأمكنة)

ومن هنا يتضح لنا أهمية بعض الأزمنة والأمكنة ونعرف لماذا المشرع الإلهي أعطى خصوصية لها؟

مثلاً: شهر رجب يكفينا أن نطالع هذا الحديث لمعرفة قدسيته...

عن أبي رمحة الحضرمي قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: أين الرجبيون؟ فيقوم أناس يضيء وجوههم لأهل الجمع على رؤوسهم تيجان الملك، مكللة بالدر

= ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدكتور صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة، قم: الخطبة ١٣٣.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٦٣٠.

والياقوت، مع كل واحد منهم ألف ملك عن يمينه وألف ملك عن يساره، ويقولون: هنيئاً لك كرامة الله عَزَّوَجَلَّ يا عبد الله. فيأتي النداء من عند الله جل جلاله: عبادي وإمائي، وعزتي وجلالي لأكرمَنّ مثواكم ولأجزلَنّ عطاياكم، ولأُوتينكم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين، إنكم تطوعتم بالصوم لي في شهر عظمت حرمته وأوجبت حقه. ملائكتي! أدخلوا عبادي وإمائي الجنة[(١)].

شهر شعبان له أهمية وقدسية: حيث ورد بحقه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا كان أول يوم من شعبان أمر بأبواب الجنة فتفتح، ويأمر شجرة طوبى فتطلع أغصانها على هذه الدنيا، ثم ينادي منادي ربنا عَزَّوَجَلَّ : يا عباد الله، هذه أغصان شجرة طوبى فتعلقوا بها تؤدِّ بكم إلى الجنان وهذه أغصان شجرة الزقوم فإياكم وإياها لا تؤدِّ بكم إلى الجحيم، ثم قال: فوالذي بعثني بالحق نبياً إن من تعاطى باباً من الخير في هذا اليوم فقد تعلق بغصن من أغصان شجرة طوبى فهو مؤديه إلى الجنان، ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : فمن تطوع لله بصلاة في هذا اليوم فقد تعلق منه بغصن، ومن تصدق في هذا اليوم فقد تعلق منه بغصن، ومن عفا عن مظلمة فقد تعلق منه بغصن، ومن أصلح بين المرء وزوجه والوالد وولده والقريب وقريبه والجار وجاره... فقد تعلق منه بغصن...)[(٢)].

شهر رمضان: الرواية التالية تبين قدسيته قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «يحشر الله يوم القيامة شهر رمضان في أحسن صورة، فيقيمه على تلعة[(٣)]

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٤/ ص ٤١).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨/ ص ١٦٦).
(٣) ما علا من الأرض.

لا يخفى على أحد ممن ضمه ذلك المحشر، ثم يأمر ويخلع عليه من كسوة الجنة وخلعها وأنواع سندسها وثيابها حتى يصير في العِظَم بحيث لا ينفذه بصر... ثم يقال لمنادٍ من بطنان العرش: نادِ، فينادي: يا معشر الخلائق، أما تعرفون هذا؟ فيجيب الخلائق يقولون: بلى لبيك داعي ربنا وسعديك، أما إننا لا نعرفه، فيقول منادي ربنا: هذا شهر رمضان، ما أكثر من سعد به! وما أكثر من شقي به! ألا فليأته كل مؤمن له معظِّم بطاعة الله فيه فليأخذ حظه من هذه الخلع، فتقاسموها بينكم على قدر طاعتكم لله وجدكم، قال: فيأتيه المؤمنون الذين كانوا لله مطيعين فيأخذون من تلك الخلع على مقادير طاعتهم في الدنيا، فمنهم من يأخذ ألف خلعة، ومنهم من يأخذ عشرة آلاف، ومنهم من يأخذ أكثر من ذلك وأقل، فيشرِّفهم الله بكراماته، ألا وإن أقواماً يتعاطون تناول تلك الخلع، يقولون في أنفسهم: لقد كنا بالله مؤمنين، وله موحدين، وبفضل هذا الشهر معترفين فيأخذونها ويلبسونها، فتقلب على أبدانهم مقطعات نيران، وسرابيل قطران، يخرج على كل واحد منهم... من تلك الثياب أفعى وحية وعقرب، وقد تناولوا من تلك الثياب أعداداً مختلفة على قدر أجرامهم، كل من كان جرمه أعظم فعدد ثيابه أكثر، فمنهم الآخذ ألف ثوب، ومنهم الآخذ عشرة آلاف ثوب، ومنهم من يأخذ أكثر من ذلك، وإنها لأثقل على أبدانهم من الجبال الرواسي على الضعيف من الرجال: ولولا ما حكم الله تعالى بأنهم لا يموتون لماتوا من أقل قليل ذلك الثقل والعذاب، ثم يخرج عليهم... من تلك السرابيل من القطران ومقطعات النيران أفعى وحية وعقرب وأسد ونمر وكلب من سباع النار، فهذه تنهشه، وهذه تلدغه، وهذا يفترسه، وهذا

يمزقه، وهذا يقطعه، يقولون: يا ويلنا، مالنا تحولت علينا هذه الثياب وقد كانت من سندس وإستبرق وأنواع خيار ثياب الجنة، تحولت علينا مقطعات النيران وسرابيل قطران، وهي على هؤلاء ثياب فاخرة ملذذة منعمة! فيقال لهم: ذلك بما كانوا يطيعون في شهر رمضان وكنتم تعصون... فتلك نتائج أفعالهم الحسنة وهذه نتائج أفعالكم القبيحة، فهم في الجنة خالدون، ولا يشيبون فيها، ولا يهرمون... ولا يخرجون، ولا يقلقون فيها ولا يغتمّون، بل هم فيها سارون مبتهجون، آمنون مطمئنون، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأنتم في النار خالدون، تعذبون فيها وتهانون، ومن نيرانها إلى زمهريرها تنقلون، وفي حميمها تغمسون، ومن زقومها تطعمون، ووبمقامعها تقمعون، وبضروب عذابها تعاقبون... ولا تموتون أبد الآبدين، إلا من لحقته منكم رحمة ربِّ العالمين، فخرج منها بشفاعة محمد أفضل النبيين، بعد العذاب الأليم، والنكال الشديد)[١].

هذه نظرة مقتضبة عن قدسية بعض الأزمنة وأما الأمكنة فأيضاً بعضها مقدس ومنها:

قدسية المساجد العامة أو المساجد الخاصة: من قبيل المسجد النبوي على مشرِّفيه أفضل التحية والسلام، ومسجد الكوفة، ولهذا ورد عنهم عليهم السلام بخصوص مسجد الكوفة عدة أحاديث ومنها:

- عن محمد بن الحسن، عن هارون بن خارجة قال: قال لي الإمام الصادق عليه السلام: (كم بين منزلك وبين مسجد الكوفة؟ فأخبرته،

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٧/ ص ١٩٠).

فقال: ما بقي ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح دخل الكوفة إلا وقد صلى فيه، وإن رسول الله ﷺ مر به ليلة أسري به فاستأذن له الملك فصلّى فيه ركعتين، والصلاة الفريضة فيه ألف صلاة والنافلة فيه خمسمئة صلاة، والجلوس فيه من غير تلاوة وقرآن عبادة، فأته ولو زحفاً)(١).

- عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: (يا بن مسعود، لمّا أُسري بي إلى السماء الدنيا أراني مسجد كوفان فقلت: يا جبرئيل ما هذا؟ قال: مسجد مبارك كثير الخير عظيم البركة اختار الله لأهله وهو يشفع لهم يوم القيامة...، وذكر الحديث بطوله في مسجد الكوفة)(٢).

ومن هنا نفهم معنى الحديث (إن لربكم في أيام دهركم نفحاتٍ ألا فتعرضوا لها)(٣).

سؤال: هل نزل القرآن في كل شهر رمضان؟

الجواب: قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ١-٤].

سؤال: ما هي تلك الليلة؟

الجواب: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القَدر: ١].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٧/ ص ٣٩١).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٧/ ص ٣٩٤).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٧/ ص ٩٥).

إذاً من خلال الجمع بين هذه الآيات نحصل على:

١ - الضمير في أنزلناه يعود على القرآن الكريم.

٢ - نزول القرآن في شهر رمضان.

٣ - نزوله في ليلة واحدة وهي ليلة القدر.

٤ - أن لله أزمنة وأمكنة فيها نفحات ربانية.

ولهذا تكون ليلة القدر من أعظم الليالي وأقدسها وعليه يجب على المؤمنين أن يحيوا هذه الليلة وفق المنهج الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام ويمكن الاستفادة من أحاديثهم عليهم السلام على النحو التالي:

أولاً: عظمة ليلة القدر في الأحاديث

يقول الشيخ عباس القمّي عليه الرحمة: ليلة القدر هي ليلة لا يضاهيها في الفضل سواها من اللّيالي، والعمل فيها خير من عمل ألف شهر، وفيها يقدّر شؤون السّنة، وفيها تنزّل الملائكة والرّوح الأعظم بإذن الله، فتمضي إلى إمام العصر عليه السلام وتتشرّف بالحضور لديه، فتعرض عليه ما قدر لكلّ احد من المقدّرات... ومن الأحاديث الدالة على عظمتها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (... فإذا كانت ليلة القدر أمر الله عزّ وجلّ جبرئيل فهبط في كتيبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله ستمئة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب، ويبث جبرئيل الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد مصلٍّ وذاكر، ويصافحونهم، ويؤمنون على دعائهم، حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر نادى جبرئيل: يا

معشر الملائكة، الرحيل الرحيل، فيقولون يا جبرئيل، فما صنع الله تعالى في حوائج المؤمنين من أمة محمد ﷺ؟ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة قال: فقال رسول الله ﷺ: وهؤلاء الأربعة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والقاطع الرحم والمشاحن)(١) (٢).

- ففي الحديث: مَنْ أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السّماء ومثاقيل الجبال ومكائيل البحار(٣).

ثانياً: أهل البيت عليهم السلام وليلة القدر

إنّ رسول الله ﷺ كان يطوي فراشه ويشدّ مئزره للعبادة في العشر الأواخر من شهر رمضان، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين، وكان يرشّ وجوه النّيام بالماء في تلك اللّيلة، وكانت فاطمة صلوات الله عليها لا تدع أهلها ينامون في تلك اللّيلة وتعالجهم بقلّة الطّعام وتتأهّب لها من النّهار، أي كانت تأمرهم بالنّوم نهاراً لئلّا يغلب عليهم النّعاس ليلاً، وتقول: محروم من حُرم خيرها(٤).

- وروي أن الإمام الصّادق عليه السلام كان مدنفاً فأمر فأخرج إلى المسجد فكان فيه حتّى أصبح ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان(٥).

---

(١) المشاحن: المباغض الممتلئ عداوة.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٣/ ص ٣٣٨).
(٣) مفاتيح الجنان ص ٤٤٤ ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام ص ٢٢٥.
(٤) المصدر: ٢٣٦.
(٥) المصدر: ٢٣٦..

ثالثاً: الأعمال المستحبّة في تلك الليلة(١)

الأول: الغُسل(٢)، قال العلامة المجلسي رَحِمَهُ الله: الأفضل أن يغتسل عند غروب الشّمس ليكون على غسل لصلاة العشاء.

الثّاني: الصّلاة ركعتين(٣) يقرأ في كلّ ركعة بعد الحمد التّوحيد سبع مرّات ويقول بعد الفراغ سبعين مرّة أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ، وفي النّبوي: من فعل ذلك لا يقوم من مقامه حتّى يغفر الله له ولأبويه.

الثّالث: تأخذ المصحف فتنشره وتضعه بين يديك وتقول: اَللّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ بِكِتابِكَ وَما فيهِ وَفيهِ اسْمُكَ الأَكْبَرُ وَأَسْماؤُكَ الْحُسْنى، وَما يُخافُ وَيُرْجى أَنْ تَجْعَلَني مِنْ عُتَقائِكَ مِنَ النّارِ. وتدعو بما بدا لك من حاجة.

الرّابع: خذ المُصحف فدعه على رأسك وقُل: اَللّهُمَّ بِحَقِّ هذَا الْقُرْآنِ، وَبِحَقِّ مَنْ أَرْسَلْتَهُ بِهِ، وَبِحَقِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَدَحْتَهُ فيهِ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْهِمْ، فَلا أَحَدَ أَعْرَفُ بِحَقِّكَ مِنْكَ. ثمَّ قُل عَشر مرّات: بِكَ يااللهُ وعَشر مرّات بِمُحَمَّدٍ وعَشر مرّات بِعَلِيٍّ وعَشر مرّات بِفاطِمَةَ وعَشر مرّات بِالْحَسَنِ وعَشر مرّات بِالْحُسَيْنِ وعَشر مرّات بِعَلِي بْنِ الْحُسَيْنِ وعَشر مرّات بُمحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وعَشر مرّات بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد وعَشر مرّات بِمُوسَى

---

(١) مفاتيح الجنان ص ٤٤٤ ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام ص ٢٢٥، ٢٣٤.

(٢) بنية القربة إلى الله وهو مجزٍ عن الوضوء لأنه ثابت استحبابه عند العلمين الخوئي والسيستاني، راجع الأغسال المستحبة في الرسائل العملية. ولم يثبت استحبابه عند الشهيد الصدر كما جاء في المنهج ج١ الاغسال الزمانية مسألة [مسألة ٣٩٥] وعليه يؤتى به بنية رجاء المطلوبية وهو غير مجزٍ عن الوضوء.

(٣) بنية أعمال ليلة القدر.

بْنِ جَعْفَر وعَشر مرّات بِعَلِيِّ بْنِ مُوسى وعَشر مرّات بِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وعَشر مرّات بِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّد وعَشر مرّات بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وعَشر مرّات بِالْحُجَّةِ. وتسأل حاجتك.

الخامس: زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الحديث أنّه إذا كان ليلة القدر نادى منادٍ من السّماء السّابعة من بطنان العرش: إنّ الله قد غفر لمن زار قبر الحسين عليه السلام . . . عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: إذا أردت زيارته عليه السلام . . . فقُل: «اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ الصِّديقَةِ الطّاهِرَةِ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ الْعالَمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ أَبا عبد الله وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ وَآتَيْتَ الزَّكاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَلَوْتَ الْكِتابَ حَقَّ تِلاوَتِهِ وَجاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ وَصَبَرْتَ عَلَى الْأَذى فِي جَنْبِهِ مُحْتَسِباً حَتّى أَتاكَ الْيَقينُ، أَشْهَدُ أَنَّ الَّذينَ خالَفُوكَ وَحارَبُوكَ وَالَّذينَ خَذَلُوكَ وَالَّذينَ قَتَلُوكَ مَلْعُونونَ عَلى لِسانِ النَّبِيِّ الْأُمّي وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى، لَعَنَ اللهُ الظّالِمينَ لَكُمْ مِنَ الْأَوَّلينَ وَالْآخِرينَ وَضاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ الْأَليمَ، أَتَيْتُكَ يا مَوْلايَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ زائِراً عارِفاً بِحَقِّكَ مُوالِياً لِأَوْلِيائِكَ مُعادِياً لِأَعْدائِكَ، مُسْتَبْصِراً بِالْهُدَى الّذي أَنْتَ عَلَيْهِ، عارِفاً بِضَلالَةِ مَنْ خالَفَكَ، فَاشْفَعْ لي عِنْدَ رَبِّكَ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا حُجَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمائِهِ، صَلَّى اللهُ عَلى رُوحِكَ الطَّيِّبِ وَجَسَدِكَ الطّاهِرِ، وَعَلَيْكَ السَّلامُ يا مَوْلايَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ»(١).

(١) مفاتيح الجنان ص ٤٤٤ ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام ص ٥١٧.

زيارة علي بن الحسين عليه السلام شهيد كربلاء

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا مَوْلايَ وَابْنَ مَوْلايَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، لَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَضاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ الْأَليمَ»، وادعُ بما تريد.

زيارة شهداء الطف «رضوان الله عليهم»

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الصِّدّيقُونَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الشُّهَداءُ الصّابِرُونَ، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ جاهَدْتُمْ فِي سَبيلِ اللهِ وَصَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذى فِي جَنْبِ اللهِ، وَنَصَحْتُمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ حَتّى أَتاكُمُ الْيَقينُ، أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ تُرْزَقُونَ، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنِ الْإِسْلامِ وَأَهْلِهِ أَفْضَلَ جَزاءِ الْمحْسِنينَ، وَجَمَعَ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ فِي مَحَلِّ النَّعيمِ».

زيارة العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام

«اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بْنَ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ الْمُطيعُ للهِ وَلِرَسُولِهِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ جاهَدْتَ وَنَصَحْتَ وَصَبَرْتَ حَتّى اَتاكَ الْيَقينُ، لَعَنَ اللهُ الظّالِمينَ لَكُمْ مِنَ الْأَوَّلينَ وَالْآخِرينَ وَأَلْحَقَهُمْ بِدَرْكِ الْجَحيمِ».

السادس: إحياء هذه الليالي الثلاث، ففي الحديث: «من أحيا ليلة القدر غُفِرت له ذنوبه ولو كانت ذنوبه عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار».

السّابع: الصّلاة مئة ركعة فانّها ذات فضل كثير، والأفضل أن يقرأ في كلّ ركعة بعد الحمد التّوحيد عشر مرّات.

الثّامن: تقول: «اَللّهُمَّ إِنّي أَمْسَيْتُ لَكَ عَبْداً داخِراً لا أَمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعاً وَلا ضَرّاً، وَلا أَصْرِفُ عَنْها سُوءاً، أَشْهَدُ بِذلِكَ عَلى نَفْسي، وَأَعْتَرِفُ لَكَ بِضَعْفِ قُوَّتي، وَقِلَّةِ حيلَتي، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني وَجَميعَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ في هذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَتْمِمْ عَلَيَّ ما آتَيْتَني فَإِنّي عَبْدُكَ الْمِسْكينُ الْمُسْتَكينُ الضَّعيفُ الْفَقيرُ الْمَهينُ، اَللّهُمَّ لا تَجْعَلْني ناسِياً لِذِكْرِكَ فيما أَوْلَيْتَني، وَلا لإِحْسانِكَ فيما أَعْطَيْتَني، وَلا آيِساً مِنْ إِجابَتِكَ وَإِنْ أَبْطَأَتْ عَنّي، في سَرّاءَ أَوْ ضَرّاءَ، أَوْ شِدَّة أَوْ رَخاء، أَوْ عافِيَة أَوْ بَلاء، أَوْ بُؤْس أَوْ نَعْماءَ إِنَّكَ سَميعُ الدُّعاءِ».

التاسع: قراءة سورتي العنكبوت والرّوم، وقال الامام الصّادق عليه السلام: «إنّ من قرأ هاتين السّورتين في هذه اللّيلة كان من أهل الجنّة».

العاشر: قراءة سورة حم دُخّان.

الحادي عشر: قراءة سورة القدر ألف مرّة.

الثاني عشر: أن يكرّر في هذه اللّيلة بل في جميع الأوقات هذا الدّعاء (اللّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آبائِهِ في هذِهِ السَّاعَةِ وَفي كُلِّ ساعَة وَلِيّاً وَحافِظاً وَقائِداً وَناصِراً وَدَليلاً وَعَيْناً حَتّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلاً) (وتقول أيضاً) يا مُدَبِّرَ الأُمُورِ، يا باعِثَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، يا مُجْرِيَ الْبُحُورِ، يا مُلَيِّنَ الْحَديدِ لِداوُدَ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآل مُحَمد وافْعَلْ بي كَذ وَكَذا (وتسْأل حاجتك) اللَّيْلَةَ اللَّيْلَةَ.

وارفع يديك إلى السّماء أي عند قولك يا مُدَبِّرَ الأُمُورِ إلى آخر الدّعاء وادعُ بهذا الدّعاء راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً وكرّره وادعُ به في اللّيلة الأخيرة أيضاً.

الثالث عشر: يقول: «اَللّهُمَّ امْدُدْ لي في عُمْري، وَأَوْسِعْ عليَّ في رِزْقي، وَأَصِحَّ لي جِسْمي، وَبَلِّغْني أَمَلي، وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الْأَشْقِياءِ فَامْحُني مِنَ الْأَشْقِياءِ، وَاكْتُبْني مِنَ السُّعَداءِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ في كِتابِكَ الْمُنْزَلِ عَلى نَبِيِّكَ الْمُرْسَلِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ)».

الرابع عشر: يقول: «اللّهُمَّ اجْعَلْ فيما تَقْضي وَفيما تُقَدِّرُ مِنَ الْأَمْرِ الْمحْتُومِ، وَفيما تَفْرُقُ مِنَ الْأَمْرِ الْحَكيمِ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ، مِنَ الْقَضاءِ الَّذي لا يُرَدُّ وَلا يُبَدَّلُ أَنْ تَكْتُبَني مِنْ حُجّاجِ بَيْتِكَ الْحَرامِ في عامي هذا الْمَبْرُورِ حَجُّهُمُ الْمَشْكُورِ سَعْيُهُمُ، الْمَغْفُورِ ذُنُوبُهُمُ، الْمُكَفَّرِ عَنْهُمْ سَيِّئاتُهُمْ، وَاجْعَلْ فيما تَقْضي وَتُقَدِّرُ أَنْ تُطيلَ عُمْري وَتُوَسِّعَ لي في رِزْقي».

الخامس عشر: يدعو بهذا الدّعاء المروي في الإقبال:

«يا باطِناً في ظُهُورِهِ، وَيا ظاهِراً في بُطُونِهِ وَيا باطِناً لَيْسَ يَخْفى، وَيا ظاهِراً لَيْسَ يُرى، يا مَوْصُوفاً لا يَبْلُغُ بِكَيْنُونَتِهِ مَوْصُوفٌ وَلا حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَيا غائِباً غَيْرَ مَفْقُود، وَيا شاهِداً غَيْرَ مَشْهُود، يُطْلَبُ فَيُصابُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْهُ السَّمواتُ وَالْأَرْضُ وَما بَيْنَهُما طَرْفَةَ عَيْن، لا يُدْرَكُ بِكَيْف وَلا يُؤَيَّنُ بِأَيْن وَلا بِحَيْث، أَنْتَ نُورُ النُّورِ وَرَبُّ الْأَرْبابِ، أَحَطْتَ بِجَميعِ الْأُمُورِ، سُبْحانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ سُبْحانَ مَنْ هُوَ هكَذا وَلا هكَذا غَيْرُهُ. ثمّ تدعو بما تشاء».

السادس عشر: أن يأتي غسلاً[(١)] آخر في آخر اللّيل سوى ما يغتسله في أوّله.

- قال العلّامة المجلسي رحمه الله: إنّ أفضل الأعمال في هذه اللّيالي هو الاستغفار والدّعاء لمطالب الدّنيا والآخرة للنّفس وللوالدين والأقارب وللأخوان المؤمنين الأحياء منهم والأموات والذّكر والصّلاة على محمّد وآل محمّد ما تيسّر، وقد ورد في بعض الأحاديث استحباب قراءة دعاء الجوشن الكبير في هذه اللّيالي الثّلاث.

وقد روي أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: ماذا أسأل الله تعالى إذا أدركت ليلة القدر؟ قال: العافية.

عود على بدء... من أجل فهم مفردة (أنزلناه) من سورة القدر نطرح السؤال التالي.

سؤال: لماذا عبّر القرآن بـ (أنزلناه)؟

الجواب: يشير القرآن إلى حقيقة مفادها أن القرآن أنزله من موضع عالٍ إلى دانٍ قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٣-٤].

سؤال: هل هذا الموضع مرتبط بالزمان والمكان؟

الجواب: هذا الموضع عالٍ مجرد من الزمان والمكان؛ لأنه من عالم الملكوت قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

(١) يؤتى به بنية رجاء المطلوبية وهو لايجزي عن الوضوء لعدم ثبوت استحبابه/ المسائل المنتخبة الخوئي والسيستاني/ الأغسال المستحبة: ٦٦: ط١: دار الصفوة: ٢٠٠٧.

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٢-٨٣] وليس من عالمنا عالم الملك المرتبط بالزمان والمكان، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المُلك: ١].

سؤال: أهذه الحقيقة (أي عالم الملكوت) من مختصات القرآن الكريم أم لكل شيء ملكوت وباطن؟

الجواب: بالرجوع الى الآيات تتضح الإجابة ومنها:

- قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحَديد: ٢٥] (١).
- قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزُّمَر: ٦].
- قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: ٢١].

إذاً من خلال الجمع بين هذه الآيات نحصل على:

١ - الإنزال من الناحية اللغوية والمضمونية يستلزم النزول من مكان عال إلى دان.

٢ - ليس القرآن وحده له خزائن وعالم ملكوت بل كل ما صدق عليه شيء.

٣ - عالم الملكوت ليس له زمان ومكان بخلاف عالم الملك.

---

(١) الآية بينت مهمة الأنبياء عليهم السلام وهي إقامة العدل وذكرت الحديد إشارة إلى القوة لأن العدل مثلما يحتاج إلى الموعظة الحسنة يحتاج إلى القوة/ مستفاد من دروس آية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله.

٤ - تجسم الأعمال أو ظهور حقائقها يوم القيامة، ومن هنا جاءت نظرية تجسم الأعمال وتعني أن الأعمال التي نعملها سواء كانت:

- أعمالاً مرتبطة بالجوارح من قبيل الصلاة والصوم والحجّ ونحو ذلك.
- أم أعمالاً مرتبطة بالجوانح أي الاعتقادات والإيمان من قبيل الولاية، والتوحيد، والإيمان باليوم الآخر...

أعمال مرتبطة بالأخلاق والملكات من قبيل الجود، الشجاعة، الصدق ونحو ذلك.

هذه الأعمال الظاهرية لها وجود آخر في عوالم أخرى، ولها حقيقة أخرى في عالم الملكوت.

وسوف تتمثّل لنا في البرزخ، وستتجلّى لنا، وكلّ عمل سوف تكون له صورة تناسبه ويشهد لنا أو علينا(١).

والآيات والروايات واضحة الدلالة لبيان نظرية تجسم الأعمال ومنها:

أولاً: الآيات(٢)

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النِّساء: ١٠].

فالأكل لمال اليتيم كان في الدُّنيا يبدو لذيذاً، ولكن القرآن الكريم

(١) ينظر: المعاد رؤية قرآنية، ج٢، ص: ٢٠٨، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.
(٢) ينظر: المعاد رؤية قرآنية، ج٢، ص: ٢٢٦، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

يؤكّد خلاف هذه الحقيقة في عالم الآخرة، حيث تتحوّل هذه القضيّة من الأكل اللذيذ إلى أن تكون «يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ نَاراً» فالظاهر كان أكلاً لذيذاً، والباطن هو أكل النار، والإنسان إذا استطاع أن يفتح عين بصيرته في هذه النشأة فباستطاعته أن يرى ليس فقط ظاهر الأعمال، بل بواطنها قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٥-٦] (١).

- وقال تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التّحْريم: ٧].
- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨١]. حيث قال عَزَّوَجَلَّ : (مَا كُنْتُمْ ومَا كَسَبَتْ) ولم يقل بما كنتم، وبما كسبت، وهذا معناه: إنّ ما تجزونه هو نفس ما كنتم تعملون، أي إن العذاب الذي تعذّبون به هو نفس عملكم السيّئ الذي عملتموه وقد برزت لكم اليوم حقيقته.
- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

فالحاضر عندهم نفس الأعمال بصورها المناسبة لها لا كتابتها.

سؤال: إذا كان نفس العمل موجوداً مهيّأ له وهو في الدنيا فلماذا لايرى؟

الجواب: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] حيث يتبيّن من الآية: أن ما يشاهده الإنسان

(١) ولهذا نحن نعتقد أنّ المعصوم نبيّاً كان أم إماماً لا يفكّر حتّى بالمعصية فضلاً عن الإتيان بها؛ وذلك لأنّه يرى باطن المعصية.

يوم القيامة موجود مهيّأ له وهو في الدنيا، غير أنه في غفلة منه بسبب تعلّق الإنسان وهو في هذه النشأة بالأسباب الظاهرية وركونه إليها، وخاصّةُ يوم القيامة أنه يوم انكشاف الغطاء ومعاينة ما وراءه، ومن الواضح أن الغفلة لا تكون إلا عن معلوم حاضر، وكشف الغطاء لا يستقيم إلا عن مغطّى موجود، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجوداً حاضراً من قبل لما كان يصحّ أن يقال للإنسان إن هذه أمور كانت مغفولة لك مستورة عنك، فهي اليوم مكشوف عنها الغطاء مزالة منها الغفلة.

«لذا خاطبت الآية الإنسان بقوله: لَقَدْ كُنْتَ في الدنيا في غَفْلَةٍ أحاطت بك مِنْ هذَا الذي تشاهده وتعاينه وإن كان في الدنيا نصب عينيك لا يغيب، لكن تعلّقك بذيل الأسباب أذهلك وأغفلك عنه ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ﴾ [ق: ٢٢] وهو البصيرة وعين القلب الْيَوْمَ وهو يوم القيامة حَدِيدٌ أي نافذ يبصر ما لم يكن يبصره في الدنيا»[(١)].

ثانياً: الروايات

● قال رسول الله ﷺ: «القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران».

فالقبر يكون كذلك، لأنّ هذه هي تمثّلات أعمال الإنسان واعتقاداته، فإذا كانت حقّة وصحيحة، فسوف تكون تمثّلاتها روضة من رياض الجنّة، وإن كانت بالعكس فسيكون القبر حفرة من حفر النيران[(٢)].

(١) المعاد رؤية قرآنية، ج٢، ص: ٢٢٧، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.
(٢) المعاد رؤية قرآنية، ج١، ص: ٢١٠.

- وفي رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُبيِّن فيها تمثّلات الأعمال والاعتقادات الباطلة للإنسان في عالم القبر والبرزخ، وتحوّلها إلى حيّات: فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: «يا عباد الله، ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبرَ فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوامّ، والقبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حفر النار، إنّ العبد المؤمن إذا دُفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، قد كنت ممّن أحبّ أن تمشي على ظهري، فإذا وُلّيتك فستعلم كيف صنيعي بك، فيتّسع له مدّ البصر. وإنّ الكافر إذا دُفن قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً لقد كنت مِن أبغض مَن يمشي على ظهري فإذا ولّيتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّه حتّى تلتقي أضلاعه، وإنّ المعيشة الضنك التي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر، أنّه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنّيناً فينهشن لحمه، ويكسرن عظمه، يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يُبعث؛ لو أنّ تنّيناً منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعاً.

يا عباد الله، إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله واتركوا ما كره الله».

إيضاح: حول كلام الإمام عليه السلام وتخصيصه عدد التنّين بـ(تسعة وتسعين) قال المجلسي: «قال بعض أصحاب الحال: ولا ينبغي أن

يُتعجّب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات الرديّة، فإنّها تنشعب وتتنوّع أنواعاً كثيرة، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة»(١).

- عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلّموا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل فيقول له: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريّتك وأسلت دمعتك، أؤول معك حيثما أُلْتَ، وكل تاجر من وراء تجارته وأنا اليوم لك من وراء تجارة كل تاجر وسيأتيك كرامة من الله عز وجل فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخُلد في الجنان بيساره ويكسى حلّتين، ثم يقال له: اقرأ وارقَ. فكلّما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلَّتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن»(٢).

- عن سعد الخفّاف عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: يا سعد، تعلّموا القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف... فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين، نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشد اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نُعْطَه. ثم يجاوز حتى يأتي على صفّ الشهداء فينظرون

(١) المعاد رؤية قرآنية، ج١، ص: ٢١١.
(٢) المعاد رؤية قرآنية، ج٢، ص: ٢٢٢.

إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الربّ الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته.

قال: ثم يجاوز حتى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبي مرسل، فينظر النبيّون والمرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجبّهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا لَنبي مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنه أعطي فضلاً كثيراً، فيجتمعون فيأتون رسول الله ﷺ فيسألونه ويقولون: يا محمد، من هذا؟ فيقول لهم: أوَ ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه، هذا ممّن لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله ﷺ: هذا حجّة الله على خلقه فيسلّم.

ثم يجاوز حتى يأتي على صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب، فتنظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجبّهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون: تعالى ربّنا وتقدّس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّوجلّ مقاماً، فمن هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نلبس.

ثم يجاوز حتى يأتي إلى رب العزّة تبارك وتعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى: ياحجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق، ارفع رأسك وسل تُعْطَ واشفع تشفّع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي؟

فيقول: يا ربّ، منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيعني واستخفّ بحقي وكذّب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك. فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لَأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ولَأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب.

ثم يأتي الرجلَ من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله. قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول ويقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم.

فيقول القرآن: أنا الذي أسهرتُ ليلك وأنصبت عيشك، سمعت الأذى وزحمت بالقول فيَّ، ألا وإن كلّ تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم.

قال: فينطلق به إلى رب العزّة تبارك وتعالى فيقول: يا ربّ يا ربّ عبدك وأنت أعلم به، قد كان نصباً بيّ مواظباً عليّ، يعادي بسببي ويحبّ فيَّ ويبغض.

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ : أدخلوا عبدي جنّتي واكسوه حلّة من حلل الجنّة وتوّجوه بتاج.

فإذا فُعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صُنع بوليك؟ فيقول: يا ربّ إني أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه.

فيقول: وعزّتي وجلالي وعلّوي وارتفاع مكاني، لَأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته. ألا إنهم شباب لا يهرمون، وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون، ثم تلا هذه الآية: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦].

قال: قلت: جُعلت فداك يا أبا جعفر، وهل يتكلّم القرآن، فتبسّم ثم قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلّم...»[(١)].

---

(١) المعاد رؤية قرآنية، ج٢، ص: ٢٢٢.

- عن قيس بن عاصم عن النبي ﷺ أنه قال: «يا قيس، إن مع العزّ ذُلّاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شيء رقيباً وعلى كلّ شيء حسيباً، وإن لكلّ أجل كتاباً وإنه لابدّ لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً ألأمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإن صلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك»(١).
- عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط»(٢).
- عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة هي أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئة، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورة.

قال: فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجليه، وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أُتي عن يمينه، منعتْه التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست.

قال: فتقول أحسنهنّ صورة: من أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة،

---

(١) المعاد رؤية قرآنية، ج١، ص: ٣٤٣.
(٢) المعاد رؤية قرآنية، ج١، ص: ٢٠٩.

وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحجّ والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثمّ يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة، فتقول: أنا الولاية لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»[(١)].

- قال رسول الله ﷺ: أما إن الله عَزَّوَجَلَّ كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم فكذلك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم، فلله عَزَّوَجَلَّ على كل عبد رقباء من كل خلقه ومعقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه وألحاظه، والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه، والليالي والأيام والشهور شهوده عليه أو له، وسائر عباد الله المؤمنين شهوده عليه أو له، وحَفَظته الكاتبون أعمالَه شهود له أو عليه، فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له، وكم يكون يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه، إن الله عَزَّوَجَلَّ يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإماءه فيجمعهم في صعيد واحد، ينفدهم البصر[(٢)]، ويسمعهم الداعي، ويحشر الليالي والأيام، ويستشهد البقاع والشهور على أعمال العباد، فمن عمل صالحاً شهدت له

(١) المعاد رؤية قرآنية، ج١، ص: ٢١٠.

(٢) قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة وإنما هو بالمهملة، أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفد الشيء وأنفدته، وحمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن لأن الله يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده ويرون ما يصير إليه.

جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيسعد بذلك سعادة الأبد، ومن عمل سوءاً شهدت عليه جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيشقى بذلك شقاء الأبد، فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع - يوم التناد - وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يُرجى الخلاص، فإن من عرف حرمة رجب وشعبان ووصلهما بشهر رمضان - شهر الله الأعظم - شهدت له هذه الشهور يوم القيامة، وكان رجب وشعبان وشهر رمضان شهوده بتعظيمه لها، وينادي منادٍ: يا رجب ويا شعبان ويا شهر رمضان كيف عمل هذا العبد فيكم؟ وكيف كانت طاعته لله عزّوجلّ ؟ فيقول رجب وشعبان وشهر رمضان: يا ربنا، ما تزوّد منا إلا استعانة على طاعتك، واستمداداً لموارد فضلك، ولقد تعرض بجهده لرضاك، وطلب بطاقته محبتك، فقال للملائكة الموكلين بهذه الشهور: ماذا تقولون في هذه الشهادة لهذا العبد؟ فيقولون: يا ربنا، صدق رجب وشعبان وشهر رمضان، ما عرفناه إلا متلقياً في طاعتك، مجتهداً في طلب رضاك، صائراً فيه إلى البر والإحسان، ولقد كان بوصوله إلى هذه الشهور فرحاً مبتهجاً، أمل فيها رحمتك، ورجا فيها عفوك ومغفرتك، وكان مما منعته فيها ممتنعاً، وإلى ما ندبته إليه[1] فيها مسرعاً، لقد صام ببطنه وفرجه وسمعه وبصره وسائر جوارحه، ولقد ظمِئ في نهارها ونصب في ليلها، وكثرت نفقاته فيها على الفقراء والمساكين، وعظمت أياديه وإحسانه إلى عبادك، صحبها أكرم

(١) ندب فلاناً للأمر أو إلى الأمر: دعاه ورشحه للقيام وبه وحثه عليه.

صحبة، وودّعها أحسن توديع، أقام بعد انسلاخها عنه على طاعتك، ولم يهتك عند إدبارها ستور حرماتك، فنعم العبد هذا. فعند ذلك يأمر الله تعالى بهذا العبد إلى الجنة فتلقاه ملائكة الله بالحباء(١) والكرامات، ويحملونه على نُجُب النور وخيول البرق، ويصير إلى نعيم لا ينفد، ودار لا تبيد، لا يخرج سكانها، ولا يهرم شبانها ولا يشيب ولدانها، ولا ينفد سرورها وحبورها، ولا يبلى جديدها، ولا يتحول إلى الغموم سرورها، ولا يمسهم فيها نصب، ولا يمسهم فيها لغوب، قد أمنوا العذاب، وكُفوا سوء الحساب، وكرم منقلبهم ومثواهم(٢).

سؤال: إذا كان كل شيء يتمثل بصورة متناسبة مع العمل ويشهد على الإنسان ففي حال التوبة هل تشهد الملائكة والأعمال؟

الجواب: ... عن ابن محبوب... قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: كيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب(٣).

ولا بأس نستذكر قصص أحد التائبين للعبرة والعظة وتحت عنوان **(توبة رجل من بني إسرائيل)**(٤).

---

(١) الحباء: العطية.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٧/ ص ٣١٥).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٦/ ص ٢٨).
(٤) الموسوعة الرمضانية، آداب الضيافة، للسيد يوسف حلو الناجي، ج٢، ٧٥.

انقطع الغيث عن بني إسرائيل في زمن موسى (على نبينا وآله وعليه السلام)، فجاؤوا إلى موسى يتشاكون الفاقة والحاجة، وقالوا له: ادعُ لنا ربّك لينقذنا من هذه التهلكة.. فخرج موسى فيهم إلى الصحراء وصلّى بهم صلاة الاستسقاء، ودعوا ربّهم لينزل عليهم المطر.. إلّا أن المطر لم ينزل مع كثرتهم؛ إذ كان عددهم سبعين ألفاً، ومع إلحاحهم بالدعاء. فرفع موسى رأسه إلى السماء وقال: اللهم!.. إني أدعوك ومعي سبعون ألفاً فلا تستجيب لنا، فهل نقصت منزلتي عندك؟!.. فأوحى الله تعالى إليه: إن بينكم رجلاً عصى الله أربعين سنة، فقل له أن يخرج من بينكم حتّى أنزل عليكم المطر.

فقال موسى: يا ربّ!.. إن صوتي ضعيف فكيف أُسمعه سبعين ألف رجل؟..

فأوحى الله إليه: إنك إن قلت فنحن نوصل صوتك إليهم. فصاح موسى بصوت جهوري: من عصى الله أربعين سنة فليقم وليخرج من بيننا؛ لأن الله قطع عنا الغيث بسببه.

نهض ذلك العاصي وتلفت يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً قد خرج، فأدرك أنّه هو المقصود.. فقال في نفسه: ماذا أصنع؟! إذا قمت ورآني الناس عرفوني وفضحت بينهم، وإذا انا بقيت لا ينزل عليهم الغيث.. فجلس مكانه وندم من أعماق قلبه على قبائحه ومعاصيه، وتاب إلى ربّه.

ظهرت الغيوم على الفور وتراكمت ونزل عليهم الغيث، وسُقوا بأجمعهم.. فقال موسى: يا ربّ!.. لم يخرج من بيننا أحد، فكيف سقيتنا؟.. فنودي: «سقيتكم بالذي منعتكم به».. فقال موسى: يا رب!.. هل تريني هذا العاصي؟.. فقال له ربّه: لم أفضحه عندما كان

عاصياً، هل أفضحه الآن بعدما تاب؟.. يا موسى، إني عدو النمّامين، أفهل أنمّ، وأنا ستّار العيوب، فهل أهتك ستر عبادي؟!

قال الشاعر[١]:

إن تَجُد لي بالعفو لم أخشَ ذنباً   أو تَهَبْ لي زاداً أَمِنتُ العناءَ
أو تبيّض بالعفو وجهي فإنّي   لستُ أخشى صحيفةً سوداءَ

(١) رباعيات الخيام: ص٧.

فلسفة نظرية تجسُّم الأعمال

فلسفة نظرية تجسُّم الأعمال

سؤال: كيف تُفَسَّر نظرية تجسُّم الأعمال بحسب الدليل النقلي والعقلي؟

الجواب:

أولاً: بحسب الدليل النقلي(١).

أنّ الحكمة الأزلية لله سبحانه اقتضت أن تتمّ إدارة العالم وتدبير الوجود والكون من خلال النظام الأحسن، وهذه الحقيقة هي حاصل جمع بين الآيتين الكريمتين: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة: ٧]. إذاً هذا هو النظام الأحسن ومنه هذا الترابط بين العمل والجزاء.

ثانياً: بحسب الدليل العقلي(٢).

آمن جملة من المحقّقين أن كلّ قول أو فعل ما دام وجوده في النشأة المادّية الدنيوية فإنه لا حظّ له من الثبات، لأن الدنيا دار التجدّد والزوال، ولكنه يحصل منه أثر في النفس، فإذا تكرّر استحكم الأثر فصار ملكة راسخة.

---

(١) ينظر: التوحيد، ج٢، ص: ٤٢٧، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.
(٢) ينظر: المعاد رؤية قرآنية، ج٢، ص: ٢٢٥، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

مثاله الحرارة التي تحدث في الفحم فإنها ضعيفة أولاً وإذا اشتدّت تجمّرت ثم استضاءت ثم صارت صورة نارية محرقة لِما قارنها مضيئة لِما قابلها.

وكذلك الأحوال النفسانية إذا تضاعف قوّتها صارت ملكات راسخة وصوراً باطنة تكون مبادئ للآثار المختصة بها، فالنفوس الإنسانية في أوائل الفطرة كصحائف خالية من النقوش والصور تقبل كلّ خلق بسهولة، وإذا استحكمت فيها الأخلاق تعسّر قبولها لأضدادها، ولذلك سهل تعليم الأطفال وتأديبهم وتنقيش نفسهم بكلّ صورة وصِفة، ويتعسّر أو يتعذّر تعليم الرجال البالغين وردّهم عن الصفات الحاصلة لهم؛ لاستحكامها ورسوخها.

وهذه الملكات وأفعالها اللازمة لها إن كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة وموافقة الملائكة والأخيار، وإن كانت رديّة كانت مقتضية للألم والعذاب ومصاحبة الشياطين والأشرار.

وإن الهيئات النفسانية إذا اشتدّت وصارت ملكة تصير متمثّلة ومتصوّرة في عالم الباطن والملكوت بصورة يناسبها، إذ كلّ شيء يظهر في كلّ عالم بصورة خاصّة، فإن العلم في عالم اليقظة أمر عَرَضي يدرك بالعقل أو الوهم، وفي عالم النوم يظهر بصورة اللبن، فالظاهر في العالمين شي ء واحد وهو العلم لكنه تجلّى في كلّ عالم بصورة، والسرور يظهر في عالم النوم بصورة البكاء.

ومنه يظهر أنه قد يسرّك في عالم ما يسوءك في عالم آخر، فاللذّات الجسمانية التي تسرّك في هذا العالم تظهر في دار الجزاء بصورة تسوءك وتؤذيك، وتكرهها وتحمّل مشاقّ العبادات والطاعات والصبر على

المصائب والبليّات يسرّك في عالم الآخرة مع كونها مؤذية في هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصورة اسم الملَك إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال، واسم الشيطان إن كانت من أضدادها، وقد يطلق على الأولى اسم الغلمان والحور وأمثالهما وعلى الثانية اسم الحيّات والعقارب وأشباههما، ولا فرق بين الإطلاقين في المعنى وإنما الاختلاف في الاسم.

كيفيّة تنزُّل القرآن؟

كيفيّة تنزّل القرآن(١)

سؤال: أللقرآن مرتبة وجودية واحدة أم أكثر؟ وبعبارة أخرى: هل للقرآن نحوان من الوجود؟

الجواب: صرّحت الآيات الكريمة أنّ للقرآن:

أولاً: مرتبة ملكية (أُلْبِست لباس الألفاظ):

- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢].
- وقال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].
- وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].
- وقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

والنزول كما ذكر في اللّغة يستدعى علوّاً وسفلاً، قال الراغب في المفردات: «النزول في الأصل، هو انحطاط من علوٍّ، يقال: نزل عن دابّته ونزل في مكان كذا: حطّ رحله فيه»(٢).

---

(١) ينظر علم الإمام، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري دام ظله، ط٢، ١٤٣٣ هـ، دار فراقد، ص٨٨ - ٩٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٥٠٢ هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان، تحقيق وضبط: محمّد سيّد كيلاني: ص ٤٨٨.

سؤال: هل معنى ذلك أنّ القرآن كان في مكان عالٍ وأنّ الله تعالى أنزله نزولاً مكانيّاً، كما لو كان عندنا شيء ذو قيمة في مكان عالٍ ثمّ ننزّله إلى مكان آخر؟

الجواب: الواقع لكي نفهم هذه الحقيقة القرآنيّة لا بدّ من التمييز بين نحوين من النزول والتنزّل، استعملهما القرآن، وكثيراً ما يقع الخلط بينهما، ويفضي إلى التباسات كبيرة، هما:

الأوّل: النزول على نحو التجافي

هذا النحو من التنزّل لا يمكن تصوّره إلّا في عالم المادّة، ومن أهمّ خصائصه هو أنّ الشيء إذا كان في أعلى فهو غير موجود في الأسفل، وبالعكس، وقد استخدم القرآن الكريم هذا اللّون من النزول في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدَة: ١٦]، أي ترتفع جنوبهم عن الفراش، بنحوٍ عندما ينهض هؤلاء لا تبقى جنوبهم في المضجع بل تتجافى عنه وتتباعد.

الثاني: النزول على نحو التجلّي

هذا النحو من التنزّل يتميّز بخصوصيّة، هي أنّ الشيء المتنزّل لا يفقد وجوده في مرتبته السابقة بعد التنزّل، على العكس من النزول بالنحو الأوّل، فإنّ الشيء إذا نزل من أعلى لم يبق له وجود في المرتبة التي نزل منها.

يمكن تقريب ذلك بمثال من النشاط العلمي للإنسان، فإذا ما كانت عند الإنسان فكرة في ذهنه، ثمّ عمد إلى كتابتها على الورق، فإنّ هذه الفكرة تنزّلت من مرتبة وجودها في عقل الإنسان وصارت مكتوبة على الورق، ومن الواضح أنّ الفكرة في الوجود الذهني شيء وهي في

الوجود الكتبي شيءٌ آخر، لكن الفكرة عندما تنزّلت من مرتبة إلى أخرى لم يفقد الإنسان علمه بها، بل هي ما تزال تحافظ على وجودها قبل التنزّل وبعده، غاية ما هناك أنّها ظهرت في مرتبة أخرى من مراتب الوجود دون أن تفقد مرتبتها السابقة.

طبيعي أنّ للفكرة في مرتبتها الوجوديّة الجديدة أحكامها الخاصّة بها، فإنّ الفكرة وهي في الذهن موجودٌ مجرّد غير قابل للنقل والسرقة مثلاً، لكنّها وهي على الورق تنطبق عليها أحكام المادّة، فهي قابلة للانتقال والسرقة وما إلى ذلك. فالفكرة هي هي، وهي غيرها. هي هي لأنّ المضمون واحد، فما هو موجود في الذهن وما هو على الورق واحد، بيدَ أنّهما يختلفان في المرتبة الوجوديّة، فللفكرة في الذهن درجة وجوديّة مجرّدة عن المادّة، أمّا على الورق فهي في درجة وجوديّة أخرى. وهذا النحو من النزول هو الذي يصطلح عليه القرآن بالتجلّي كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وبهذا يتّضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]؛ فإنّ المراد من التنزّل من الخزائن الإلهيّة هو ظهور الأشياء في الكون بعدما لم تكن، وهو الذي يفسّر لنا حقيقة العلم الفعلي للحقّ تعالى، وهو ظهور معلوم الحقّ سبحانه على ما علمه من علمه في مقام الذات. ولازمه أنّ علم الله سبحانه الذاتي لا يتحوّل ويتنزّل ليكون علماً فعليّاً عينيّاً في الخارج، لأنّه لو كان كذلك لفقد مرتبته.

هذا كلّه بحسب قوس النزول، كذلك الأمر في قوس الصعود من هذا العالم إلى العوالم الأخرى، يقول سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ

ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، فليس معناه أنّ الإنسان إذا صعد مرتبة وجوديّة، فَقَدَ مرتبته السابقة، بل هو صعود على نحو التجلّي، كما أنّ ذاك تنزّل على نحو التجلّي.

إذا اتّضح ذلك، يتبيّن أنّ نزول القرآن الكريم ليس هو على نحو التجافي كما لا يخفى وإنّما هو على نحو التجلّي، وفقاً للقاعدة التي تحدّثت عنها الآية المباركة: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

سؤال: ما هي خصائص المرتبة الملكية؟

الجواب: تلبّست بألباس الألفاظ وذلك من أجل فهمها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢].

قابلة للتدرج والنسخ؛ قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النّحل: ٩٦].

متفرّعة عن الأصل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٣-٤].

ثانياً: المرتبة الملكوتية: قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾، فإنّه يدلّ على أنّ القرآن النازل كان عند الله أمراً أعلى وأحكم من أن تناله العقول أو يعرضه التقطّع والتفصّل.

سؤال: ما هي أسماء المرتبة العالية من القرآن؟

الجواب:

١ - أُمّ الكتاب: قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

٢ - الكتاب المكنون: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨].

٣ - اللّوح المحفوظ: قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

٤ - الكتاب المبين: قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ١-٢].

٥ - فإنّه ظاهر في أنّ هناك كتاباً مبيناً عَرَض عليه جعله مقروّاً عربيّاً، وإنّما أُلبس لباس القراءة والعربيّة ليعقله الناس، وإلّا فإنّه وهو في أُمّ الكتاب، والكتاب المكنون، واللّوح المحفوظ عند الله، عليٌّ لا يصعد إليه العقول، حكيمٌ لا يوجد فيه فصل. وفي الآية تعريف للكتاب المبين وأنّه أصل القرآن العربي المبين.

سؤال: ما هي خصائص المرتبة الملكوتية؟

الجواب: ١ - فوق علمنا عالم المحسوسات مجرد عن الألفاظ، ولهذا لاتفهم عن طريق العقل بل لها ادواتها الخاصة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

٢ - غير قابلة للتدرج والنسخ والتبديل؛ قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

٣ - هذه المرتبة هي الأصل الذي تفرع عنها المرتبة الملكية والتي أخذت لباس الألفاظ.

العلاقة بين المرتبة الملكوتية والملكية

سؤال: ما هي العلاقة بين المرتبة الملكوتية والملكية؟

الجواب: الملكوتية هي الأصل والملكية متفرعة عليها قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٣-٤].

سؤال: هل الوجود الملكوتي له مراتب متعددة؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]. إنّ هذه الخزائن متعدّدة؛ لقوله: ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ (حيث ذكرت الخزائن بصيغة الجمع، وأقلّ الجمع اثنان. وهذا يفيد أنّ ما من شيء في عالمنا إلّا ويعبّر عن مرتبة من الوجود، له فوقها خزائن، فيكون للشيء مراتب ثلاث، هي مرتبة هذا العالم ومرتبتان في تلك الخزائن وفق قاعدة أنّ أقلّ الجمع اثنان.

إنّه ثبت في الأبحاث الفلسفيّة أنّ الوجود الإمكاني له عوالم كلّية ثلاثة: عالم التجرّد العقلي، وعالم المثال المنفصل، وعالم المادّة والماديّات.

فالعالم العقلي، مجرّد تامّ ذاتاً وفعلاً عن المادّة وآثارها.

وعالم المثال، مجرّد عن المادّة دون آثارها من الأشكال والأبعاد والأوضاع وغيرها.

وعالم المادّة، لا يخلو ما فيها من الموجودات من تعلّق ما بالمادّة، وتستوعبه الحركة والتغيّر.

وبعبارة أخرى ان للأشياء في قوس النزول مراتب وهي (عالم الصقع الربوبي وعالم العقل وعالم المثال).

إذاً من خلال الآيات يتبين:

١ - للقرآن نحوان من الوجود ملكوتي غيبي وملكي ظاهري مشهود.

٢ - الملكوتي هو الاصل والملكي متفرع عليه.

٣ - الملكوتي غير قابل للتدرج والنسخ بخلاف الملكي.

٤ - الملكوتي لا طريق للعقل لفهمه والملكي يُفهم من خلال العقل.

طرق فهم مراتب القرآن

طرق فهم مراتب القرآن

فهم الوجود الملكي: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢].

هذه المرتبة تفهم عن طريق العقل بعد التمكّن من مقدمات اللغة وقواعد التفسير (المحكم والمتشابه، الناسخ والمنسوخ. . .) والمسماة بعلوم القرآن.

فهم الوجود الملكوتي: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

وطريق الوصول إلى باطن القرآن (الوجود الملكوتي) لمّا ثبت أن هذه المرتبة ليس من مقولة المفاهيم والأفكار النظريّة، إذاً فلا مجال لإدراكها بالقياسات الفلسفيّة والبراهين العقليّة فضلاً عن غيرها. قال الغزالي: «إنّ كشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة، لا مفتاح لها إلّا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلّية على الله تعالى، وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات، وهي رحمة من الله عزّ وجلّ تفيض على كلّ من يتعرّض لنفحاتها بقدر الرزق المعنوي وبحسب التعرّض

وبحسب قبول المحلّ وطهارة القلب، وذلك البحرُ الذي لا يُدرك غورُه ولا يُبلغ ساحلُه»(١).

وقال الطباطبائي معقّباً على قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٣-٤]: «المراد بكونه «عليّاً» أنّه رفيع القدر والمنزلة من أن تناله العقول، وبكونه «حكيماً» أنّه هناك (في بطونه) محكم غير مفصّل ولا مجزّأ إلى سور وآيات وجُمل وكلمات، كما هو كذلك بعد جعله قرآناً عربيّاً.

وهذان النعتان - أعني كونه عليّاً حكيماً - هما الموجبان لكون القرآن (في مرتبته العالية) وراء العقول البشريّة، فإنّ العقل في تفكّره لا ينال إلّا ما كان من قبيل المفاهيم والألفاظ أوّلاً، وكان مؤلّفاً من مقدّمات تصديقيّة يترتّب بعضها على بعض كما في الآيات والجمل القرآنيّة، وأمّا إذا كان الأمر وراء المفاهيم والألفاظ (كما هو الحال في باطن القرآن) وكان غير متجزّئ إلى أجزاء وفصول فلا طريق للعقل إلى نيله»(٢)، وإنّما الطريق إليه يمرّ من خلال طهارة القلب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] فإذا كان مرجع الضمير في قوله «لا يمسّه» إلى الكتاب المكنون، وهو الذي عبّر عنه بأُمّ الكتاب في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾، واللوح المحفوظ في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾

(١) إحياء علوم الدِّين: ج ١ ص ٩٩.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨ ص ٨٤.

[البروج: ٢١-٢٢] فسيكون المراد بالمسّ هو المسّ القلبي، والمراد بالطهارة طهارة الباطن.

سؤال: هل الطريق مغلق لفهم ملكوت القرآن؟

الجواب: يقول العلامة الطباطبائي قدس سره: إذا كان النشاط الذهني والفعّاليّة العقليّة قاصرَين عن التعاطي مع بطون القرآن بواقعها الوجودي الكامل، فإنّ ذلك لا يعني انسداد الطريق مطلقاً، بقدر ما يملي على الإنسان الارتقاء من طور في المعرفة أداته العقل إلى طور آخر أداته القلب(١).

إذاً المرحلة تبدأ من الظاهر وبالمعرفة العقليّة التي توفّر إدراكاً ناقصاً وتتحوّل إلى معدّ وحسب، أمّا إذا رامَ الإنسان استكمال الشوط فذلك لا يكون إلّا بقدم الولاية، حيث يبلغ ذلك الوضع الذي يقع فيه تجلّى الحقّ في قلبه بجميع أبعاده.

إذاً الوسيلة لفهم باطن القرآن أو الوجود الملكوتي هي (الطهارة) قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

سؤال: ما هي الطهارة؟

الجواب: الطهارة المطلوبة لفهم باطن القرآن هي الطهارة للأمور

---

(١) وهذا هو الذي يسمّى في كلمات العرفاء «طور وراء طور العقل»، قال القيصري في شرحه على الفصوص: «لأنّ طور المعرفة فوق طور الإدراك العقلي، وهو الكشف عن حقائق الأمور على ما هي عليه». شرح القيصري على فصوص الحكم،/للشيخ الأكبر محيي الدِّين بن عربى، المتوفّى ٦٣٨ ه: الفصّ الإبراهيمي، ص ١٧٩ ع ٢، وكذلك الفصّ العزيزي ص ٣٠٤.

المادّية والمعنويّة من الملكات والاعتقادات الحقة والأخلاق ونحوها.

والطهارة المادية من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفَال: ١١] حيث يشير بوضوح إلى المرتبة الظاهريّة من الطهارة.

والمعنوية قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التّوبَة: ١٠٣]، وهي مرتبة من الطهارة المعنويّة، لأنّ التعلّق بالأموال هو مرتبة من مراتب الرِّجس؛ لذا قال تعالى: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة: ١٢].

وأعلى مراتبها الطهارة القلبية وهي المطلوبة لفهم القرآن.

سؤال: ما هي الطهارة القلبية؟

الجواب: والمقصود من ذلك هو طهارة القلب من التوجّه عن كلّ ما سوى الله تعالى، وقد وصف الله تعالى قلب إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه المرتبة من الطهارة حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤].

عن سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألته عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٩] قال: «القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحدٌ سواه».

وكذلك ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذيل قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسَان: ٢١]، حيث قال: «يطهّرهم عن كلّ شيء سوى الله».

وهذه المرتبة من الطهارة لا تنطبق إلّا على الصنف الثالث من العباد الذين يعبدون الله تعالى لا خوفاً ولا طمعاً، وإنّما لأنّه أهلٌ للعبادة، كما

في الحديث المشهور: «إنّ الناس يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ على ثلاثة أوجه: فطبقة يعبدونه رغبةً في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء، وهو الطمع، وآخرون يعبدونه فَرَقاً من النار فتلك عبادة العبيد، وهي رهبة، ولكنّي أعبده حبّاً له عَزَّوَجَلَّ ، فتلك عبادة الكرام وهو الأمن؛ لقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النَّمل: ٨٩]، ولقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

سؤال: من هم مصاديق هذه الطهارة؟

الجواب: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

وبالرجوع إلى روايات النبي وسيرته صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يتبين لنا وبوضوح أن عنوان ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ لا ينطبق إلا على «علي وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُالسَّلَامُ » ومن تلك الروايات:

- ما أخرجه الترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قال: لمّا نزلت هذه الآية على النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٣٣] «في بيت أُمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء، ثمّ قال: اللّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً».

قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنتِ على مكانك وأنتِ على خير»(١).

(١) صحيح مسلم، ج ٤ ص ١٨٨٣.

- عن أبي الحمراء خادم رسول الله ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ، يجيء عند كلّ صلاة فجر فيأخذ بعضادة هذا الباب، ثمّ يقول: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، فيردّون عليه من البيت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: الصلاةَ رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٣٣].

قال: فقلت: يا أبا الحمراء، مَن كان في البيت؟

قال: عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام»(١).

إذاً الذين يمسّون القرآن في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقِعَة: ٧٩] هم أهل البيت عليهم السلام.

سؤال: ما هو المسّ؟

الجواب: قال العلامة المفسر الكبير الطباطبائي قدس سره: «والمعنى: لا يمسّ الكتاب المكنون الذي فيه القرآن إلّا المطهّرون، أو لا يمسّ القرآن الذي في الكتاب إلّا المطهّرون... فمسّه هو العلم به وهو في الكتاب المكنون.

والمطهّرون اسم مفعول من التطهير هم الذين طهّر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب أو ممّا هو أعظم من ذلك وأدقّ، وهو تطهير قلوبهم من التعلّق بغيره تعالى، وهذا المعنى من

(١) شواهد التنزيل، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحذاء النيسابوري الحنفي المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الأوقاف والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م: ج ٢ ص ٧٤.

التطهير هو المناسب للمسّ الذي هو العلم دون الطهارة من الحدث أو الخبث كما هو ظاهر»(١).

سؤال: العلم بباطن القرآن وملكوته مختص بأصحاب الكساء الخمسة أم يشمل التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام؟

الجواب:

- عن عبد الله بن العبّاس قال: «دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبّلهما ويقول: اللّهُمَّ والِ مَن والاهما وعادِ مَن عاداهما.

  قال ابن عبّاس: قلت: يا رسول الله، فكم الأئمة بعدك؟

  قال: بعدد حواريّ عيسى وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل.

  قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى عليّ فابنه محمّد، فإذا انقضى محمّد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمّد، فإذا انقضى محمّد فابنه عليّ، فإذا انقضى عليّ فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجّة»(٢).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩ ص ١٣٧.

(٢) كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر، تأليف: أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزّاز القمّي الرازي، من علماء القرن الرابع، حقّقه العَلَم الحجّة السيّد عبداللطيف الحسيني الكوه كمري الخوئي، انتشارات بيدار، مطبعة خيام، قم، ١٤٠١هـ: ص ١٦.

علم أهل البيت عليهم السلام بملكوت كل شيء

سؤال: أعلم أهل البيت عليهم السلام بملكوت القرآن أم بملكوت كل شيء؟

الجواب: لابد أن نعلم أن كل شيء له ظاهر وباطن وحقيقة، ولعلّ من أوضح الروايات في المقام ما ورد في الخبر الطويل في المعراج عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام . . . إلى أن قال: «فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث، وهم يأكلون الخبيث ويَدَعون الطيّب.

فسألت جبرئيل: مَن هؤلاء؟

فقال: الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال من أُمّتك.

قال: ثمّ مررتُ بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل، يُقرض اللحم من أجسامهم ويُلقى في أفواههم.

فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هم الهمّازون اللمّازون.

ثمّ مررتُ بأقوام ترضخ وجوههم ورؤوسهم بالصخر، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: الذين يتركون صلاة العشاء.

ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام يُقذف بالنار في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلونَ سعيراً.

ثمّ مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟

قال: فهم الذين يأكلون الرِّبا لا يقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، وإنّهم لبسبيل آل فرعون يُعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً، يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة؟ ولا يعلمون أنّ الساعة أدهى وأمرّ.

ثمّ مررتُ بنساء معلّقات بثديهنّ، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هنّ اللّواتي يورثن أموال أزواجهنّ أولاد غيرهم...»(١).

سؤال: لماذا لا نرى هذه الحقائق والبواطن؟

الجواب: قلنا إن هذا موقف على الطهارة... والآيات والروايات بينت ان هذه الحقائق تدرك بوسائل خاصة ومنها: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومن الواضح أنّ الجنّ والإنس لهم أعين وآذان ظاهريّة ينظرون ويسمعون بها، ومع ذلك نجد القرآن الكريم يستنكر عليهم ويقول لهم أعين وآذان لكن لا يبصرون ولا يسمعون بها، وهذا يكشف عن أنّ ثمّة رؤية وسمعاً غير الرؤية والسمع الظاهريين، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٦ ص ٢٣٩.

وقوله﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجْم: ١١].

إذاً هناك رؤية أخرى غير الرؤية المادّية التي يشترك فيها جميع البشر بما فيهم الكافر والفاسق، وتلك الرؤية هي الميزان الحقيقي لتمييز الناس.

وهذا ما أكّده جملة من المحقّقين في هذا المجال؛ قال الطباطبائي: «إنّه تعالى يثبت في كلامه قسماً من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصريّة الحسّية، وهي نوع شعور في الإنسان يشعر بالشيء بنفسه من غير استعمال آلة حسّية أو فكريّة»[١].

ومن الروايات ما روي... عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال في حديث طويل: «ألا إنّ للعبد أربع أعين: عينين يُبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينين يُبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه»[٢].

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٢٤٠.
(٢) الخصال، للصدوق: ص ٢٤٠.

علم أهل البيت عليهم السلام
بحقائق الأشياء وبما كان
ويكون وبإذن الله سبحانه

علم أهل البيت عليهم السلام بحقائق الأشياء وبما كان ويكون وبإذن الله سبحانه

أحد علومهم هو العلم بحقائق الأشياء، واستفاضت النصوص الروائيّة التي صرّحت أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يعلمون ملكوت السموات والأرض، ومن مصاديق ذلك(1):

أولاً: علمهم عليهم السلام بما في السموات والأرض: عن عبد الله بن مسكان قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] قال: كشط لإبراهيم السموات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك»(2).

ثانياً: علمهم عليهم السلام بحقائق الناس وبواطنهم: قال أبو بصير أحد المخلصين من شيعة الإمام الصادق عليه السلام: حججت مع الإمام الصادق عليه السلام، فلما كنا في الطواف، قلت له: جعلت فداك، أيغفر الله لهذا الخلق الذي يحج البيت بأجمعه؟

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد: ج ١ ص ٢٢٥، باب: ٢١، في أنّ الأئمّة عرض عليهم ملكوت السموات والأرض، الحديث: ٤٢٠.

(٢) أي عدم الخلود في النار.

قال عليه السلام : يا أبا بصير، إن أكثر من ترى من هؤلاء قردة وخنازير.

قلت: أرينهم!

فأمرّ يده على بصري وتكلم بكلمات فرأيتهم قردة خنازير، فهالني ذلك! ثم أمرّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا على ظاهرهم قال عليه السلام : يا أبا بصير، أنتم في الجنة تحبرون ولستم في أطباق النار. والله لا تجمع النار[١] منكم ثلاثة لا والله ولا اثنان لا والله ولا واحد[٢].

ثالثاً: **علمهم عليهم السلام بما نعمل**: والروايات دالة على ذلك ومنها:

- عن أبي سعيد الخدري، أنّ عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وددت أنّك عُمّرت فينا عمر نوح عليه السلام ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا عمار، حياتي خيرٌ لكم، ووفاتي ليس بشرٍّ لكم، أمّا في حياتي فتحدثون وأستغفر الله لكم، وأمّا بعد وفاتي فاتّقوا الله وأحسنوا الصلاة عليَّ وعلى أهل بيتي، فإنّكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم وقبائلكم، وإن يكن خيراً حمدت الله، وإن يكن سوءاً أستغفر الله لذنوبكم[٣].
- عن عبد الله بن أبان الزيات، وكان مكيناً عند الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: (قلت للرضا عليه السلام : ادعُ الله لي ولأهل بيتي، فقال: أولستُ أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة. قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ :

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧، ص ٧٩و ج ٦٨، ص ١١٨.

(٢) ينظر: محاسبة النفس، علي بن موسى بن طاووس (ت: ٦٦٤ هـ)، ط ٣، منشورات المكتبة الرضوية، طهران، ص ١٨. أيضاً: وسائل الشيعة، ج ١٦، كتاب جهاد النفس، أبواب جهاد النفس، الباب ١٠١، ح ٧، ص ١٠٩.

(٣) الأصول من الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب عرض الأعمال، ح ٤، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام)(١).

فذلكة حيدرية: يمكن أن نستفيد من الرواية عدة فوائد ومن خلال هذه التساؤلات:

سؤال: هل هناك تنافٍ بين عرض الأعمال عصر يوم الجمعة وعرض الأعمال يومياً؟

الجواب: هذه صيغ إثباتية متعدّدة لا تنافيَ بينها.

سؤال: الأعمال تعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط أم على كل أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب: يخاطب الإمام الراوي وهو ذو منزلة عنده، بأن «أعمالكم تعرض عليّ في كل يوم وليلة». ثمَّ عاد عليه السلام ليقسم أنّ المعني بقوله: (الْمُؤْمِنُونَ) في الآية هو علي بن أبي طالب.

وفي الحقيقة أنّه لا يعني التفسير بل بيان المصداق، وهذا بتعبير السيد الطباطبائي في(الميزان) من باب التطبيق والجري لا من باب التفسير. ففي الوقت الذي يقسم الإمام الرضا عليه السلام بأنّه (الْمُؤْمِنُونَ) هو علي بن أبي طالب، يشير إلى أن «أعمالكم تعرض عليَّ». ومعنى ذلك أن الإمام أمير المؤمنين أحد المصاديق والأئمة الباقين هم المصاديق الأُخر. فالأعمال تعرض على النبي وعلى الإمام علي والأئمة من بعده.

والروايات الدالّة على ذلك كثيرة ومنها:

- ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تعرض الأعمال يوم الخميس

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢٣/ ص ٣٤٥).

على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الأئمة عليهم السلام [(١)].

رابعاً: علمهم عليهم السلام بمعاش العباد: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال: «. . . أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربّي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمّة من أولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا. . . ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربّنا؛ لأنّ من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجلّ ومشيّته فينا».

خامساً: قدرتهم عليهم السلام على التصرف بالكون وهي المسماة بالولاية التكوينية:

والروايات ذات دلالة واضحة لا لبس فيها ومنها:

- عن مثنّى الحنّاط عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم، قلت: فرسول الله وارث الأنبياء، عَلِم ما كانوا عِلِموا؟ فقال لي: نعم، فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ فقال لي: نعم بإذن الله.

ثمّ قال عليه السلام: أُدنُ منّي يا أبا محمّد، فمسح يده على عيني ووجهي، فأبصرتُ الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيء في الدار.

قال: فقال: أتحبّ أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟

قلت: أعود كما كنت. قال: فمسح على عيني فعدتُ كما كنت.

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٦ ص ٦.

قال: فحدّثت به ابن أبي عمير، فقال: أشهدُ أنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ».

- عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «قلت له: الأئمة يحيون الموتى ويبرئون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟ قال: ما أعطى الله نبيّاً شيئاً قطّ إلّا وقد أعطاه الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، وأعطاه ما لم يكن عندهم.

قلت: وكلّ ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: نعم، ثمّ الحسن والحسين عليهما السلام بعدُ، ثمّ كلّ إمام إلى يوم القيامة، مع الزيادة التي تحدث في كلّ سنة وفي كلّ شهر، إي والله في كلّ ساعة»(١).

سؤال: إذا كانوا يعلمون بكل شيء فلماذا يُقتلون من قبل أعدائهم؟ ولماذا يتزوجون من نساء تسقيهم السم؟ ألا يعتبر إلقاء بالتهلكة؟

الجواب من وجهين:

الأول: لو سألنا هذا السؤال: ما هي الحكمة الإلهية التي اقتضت عدم إخبار الإنسان بنتائج عمله؟

الجواب: أنّ الحكمة الإلهيّة في التكليف تقتضي عدم إخبار الإنسان بمصيره وبنتائج أعماله وتكاليفه التي يمارسها، السبب في ذلك، إذ لو كان الإنسان مطّلعاً على نتيجة ما يمتثله من تكاليف ويمارسه من أفعال، لأفضى ذلك إلى ترك الإنسان لكثير من الأعمال والأفعال

---

(١) بصائر الدرجات الكبرى: ج ٢ ص ١٥، باب في الأئمّة أنّهم يحيون الموتى ويبرئون الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، الحديث: ٩٦٦.

الواجبة التي يعلم أنّها تؤدّي إلى تعرّضه للأذى حين امتثالها، وكذلك الأمر في جانب المحرّمات.

فمن الحكمة في ضوء هذه الحقيقة أن يخفي الله تعالى نتائج وعواقب ما يمارسه الإنسان من تكاليف وأفعال، لكي لا يؤثّر ذلك في سلوكه في امتثاله للتكاليف الإلهيّة.

والآن نأتي إلى هذا السؤال: هل اطلاع أهل البيت عليهم السلام على نتائج عملهم يؤثر في سلوكهم الخارجي؟

الجواب: أنّ علم أهل البيت عليهم السلام بنتائج ما يؤدّونه من تكاليف لا ينقض الغرض والحكمة من الإخفاء، لأنّهم يؤدّون ويمتثلون تكاليفهم سواء علموا بنتائجها أم لا.

فالإنسان المجاهد الذي يؤدّي ما عليه من تكليف، لا يبالي بالموت، فهو يقدم إلى المعركة سواء علم بأنّه يموت أم لا، ولعلّ أوضح مثال على ذلك هم أصحاب الحسين عليه السلام حينما أخبرهم بأنّهم سوف يُقتلون، فإنّ علمهم بنتيجة ما يقدمون عليه لم يؤثّر في أداء ما عليهم من تكليف، وهذا بخلاف من فرّوا وتخاذلوا عن نصرة الإمام عليه السلام لمّا علموا بمصيرهم وأنّهم سوف يُقتلون في المواجهة.

بناء على أن أهل البيت عليهم السلام وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الدرجات العالية من العصمة والقُرب الإلهي، فإنّهم يقدمون على امتثال ما عليهم من تكاليف إلهيّة وإن علموا أنّها سوف تودي بحياتهم وتعرّضهم إلى القتل والأذى وسبي العيال....

فالإمام عليّ عليه السلام حينما يخرج إلى المسجد ويعلم أنّه سوف يتعرّض لما تعرّض له على يد أشقى الأشقياء، إنّما هو لأجل أنّ تكليفه

الإلهي اقتضى ذلك، فإقدامه إنّما كان بمحض إرادته امتثالاً لأمر مولاه وهو دالّ بصراحة على انقياد الإمام وطاعته لله تعالى وإنّ ذلك تكليف إلهيّ لابدّ من امتثاله.

وهذا ما نجده بنحو واضح في النصّوص الصادرة عنهم عليهم السلام ومنها ما ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حيث قال: «يا حمران، إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام عليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منّا»(١).

إذاً فإنّهم عليهم السلام وإن علموا بمصائرهم، إلّا أنّ هذا العلم لا يؤثّر في سلوكهم الخارجي شيئاً، لأنّ تكاليفهم الشرعيّة ليست قائمة على هذا اللّون من العلم الخاصّ، وإنّما هي على أساس ما تمليه الأسباب والعلوم الظاهريّة، وهذا المعنى يقرّره المجلسي بقوله: «إنّ أحكامهم الشرعيّة منوطة بالعلوم الظاهرة لا بالعلوم الإلهاميّة»(٢).

إذاً نحصل على خلاصة الجواب وهو: أنّ الإمام عليه السلام، إذا علم أنّ الله تعالى أراد منه الإقدام على أمر معيّن، فهو يُقدم وإن علم أنّه يموت، وهذا ليس من الإلقاء في التهلكة كما قيل؛ لأنّه طاعة وامتثال لله تعالى لما فيه المصلحة للدِّين والأمّة، والفوز بالدرجات الرفيعة والكرامة الإلهيّة.

---

(١) الأصول من الكافي: ج ١ ص ٢٦٢، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، الحديث: ٤.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٤٨ ص ٢٣٦، تاريخ الإمام موسى بن جعفر، باب أحواله في الحبس إلى شهادته، ذيل الحديث: ٤٣.

الوجه الثاني للجواب: وحاصله أنّ أهل البيت عليهم السلام وإن كانوا يعلمون مصيرهم، إلّا أنّ علمهم هذا يحتمل أن يحصل فيه بداء وتغيّر عمّا كانوا يعلمونه، فمبيت أمير المؤمنين عليه السلام مثلاً في فراش النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة الهجرة، وإن كان يعلم أنّه لا يصيبه شيء، إلّا أنّ هذا العلم يمكن أن يحصل فيه بداء لله تعالى ويتغيّر عمّا هو عليه، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

نزول القرآن في ليلة واحدة

نزول القرآن في ليلة واحدة

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدّخَان: ٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القَدر: ١] هذه الطائفة من النصوص تشير إلى نزول القرآن في ليلة واحدة.

وهناك طائفة تشير إلى نزوله على مدى بعثة النبي ﷺ ومنها قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةًۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفُرقان: ٣٢] والتاريخ يثبت أنه نزل نجوماً وأن مبدأ نزوله السابع والعشرون من رجب بعثة النبي سلام الله عليه، فكيف التوفيق بين الآيات؟

سؤال: كيف نجمع بين الطائفتين والنزولين؟

الجواب: المراد من نزوله أي مبدأ نزوله ليلة القدر وليس جميعه لكن هذا الجواب يتنافى مع حقيقة ثابتة وأنه مبدأ نزوله يوم بعثه النبي عليه السلام.

بعد أن ثبت للقرآن نحوان من الوجود فإن نزوله في شهر رمضان وفي الليلة المباركة على قلب الخاتم بحقيقته العالية (الملكوتية) قال

تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدّخان: ٣] وتنزل تدرُّجاً ونجوماً بوجوده المادي (الملكي) قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣].

إذاً: يتبين أن النبي ﷺ وقف على جميع القرآن في ليلة القدر بحقيقته الملكوتية ومن ثم نزل نجوما بوجوده الملكي.

سؤال: إذا كان القرآن نزل في ليلة القدر، فكيف كانت بداية بعثة النّبي ﷺ في السابع والعشرين من شهر رجب ونزول سورة العلق طبقاً للروايات المشهورة؟

الجواب: إن نزول القرآن في شهر رمضان بصفة الجمع والكلية، في حين أن أوّل آياته نزلت في السابع والعشرين من رجب، كبداية للنزول التدريجي، وبذلك فلا مشكلة من هذه الناحية(١).

سؤال: ما هي الثمرة المترتبة على الوقوف الملكوتي للقرآن؟

الجواب: إن النبي ﷺ عندما أخذ بتمامه في ليلة القدر معناه وقوف النبي على كل سور القرآن وآياته ومعارفه قبل نزوله في الدنيا نجوماً وهذا ما أثبته القرآن بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

والروايات إشارة إلى ذلك؛ ومنها ما أورده القمي في تفسيره:

---

(١) تفسيرالأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي/ الجزء السادس عشر/ تفسير الآية ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

قال[1] وقوله الحقّ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءته قبل تمام نزول الآية والمعنى فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

(١) تفسير القمي: أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي: في ذيل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

عظمة يوم المبعث

عظمة يوم المبعث

تمهيد. . .

إن النبوة سفارة ربّانية ومهمة إلهية تتعيّن من قِبله سبحانه وتعالى لغرض رفد البشرية بالهداية اللازمة لها على مدى الحياة. وإن الله إنما يصطفي من عباده مَن يتمتّع بخصائص فذّة تجعله قادراً على أداء المهامّ الكبرى المرادة منه وتحقيقها بالنحو اللائق.

إذاً لا بدّ أن يكون المرسَل من قبله تعالى مستوعباً للرسالة وأهدافها وقادراً على أداء الدور المطلوب منه على مستوى التلقيّ والتبليغ والتبيين والتطبيق والدفاع والصيانة، وكل هذه المستويات من المسؤولية تتطلب العلم والبصيرة والمعرفة وسلامة النفس وصلاح الضمير والصبر والاستقامة والشجاعة والحلم والإنابة والعبوديّة لله والخشية منه والإخلاص له والعصمة والتسديد الرباني على طول الخط، ولم يكن خاتم المرسلين بدعاً من الرسل بل هو أكملهم وأعظمهم فهو أجمع لصفات كمالهم والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ومن أبده القضايا ومن مقتضيات طبائع الأشياء أن يكون المرشَّح لمهمّة ربانيّة كبرى على استعداد تام لتقبّلها وتنفيذها قبل أن يتولّى تلك المهمة أو يرشّح لأدائها. إذاً، لابد للنبي الخاتم أن يكون قد أحرز كل

متطلّبات حمل هذه المسؤولية الإلهية وتوافرت لديه كل الخصائص اللازمة لتحقيق هذه المهمة الربانية قبل البعثة المباركة.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

إذاً مصدر الوحي هو الله العزيز الحكيم، والمرسَلون رجالٌ يُوحي إليهم الله سبحانه معالم توحيده وعبادته ويجعلهم أئمةً يهدون بأمره كما يوحي إليهم تفاصيل الشريعة من فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهم القدوة لغيرهم في العبادة والتجسيد الحي للإسلام الحقيقي لله سبحانه.

وفيما يخص خاتم النبيين يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشّورى: ٧].

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) ... فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ [الشورى: ١٣-١٥].

ومن النصوص وأتقنها هو ما جاء عن ربيب الرسول وابن عمه ووصيّه الذي لم يفارقه قبل بعثته وعاشره طيلة حياته، إلى جانب أمانته في النقل ودقته في تصوير هذه الشخصية الفذة. فقد قال عن الفترة التي

سبقت البعثة النبوية وهو يتحدّث عن الرسول ﷺ : (ولقد قرن الله به ﷺ من لَدُن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثَر أمه. يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً. وقد كان يجاور كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري)(١).

ويتوافق هذا النص مع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فقد نزل هذا النص في بداية البعثة. والخُلق ملكة نفسية متجذرة في النفس لا تستحدث خلال أيام، فوصفُه بعظمة خُلُقه يكشف عن سبق اتصافه بهذه الصفة قبل البعثة المباركة.

وتتضح بجلاء بعض معالم شخصيته ﷺ قبل البعثة من خلال نص حفيده الإمام الصادق عليه السلام : إن الله عزّ وجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوسَ عباده(٢).

على أنّ الخلق العظيم جامع لتمام المكارم التي فسّرها النص الوارد عن النبيّ ﷺ حيث يقول: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق). فكيف يراد له تتميم مكارم الأخلاق وهو لم يتصف بها بعدُ؟! إذاً لابدّ من القول بأنّ النبيّ ﷺ كان قبل البعثة قد أحرز جميع المكارم ليكون وصفه بالخلق العظيم وصفاً صحيحاً ومنطقياً.

فالرسول قبل بعثته كان مثال الشخصية المتّزنة المتعادلة والواعية المتكاملة والجامعة لمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وحميد الأفعال.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة: ٢٩٢.
(٢) الكافي: ١/٦٦/ الحديث ٤.

والنصوص القرآنية التي تشير إلى ظاهرة الوحي الرسالي وكيفية تلقي الرسول ﷺ له تصرّح بشكل لا يقبل التردُّد بما كان عليه الرسول من الطمأنينة والثبات والاستجابة التامة لأوامر الله تعالى ونواهيه التي كان يتلقّاها قلبه الكريم، والآيات واضحة في ذلك ومنها:

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعَام: ٥٧].
- قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يُوسُف: ١٠٨][١].

كيفية نزول الوحي

قال الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام [٢]: إن رسول الله ﷺ لما ترك التجارة إلى الشام، وتصدَّق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده وينظر من قُلَله[٣] إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات، ويعبد الله حقَّ عبادته، فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله عزّ وجلّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلَّها وأطوعها وأخشعها وأخضعها أذن لأبواب السماء ففتحت ومحمد ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لَدُن ساق

(١) ينظر أعلام الهداية محمد المصطفى خاتم الأنبياء ﷺ: مجمع أهل البيت عليهم السلام العالمي: ٧٧ - ٨١.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٨/ ص ٢٠٥).
(٣) قُلَلُ الجبال: أعلاها.

العرش إلى رأس محمد وغرَّته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوَّق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه[١] وقال: يا محمد، اقرأ، قال: وما أَقرأ؟ قال يا محمد ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥] ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عَزَّوَجَلَّ ثم صعد إلى العلو ونزل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمى والنافض[٢] يقول: وقد اشتد عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ونسبتهم إياه إلى الجنون، وأنه يعتريه شيطان، وكان مِن أول أمره أعقل خلق الله، وأكرم براياه، وأبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يشرح صدره، ويشجّع قلبه، فأنطق الله الجبال والصخور والمدر، وكلما وصل إلى شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا رسول الله، أبشر، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد فضّلك وجملك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين، لا يَحْزُنْكَ أن تقول قريش إنك مجنون، وعن الدين مفتون، فإن الفاضل من فضّله ربُّ العالمين، والكريم من كرَّمه خالقُ الخلق أجمعين، فلا يضيقَن صدرك من تكذيب قريش وعُتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربك أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات، وسوف يَنعم ويفرح أولياؤك بوصيك علي بن أبي طالب، وسوف يبث علومك في العباد والبلاد بمفتاحك وباب مدينة حكمتك: علي بن أبي طالب، وسوف يقرُّ

(١) الضبع: وسط العضد، وهزّه: حركه.
(٢) النافض: حمى الرعدة.

عينك ببنتك فاطمة، وسوف يخرج منها ومن علي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وسوف ينشر في البلاد دينك وسوف يعظم أجور المحبين لك ولأخيك، وسوف يضع في يدك لواء الحمد فتضعه في يد أخيك علي، فيكون تحته كل نبي وصدّيق وشهيد، يكون قائدهم أجمعين إلى جنات النعيم، فقلت في سري: يا ربّ، مَن علي بن أبي طالب الذي وعدتني به؟وذلك بعد ما ولد علي عليه السلام وهو طفل، أهو ولد عمي؟! وقال بعد ذلك: لمّا تحرك علي وليداً وهو معه: أهو هذا؟ ففي كل مرة من ذلك أنزل عليه ميزان الجلال، فجُعل محمد في كفّةٍ منه، ومُثّل له علي عليه السلام وسائر الخلق من أمته إلى يوم القيامة في كفة فوزن بهم فرجح، ثم أُخرج محمد من الكفة وتُرك علي في كفة محمد التي كان فيها فوزن بسائر أمته فرجح بهم وعرفه رسول الله بعينه وصفته ونودي في سره: يا محمد، هذا علي بن أبي طالب صفييّ الذي أؤيد به هذا الدين، يرجح على جميع أمتك بعدك، فذلك حين شرح الله صدري بأداء الرسالة، وخفّف عني مكافحة الأمة، وسهّل علي مبارزة العُتاة الجبابرة من قريش.

سؤال: ماذا تعني بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى الإنسانية؟

الجواب: من خلال النظر إلى بعض النصوص القرآنية والروائية يتبين لنا أنها تعني:

١ - تربية وتعليم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجُمُعَة: ٢].

٢ - إنقاذ من الضلال والتيه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ

بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٣ - رحمة للعالمين؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٤ - بشارة وإنذار قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

٥ - إلفة بين القلوب، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٦ - هداية؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [التوبة: ٣٣].

٧ - هدى للإنسانية؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٧].

٨ - رفع الاختلاف؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النّحل: ٦٤].

٩ - تبيان لكل شيء؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النّحل: ٨٩].

١٠ - حياة الإنسانية؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

١١ - نور للطريق المعنوي والمادي؛ قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا

فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ١٢٢].

١٢ - أمان لأهل الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفَال: ٣٣].

١٣ - شاهد على الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ [النّحل: ٨٩].

١٤ - شاهد على أمته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المُزمّل: ١٥].

١٥ - الدعوة بالحكمة والموعظة قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النّحل: ١٢٥].

١٦ - تذكير الإنسانية بإنسانيتها؛ قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغَاشِيَة: ٢١].

١٧ - باب لقبول التوبة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: ٦٤].

١٨ - دعوة إلى الاستقامة؛ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هُود: ١١٢].

١٩ - دعوة إلى الحق؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ﴾ [الشّورى: ١٧].

٢٠ - إمحاء وإزالة الباطل؛ قال تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ﴾ [الشّورى: ٢٤].

٢١ - إتمام لمكارم الأخلاق؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

٢٢ - عزّة للمؤمنين والإنسانية؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن النصوص الروائية: عن أبي جعفر الثاني الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام قال: إن في رجب، ليلة هي خير للناس مما طلعت عليه الشمس، وهي ليلة سبع وعشرين منه، نُبِّئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صبيحتها..[1].

ويقول آية الله العظمى العارف بالله روح الله الخميني قُدِّس سرُّه: ليست قضية البعثة من القضايا التي يتسنّى لنا التحدّث حولها، كل ما نعلمه أن ثوراتٍ وتحولاتٍ حدثت ببعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما كانت لتبصر النور لولا ذلك، أرى من المتعذر على البشرية أن تدرك مقدار المعارف التي فاح أريجها في أرجاء العالم ببركة بعثة المبعث النبوي الشريف.

ويقول العلامة آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي دام ظله[2]: عندما فسر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٨.

(٢) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - ج ٢: ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إن الله سبحانه يقول واصفاً مهمات هذا النبي العظيم: (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي إنه ﷺ يقوم بثلاثة أُمور في حقّهم: تلاوة آيات الله على مسامعهم، وإيقافهم على هذه الآيات والكلمات الإلهية.

تعليمهم، بمعنى إدخال هذه الحقائق في أعماق ضمائرهم وقلوبهم.

تزكية نفوسهم، وتنمية قابلياتهم الخلقية، ومواهبهم الإنسانية.

إثارات ثلاث حول الآية

الأولى: لماذا بدأ الله سبحانه هذه النعمة العظيمة بـ«منّ» التي قد لا تبدو جميلة ولا مستحسنة في بادئ الأمر؟

الجواب: عندما نراجع مادة هذه اللفظة وأصلها اللغوي يتضح لنا الأمر غاية الوضوح، وتوضيحه هو: أن المنّ - كما قال الراغب في مفرداته: هو ما يوزن به، ولذلك أطلق على النعمة الثقيلة: المنّة، ويقال ذلك إذا كان ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة الجميلة الثمينة وهو حسن لا بأس فيه، أما إذا عظّم أحد - في القول والادعاء - ما قام به من حقير الخدمات والأفعال والصنائع فهو في غاية القبح.

وعلى هذا فإن المنّ المستقبح هو الذي يكون استعظاماً للصنائع والنعم في القول، أما المنّة المستحسنة فهي بذل النعم الكبرى والصنائع العظيمة.

الثانية: البعثة المحمدية - على مشرِّفها أفضل السلام - للإنسانية فلماذا خصت بالمؤمنين؟

الجواب: لأن المؤمنين هم الذين سيستفيدون بالنتيجة والمآل من هذه النعمة العظمى فهم الذين يستأثرون بآثارها عملاً دون غيرهم.

الثالثة: لماذا قدَّم التربية (التزكية) على التعليم؟

الجواب: الهدف الأصلي هو «التربية» لذلك قُدِّمت على «التعليم» مع أن الحال - من حيث الترتيب الطبيعي - تقتضي تقديم التعليم على التربية، ولكن الذين يبتعدون عن الحقائق الإنسانية بالمرة، ليس من السهل إخضاعهم للتربية، فلابدّ أولاً من إسماعهم آيات الله مدة من الزمن حتّى تذهب عنهم الوحشة التي وقعوا فريسة لها من قبل، ليتسنّى حينئذ إدخالهم في مرحلة التعليم، ثمّ يمكن اقتطاف ثمار التربية بعد ذلك.

ثم إن هناك احتمالاً آخر في تفسير الآية؛ وهو أن المقصود من التزكية هو التنقية من رواسب الجاهلية والشرك، ومن بقايا العقائد الباطلة والأفكار الخرافية، والأخلاق الحيوانية القبيحة؛ لأن الضمير الإنساني ما دام لم يطهر من الأدران والرواسب لا يمكن إعداده وتهيئته لتعليم الكتاب الإلهي، والحكمة والعلم الواقعيين، تماماً مثل اللوحة التي لا تقبل الألوان والنقوش الجميلة ما لم تنظَّف من النقوش القبيحة أولاً.

ولهذا السبب قُدّمت التزكية في الآية الحاضرة على تعليم الكتاب والحكمة التي يراد بها معارف الإسلام العالمية، ومفاهيمه السامية.

سؤال: لماذا نعطي هذه الأهمية والقيمة للبعثة النبوية؟

الجواب: إن أهمية هذه النعمة العظمى (البعثة النبوية) إنما تتضح تمام الوضوح وتتجلى تمام الجلاء عندما يقاس الوضع الذي آلوا إليه [العرب أو من بُعث إليهم النبي محمد ﷺ] بالوضع الذي كانوا عليه،

وملاحظة مدى التفاوت بينهما، وهذا هو ما يعنيه قوله: (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين).

وكأن القرآن يخاطبهم قائلاً: ارجعوا إلى الوراء وانظروا إلى ما كنتم عليه من سوء الحال قبل الإسلام، كيف كنتم، وكيف صرتم.

إن الجدير بالتأمل هو وصف القرآن الكريم للعهد الجاهلي بقوله: (ضلال مبين) لأن للضلال أنواعاً وأصنافاً: فمن الضلال ما لا يمكن معه للإنسان أن يميز بين الحق والباطل والخطأ والصواب بسهولة، ومن الضلال ما يكون بحيث لو رجع الإنسان إلى نفسه أدنى رجوع، وتمتع بأقل قدر من الإدراك والشعور اهتدى إلى الصواب وأدرك الخطأ فوراً.

ولقد كان الناس وخاصة سكان الجزيرة العربية - قبل البعثة النبوية المباركة، ومجيء الرسول الأكرم ﷺ بالإسلام - في ضلال مبين، فقد كان الشقاء والجهل، وغير ذلك من حالات الانحطاط والسقوط والفساد سائداً في كلّ أرجاء المعمورة في ذلك العصر، وهو أمر لم يكن خافياً على أحد.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
يصف حال العرب قبل البعثة

ولمعرفة الحقيقة بشكل أوضح فلنتأمل في هذه الوثيقة التاريخية لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يبيّن حال العرب قبل البعثة[1]...

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للعلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج٣: بيروت - لبنان، ص٣١٤.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : إنّ الله بعث محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نذيراً للعالمين، وأميناً على التّنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن وحيّات صمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة[(١)] [(٢)].

شرح الخطبة

أولاً: المعنى العام

الخطبة واردة في بيان حال العرب في أيّام الجاهليّة وما كانوا عليه يومئذ من الضّنك والضّيق، ومن سوء الحال في أمر المعاش والمعاد وتذكرة بما منّ الله سبحانه به عليهم من بعث الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيهم وتبديله سبحانه بوجوده الشّريف سوء حالهم حسن الحال في الدنيا والآخرة حيث جُعلوا ذوي رفاهيّة وسعة ونعمة، وفتحوا البلاد وغنموا الأموال وكسروا الجيوش وفاقوا الملوك، وكان لهم الذكر الباقي والشّرف الثّابت

(١) اللغة ((أناخ) النّاقة أبركها و(الصّم) بالضّم إمّا جمع صمّاء وهي الأرض الغليظة أو جمع أصمّ وهي الحيّة التي لا تقبل الرّقى، والرّجل الأصم لا يطمع فيه، ولا يردّ عن هواه، وأصمّه الله فهو أصمّ أي به انسداد السّمع وثقل الأذن و(كدر) كدراً وتكدّر نقيض صفا فهو كدر وكدر كفخذ وفخذ بكسر العين وسكونها و(جشب) الطعام فهو جَشِبٌ وجَشْبٌ أي غليظ أو بلا أدم و(المعصوبة المشدودة).

(٢) (وأنتم معشر العرب اهـ جملة حالية، منيخون خبر بعد خبر، وحيّات صمّ إن كان الصّم جمع صمّاء فالحيّات مضافة إليها وإن كان جمع أصمّ فهي صفة لها، وجملة تشربون وتاليها حالية أيضاً).

واهتدوا إلى دين الإسلام الذي هو طريق دار السلام فاكتسبوا السّعادة الباقية وفازوا بالمقامات العالية.

ثانياً: المعنى التفصيلي

(إنّ الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله نذيراً للعالمين) خصّ النّذارة بالذّكر واختارها على البشارة إذ المقصود في هذا المقام التّوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الغلظة والفظاظة، ولا ريب أنّ الإنذار أقوى في التّرقيق والرّدع، وذلك لأنّ عامّة الخلق إلّا قليلاً منهم أنظارهم مقصورة على زخارف الدّنيا وشهواتها غافلون عن نعم الآخرة ولذّاتها، فلا يرغبون عن النّعم الحاضرة بما يبشّرون بها من النّعم الغائبة، ولا يقابلون اللّذائذ الموجودة بالذائذ الموعودة، لكون هذه عندهم نقداً وتلك نسيئة وكان السّبب الأقوى في الرّدع والالتفات إلى الله إنّما هو الإنذار والتّخويف فاختار كونه نذيراً على كونه بشيراً (و) أردفه بكونه (أميناً على التّنزيل) غير خائن ولا مقصّر في تبليغ آياته ولا مبدّل لكلماته.

(وأنتم - معشرَ العرب - على شرّ دين) حيث عبدتم الأصنام والأوثان واتّخذتم لله الأنداد والشّركاء.

(وفي شرّ دار) أراد بها تهامة أو نجد أو البوادي التي كانوا يسكنونها، ثمّ فتح الله عليهم البلاد.

ووصفها بالشّرّ من حيث فساد أمر معاشهم فيها كما فسّره بقوله: (منيخون) أي مقيمون.

(بين حجارة خشن) صلب لا نداوة فيها ولا نبات.

(وحيّات صمّ) لأنّ أرض العرب على غلظتها وخشونتها ذات حيّات كثيرة، وعلى التّركيب الوصفي فالمراد بها الحيّات التي لا تقبل العوذة ولا تنزجر بالصّوت لشدّة قوّتها.

(تشربون الكدر) لأنّ غالب مياه العرب هو الغدران والآبار أمّا الغدران فأصلها ماء المطر ينزل على الأودية السّبخة والقفار الملحة فيسيل حتّى يقع في تلك الغدران فيكون مرّاً ملحاً أجاجاً ثمّ يتكدّر ويتعفّن من طول الزّمان ووقوع الشّمس عليها وتأثّره بها وأمّا الآبار فمضافاً إلى وقوع ماء المطر الموصوف فيها ربّما تنزل العشائر حولها وينيخون أباعرهم هنالك فتثير الرّياح أبوال الأباعر وأرواثها وسائر كثافات القوم بعد ارتحالهم من ذلك المكان حتّى تقع على تلك الآبار فيكون مياهها كثيفاً كدراً.

(وتأكلون الجشب) فإنّك تجد عامّتهم يأكل ما ذبّ من حيوان، وبعضهم يخلط الشّعير بنوى التّمر ويطحنها ويتّخذ منها خبزاً بل كانت العرب لم تعرف طيّبات الأطعمة إنّما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتّى أدرك معاوية فاتّخذ ألوان الأطعمة، قال أبو بردة: كانوا يقولون: مَن أكل الخبز سمن، فلمّا فتحنا خيبرَ أجهضناهم(١) عن خبزهم فقعدت عليه آكل وأنظر في أعطافي هل سمنت.

وقال خالد بن عمير العدوي: شهدت فتح الاملة فأصبنا سفينة مملوّة جوزاً، فقال رجل: ما هذه الحجارة؟ ثمّ كسر واحدة فقال: طعام طيّب، وقال بعضهم: أصابوا جرباً من الكافور فخالوها الملح فذاقوه

(١) أجهضناهم: أي أزلناهم.

فقالوا: لا ملوحة لهذا الملح ففطن ناس من أهل الخبرة فجعلوا يعطونهم جراباً من ملح ويأخذون جراباً من الكافور وقُدِّم إلى أعرابيّ خبز عليه لحم فأكل اللحم وترك الخبز وقال: خذ الطبق، وكان بنو أسد يأكلون الكلاب ولذلك قال الفرزدق:

إذا أسديّ جاع يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبه فهْو آكلُهْ

وقال بعضهم: نزلت برجل فأضافني فأتى بحيّة مشوية شوّاها فأطعمنيها ثمّ أتى بماء منتن فسقانيه فلمّا أردت الارتحال قال: ألا قمت لطعام طيّب وماء نمير؟

وكان أحدهم يتناول الشّعر المحلوق فيجعله في جفنة من الدّقيق ثمّ يأكله مع ما فيه من القمل، قال شاعرهم:

بني أسدٍ جاءت بكم قمليّة بها باطنٌ من داء سوءٍ وظاهرُهْ

ومن طعامهم الفظّ وهو ماء الكرش، وقيل لأعرابي: ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دبّ ودرج إلا أمّ حُبَيْن، فقال: لتهنَ أم حُبَيْن[1] العافية! وقال أبو نواس:

ولا تأخذ عن الأَعراب طعماً ولا عيشاً فعيشهمُ جديبُ

وكان روبة يأكل الفأر فقيل: لم لا تستقذره؟ فقال: هو والله لا يأكل إلّا فاخرات متاعنا!

وبنو تميم يُعيّرون بأكل الضب، قال أبو نواس في هجوهم.

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً فقل عدّ عن ذا، كيف أكلك للضبّ!

(١) أم حُبَين: قيل: هي أنثى الحرباء.

قال الأصمعي: دنوت من بعض الأخبية في البادية فسقيت لبناً في إناء فلمّا شربته قلت: هل كان هذاالإناء نظيفاً؟ فقيل: نعم نأكل منه في النّهار ونبول فيه باللّيالي فإذا أصبحنا سقينا فيه الكلب فلحسه ونقاه، فقلت: لعنك الله ولعن هذه النظافة.

(وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم) فانّ القتل والغارة كانا شعار العرب في أيّام الجاهليّة حتّى إنّ الوالد ربّما كان يقتل ولده وبالعكس قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٨-٩] قال ابن عبّاس: المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فإن ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاماً حبسته.

(الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة) استعار لفظ العصب للزوم الآثام لهم في تلك الحال.

ولهذا وجب على الإنسانية تعظيم هذا اليوم ولا سيما المؤمنين.

كيف نعظّم ليلة ويوم المبعث؟

بعد أن تعرفنا أهميةَ ليلة ويوم المبعث نطرح السؤال التالي: كيف نعظم هذا اليوم ونشكر الله على هذه النعمة؟ وهل وردت روايات تبين لنا خارطة عمل أو برنامجاً عملياً لشكر هذه النعمة؟

الجواب: عندما نرجع إلى كتب الأدعية ومنها مفاتيح الجنان نجد خارطة عمل واضحة المعالم، وقبل التعرف إلى البرنامج العملي فلنتأمل بما يقوله أئمتنا عليهم السلام عن عظمة ليلة المبعث ويومها ومقام العامل فيها

فهذا إمامنا الجواد عليه السلام يقول: إنّ في رجب ليلة هي خير للنّاس ممّا طلعت عليه الشّمس، وهي ليلة السّابع والعشرين منه نُبّئ رسول الله صلى الله عليه وآله في صبيحتها، وإنّ للعامل فيها من شيعتنا مثل أجر عمل ستّين سنة (١).

وصادق أهل البيت عليه السلام يقول: ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له أجر صيام سبعين سنة(٢).

البرنامج العبادي(٣)

أولاً: أعمال الليلة السابعة والعشرين من رجب (هذه الأعمال يؤتى بها قبل منتصف الليل وبنيّة عمل هذه الليلة).

يستحب الغسل(٤) في هذه الليلة.

١ - صلاة اثنتي عشرة ركعة تقرأ في كل ركعة الحمد وسورة وتسلم بين كل ركعتين، فإذا فرغت من الصلوات جلست بعد السلام وقرأت

(١) مفاتيح الجنان باب أعمال ليلة السابع والعشرين من رجب ص ١٤٨ ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ.
(٢) إقبال الأعمال: للعالم العابد رضي الدين علي بن سعد الدين أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس المتوفى ٦٦٤ هـ: ط١: مطبعة البقيع: ١٤٢٦ هـ: تعظيم يوم السابع والعشرين من رجب: ١٨٣.
(٣) مفاتيح الجنان باب أعمال ليلة السابع والعشرين من رجب ص ١٤٨ ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ.
(٤) يؤتى به بنية رجاء المطلوبية وهو لا يجزي عن الوضوء لعدم ثبوت استحبابه/المسائل المنتخبة الخوئي والسيستاني/الأغسال المستحبة: ٦٤: ط١: دار الصفوة: ٢٠٠٧.

السور التالية (الحمد[١] والمعوّذتين[٢] وقل هو الله أحد[٣] وقل يا أيها الكافرون[٤] والقدر وآية الكرسي[٥] سبعاً وتقول بعد ذلك كله: [الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً اللّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعاقِدِ عِزِّكَ عَلى أَرْكانِ عَرْشِكَ وَمُنْتَهى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتابِكَ وَبِاسْمِكَ الأعْظَمِ الأعْظَمِ الأَعْظَمِ وَذِكْرِكَ الأعْلى الأعْلى الاَعْلى وَبِكَلِماتِكَ التَّامَّاتِ

---

(١) ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ١-٧].

(٢) ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١-٥].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

(٣) ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

(٤) ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦].

(٥) ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٥-٢٥٧].

أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَنْ تَفْعَلَ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ]. ثم ادعُ بما شئت.

- زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وهي أفضل أعمال هذه الليلة «الْحَمْدُ للهِ الَّذي أشْهَدَنا مَشْهَدَ أوْلِيائِهِ في رَجَب، وَأوْجَبَ عَلَيْنا مِنْ حَقِّهِمْ ما قَدْ وَجَبَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّد الْمُنْتَجَبِ، وَعَلى أوْصِيائِهِ الْحُجُبِ، اَللّهُمَّ فَكَما أشْهَدْتَنا مَشْهَدَهُمْ فَأنْجِزْ لَنا مَوْعِدَهُمْ، وَأوْرِدْنا مَوْرِدَهُمْ، غَيْرَ مُحَلَّئِينَ عَنْ وِرْد في دارِ الْمُقامَةِ والْخُلْدِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ إنّي قَصَدْتُكُمْ وَاعْتَمَدْتُكُمْ بِمَسْأَلَتي وَحاجَتي وَهِيَ فَكاكُ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، وَالْمَقَرُّ مَعَكُمْ في دارِ الْقَرارِ مَعَ شيعَتِكُمُ الْأبْرارِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ، أنَا سائِلُكُمْ وَآمِلُكُمْ فيما إلَيْكُمُ التَّفْويضُ، وَعَلَيْكُمْ التَّعْويضُ فَبِكُمْ يُجْبَرُ الْمَهيضُ وَيُشْفَى الْمَريضُ، وَما تَزْدادُ الْأَرْحامُ وَما تَغيضُ، إنّي بِسِرِّكُمْ مُؤْمِنٌ، وَلِقَوْلِكُمْ مُسَلِّمٌ، وَعَلَى اللهِ بِكُمْ مُقْسِمٌ في رَجْعي بِحَوائِجي وَقَضائِها وَإمْضائِها وَإنْجاحِها وَإبْراحِها، وَبِشُؤوني لَدَيْكُمْ وَصَلاحِها، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ سَلامَ مُوَدِّع، وَلَكُمْ حَوائِجَهُ مُودِعٌ يَسْأَلُ اللهَ إلَيْكُمُ الْمَرْجِعَ وَسَعْيُهُ اِلَيْكُمْ غَيْرُ مُنْقَطِع، وَأنْ يُرْجِعَني مِنْ حَضْرَتِكُمْ خَيْرَ مَرْجِع إلى جَنابٍ مُمْرِع، وَخَفْضِ مُوَسَّع، وَدَعَة وَمَهَل اِلى حينِ الْأجَلِ، وَخَيْرِ مَصير وَمَحلٍّ، في النَّعيمِ الْأزَلِ، وَالْعَيْشِ الْمُقْتَبَلِ وَدَوامِ الْأُكُلِ، وَشُرْبِ الرَّحيقِ وَالسَّلْسَلِ، وَعَلٍّ وَنَهَل، لا سَأمَ مِنْهُ وَلا مَلَلَ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ وَتَحِيّاتُهُ عَلَيْكُمْ حَتّى الْعَوْدِ إلى حَضْرَتِكُمْ، والْفَوْزِ في كَرَّتِكُمْ، وَالْحَشْرِ في زُمْرَتِكُمْ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ»[١].

(١) مفاتيح الجنان ص ٤٤٤ ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام ص ١٣٦.

- الدعاء (اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالتَجَلِّي الأَعْظَمِ فِي هذِهِ اللَيْلَةِ مِنَ الشَّهْرِ المُعَظَّمِ وَالمُرْسَلِ المُكَرَّمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. . . راجع مفاتيح الجنان أعمال ليلة السابع والعشرين من رجب).

ثانياً: أعمال يوم السابع والعشرين من رجب(١)

١ - الغسل(٢).

٢ - الصيام، ويعدل صوم هذا اليوم صيام سبعين سنة.

٣ - الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد.

٤ - زيارة النبي وزيارة أمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام.

٥ - الصلاة التي هي اثنتا عشرة ركعة تقرأ في كل ركعة [الحمد] وسورة، فإذا فرغت قرأت [الحمد وقل هو الله أحد والمعوّذتين] أربعاً وقلت أربعاً: [لا إِلهَ إِلّا الله وَالله أَكْبَرُ وَسُبْحانَ الله وَالحَمْدُ للهِ وَلا حَوْلَ وَلاقُوَّةَ إِلّا بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ، وأربعاً: الله الله رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وأربعاً: لا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً].

٦ - أنه يستحب الدعاء في هذا اليوم بهذا الدعاء: (يامَنْ أَمَرَ بِالعَفْوِ وَالتَّجاوُزِ وَضَمَّنَ نَفْسَهُ العَفْوَ وَالتَّجاوُزَ يامَنْ عَفا وَتَجاوَزَ اعْفُ عَنِّي وَتَجاوَزْ يا كَرِيمُ، . . . راجع مفاتيح الجنان أعمال يوم السابع والعشرين من رجب).

---

(١) بنية عمل هذا اليوم ما عدا الصيام إذا كنت مطلوباً فبنية الطلب أي قضاء أو كفارة. . . والا بنية الاستحباب.

(٢) يؤتى به بنية رجاء المطلوبية وهو لا يجزي عن الوضوء لعدم ثبوت استحبابه/ المسائل المنتخبة الخوئي والسيستاني/ الأغسال المستحبة: ٦٦: ط١: دار الصفوة: ٢٠٠٧.

الليل في القرآن

الليل في القرآن

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

سؤال: لماذا أعطى الله لهذه الليلة اسماً؟

الجواب: القرآن الكريم إذا أراد أن يعظّم شيئاً يعطيه عنواناً واسماً من الأسماء، ومن مصاديق ذلك أهل البيت عليهم السلام عندما أراد أن يعظّمهم أعطاهم عنوان (أهل البيت عليهم السلام) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وعظمة أهل البيت عليهم السلام واضحة في الروايات ومنها... قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحقهم عليهم السلام: (إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به فلن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[1].

وكذلك ليلة القدر عنونة لعظمتها وأيضا الروايات دالة على ذلك ومنها.... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره أو ينقص شيئاً

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢/ ص ١٠٠).

أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثم أثبت الذي أراد. قلت: وكل شيء هو عند الله مثبت في كتاب؟ قال: نعم، قلت: فأي شيء يكون بعده؟ قال: سبحان الله، ثم يُحدث الله، أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى(١).

علاقة الليل بالقرب الإلهي

سؤال: ما أهمية الليل في القرب الإلهي؟

الجواب: ما من ولي إلا ويحتاج إلى الزاد والراحلة، والزاد هو التقوى. قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

والراحلة هي امتطاء الليل. يقول الإمام العسكري عليه السلام: إن الوصول إلى الله عز وجل سفر لا يدرك إلا بامتطاء الليل(٢).

وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي علياً عليه السلام بقيام الليل. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيك يا علي في نفسك بخصال فاحفظها... إلى أن قال: وعليك بصلاة الليل يكررها أربعاً(٣).

ولهذا مدح الله سبحانه المؤمنين الذين يقيمون الليل، يقول: إنما وصلوا إلى القرب الإلهي عن طريق امتطاء الليل قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر: ٩].

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٤/ ص ٩٩).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٧٥/ ص ٣٨٠).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٧٩/ ص ٢٩١).

علاقة الأنبياء عليهم السلام بالليل

وأما بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام فهذا القرآن يحدثنا عن المقامات التي حصل عليها النبي موسى عليه السلام هي بامتطاء الليل قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ولأهمية امتطاء الليل أوجب الله سبحانه وتعالى قيامه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ١-٤].

سؤال: لماذا يجب على الرسول أن يقوم في الليل؟

الجواب:

أولاً: وذلك من أجل تحمل مسؤولية الرسالة العظمى وإنقاذ الناس من التيه والضلال قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الجُمُعَة: ٢].

وهو القائل: شيبتني سورة هود قال الطبرسي رحمه الله: قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية كانت أشد عليه ولا أشق من قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هُود: ١١٢][(١)] . . .

وإن كنت تسأل عن السبب.

يأتي الجواب: لأنه صلى الله عليه وآله وسلم مأمور برفع المؤمنين إلى الاستقامة

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٧/ ص ٥٢).

والصراط المستقيم قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هُود: ١١٢].

وهذا امرٌ متعسر لا من قِبَل الرسول ﷺ بل من التائبين قال تعالى مخاطبا نبيَّه الكريم ومواسيه على مهمته الشاقة بقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فَاطِر: ٨].

ثانياً: قيام الليل هو خير معين لتحمل هذه المسؤولية قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ٥-٦].

ثالثاً: الحصول على مقامات القرب الإلهي ومنها:

١ - نيل معارف القرآن الملكوتية في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

٢ - مقام الشفاعة الكبرى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٩].

٣ - مقام الإسراء والمعراج والآيات الكبرى، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسرَاء: ١].

وفي ضوء ذلك نتعرض لمقامي الإسراء والمعراج ومقام الشفاعة الكبرى:

أولاً: الإسراء والمعراج والآيات الكبرى

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

سؤال: ما معنى الإسراء والمعراج؟

الجواب: الإسراء: السفر في الليل، والمعراج: ذهاب في صعود كما يقول الراغب في مفرداته وإسراء ومعراج النبي ﷺ يعني السفر ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه عرج إلى عالم الملكوت وشاهد آيات الله العظمى.

سؤال: كيفية الإسراء وبأية مركبة؟

الجواب: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله ﷺ فأخذ واحد باللجام، وواحد بالركاب، وسوى الآخر عليه ثيابه... ثم قال جبرئيل عليه السلام يا براق، فما ركبك نبي قبله ولا يركبك بعده مثله - قال: فَرَقَت به ﷺ ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير، ومعه جبرئيل يريه الآيات من السماء والأرض..[1].

إذاً ربانُ المركبة المعراجية الملائكةُ المقربون عليهم السلام والمركبة الفضائية اسمها البراق.

سؤال: متى وقع المعراج؟

الجواب: توجد اختلافات بين المؤرخين المسلمين حول تاريخ وقوع المعراج، إذ يقول البعض: إنّه حصل في السنة العاشرة للبعثة في ليلة السابعة والعشرين مِن شهر رجب، والبعض يقول: إِنَّهُ عرجَ به ﷺ

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٨/ ص ٣١٩).

في السابع عشر من شهر رمضان مِن السنة الثّانية عشرة للبعثة المباركة. وبعض ثالث قال: إنَّ المعراج وَقَع في أوائل البعثة(١).

ويذهب آية الله المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي دام ظله إلى: ان وقوع المعراج في السنة الثالثة من البعثة، وهو الأرجح(٢).

سؤال: أكان المعراج جسدياً أم روحياً؟

الجواب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣-١٨].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

إن ظاهر الآيات القرآنية تدلل على وقوع المعراج في اليقظة.

وهذه الآيات تفيد حسب أقوال المفسّرين أنَّ الإسراء والمعراج تمّا في حالة اليقظة، وإنّ قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ هو إثبات آخر لصحة هذا القول، والعديد من المحدثين والمفسرين ذهبوا إلى هذا الرأي ومنهم:

أولاً: العلّامة «المجلسي» فيقول في (بحار الأنوار) ما نصه: «اعلم أنَّ عروجه ﷺ إلى بيت المقدس ثمّ إلى السماء في ليلة واحدة بجسده

(١) الأمثل: ج٨: ص٢٥٩ ذيل الآية الأولى من سورة الإسراء.
(٢) الصحيح من سيرة النبي ﷺ للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي: ج ٣: ط٥ لسنة ١٤٢٧ هـ: المركز الإسلامي للدراسات: ص٩٣.

الشريف، ممّا دَلَّت عليه الآيات والأخبار المتواترة مِن طرق الخاصّة والعامّة، وإِنكار أمثال ذلك أو تأويلها بالعروج الروحاني أو بكونه في المنام ينشأ إِمّا مِن قلَّة التتبع في آثار الأئمّة الطاهرين أو مِن ضعف اليقين»[1].

ثانياً: الفخر الرازي - المفسّر الإِسلامي المعروف - فيقول بعد ذكره لسلسلة مِن الاستدلالات على إِمكان الوقوع العقلي للمعراج، ما يلي: «مِن وُجهة نظر الحديث تعتبر أحاديث المعراج من الرّوايات المشهورة في صحاح أهل السنّة، ومفاد هذه الأحاديث إِسراء الرّسول ﷺ مِن مكّة إِلى بيت المقدس، وعروجه مِن بيت المقدس إِلى السماء»[2].

سؤال: أحدث المعراج للنبي مرّةً في عمره أم مرّتين؟

الجواب: يقول المحقق آية الله نجاح الطائي[3]: اتفق العلماء والمؤرخون على كون الإسراء والمعراج قبل الهجرة إلى المدينة واختلفوا في تاريخ الإسراء والمعراج إلى رأيين اثنين:

١ - في السنين الأولى للبعثة المباركة.

٢ - في السنوات الثلاث الأخيرة قبل الهجرة إلى المدينة.

والصحيح في الأمر أن النبي ﷺ أُسري به إلى بيت المقدس وعرج

(١) بحار الأنوار، الطبعة الحديثة المجلد ١٨، ص ٢٨٩.
(٢) ينظر تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ذيل الآية الأولى من سورة الإسراء والآيات (١ - ١٩) من سورة النجم.
(٣) السيرة النبوية: ج١: ٢٥٣: ط١: ١٤٢٣ هـ: دار الهدى لإحياء التراث - لندن.

به إلى السماء مرتين بعد البعثة النبوية. وعلى ذلك لايكون هناك اختلاف بين الرأيين.

وعن عدد مرات عروج رسول الله ﷺ إلى السماء جاء في الكافي: عرج برسول الله ﷺ مرتين وقال بذلك علماء آخرون[١].

وأيد الطباطبائي ذلك بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النّجم: ١٣][٢].

من مشاهدات الرحلة المعراجية[٣]

أولاً: رؤية الملائكة ومنها رؤية ملك الموت

قال ﷺ . . . : ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس، وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه، وإذا بيده لوح من نور، سطر فيه مكتوب فيه كتاب ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت، دائب في قبض الأرواح، فقلت: يا جبرئيل، أدنني منه حتى أكلّمه، فأدناني منه فسلّمت عليه، وقال له جبرئيل: هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد، فرحب بي وحيّاني. . . فقال جبرئيل: هو أشد الملائكة عملاً

(١) تفسير الميزان ١٣: ٣١، البداية والنهاية ٣: ١٤٢، تفسير الآلوسي ١٥: ٧، تفسير القرطبي ١٠: ٢٠٧ - ٢١٢.
(٢) تفسير الميزان: ج١٣: ٣١.
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٨/ ص ٣١٩).

فقلت: أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا يقبض روحه؟ فقال: نعم، قلت: وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك؟ فقال: نعم، فقال ملك الموت: ما الدنيا كلها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني عليها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار إلا وأنا أتصفّحه كل يوم خمس مرات، وأقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم لا تبكوا عليه، فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد، فقال رسول الله ﷺ: كفى بالموت طامة يا جبرئيل فقال جبرئيل: إن ما بعد الموت أطم وأطم من الموت...

ثانياً: رؤية نار جهنم

فقال له (لخازن النار) جبرئيل: يا مالك أرِ محمداً النار، فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها فخرج منها لهب ساطع في السماء، وفارت وارتفعت حتى ظننت لتتناولني مما رأيت، فقلت: يا جبرئيل قل له: فليردَّ عليها غطاءها فأمرها، فقال لها: ارجعي، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه، ثم مضيت...

ثالثاً: الصور الملكوتية لبعض الأعمال ومنها

أكل الحرام: قال ﷺ: ثم مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث، ويدعون الطيب، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال، وهم من أمتك يا محمد.

الهمّازون واللمّازون: ثم مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشافر

الإبل يقرض اللحم من جنوبهم، ويلقى في أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟

فقال: هؤلاء الهمّازون اللمّازون.

النوم عن صلاة العِشاء: ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء.

أكل أموال اليتامى: ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم، وتخرج من أدبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

آكلو الربا: ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإذا هم بسبيل آل فرعون: يعرضون على النار غدواً وعشياً، يقولون: ربنا متى تقوم الساعة؟.

الخيانة الزوجية: قال: ثم مضيت فإذا أنا بنسوان معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم، ثم قال رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قومٍ في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عوراتهم، وأكل خزائنهم.

رابعاً: رؤية الأنبياء عليهم السلام ومنهم (آدم عليه السلام)

قال صلى الله عليه وآله وسلم: فرأيت رجلاً آدماً جسيماً فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا أبوك آدم، فإذا هو يعرض عليه ذريته، فيقول: روح طيب، وريح طيبة من جسد طيب، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢) وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ (٣٣) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ [المطففين: ٧-٣٦]، قال: فسلّمت على أبي آدم، وسلّم علي واستغفرت له، واستغفر لي، وقال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح، والمبعوث في الزمن الصالح...

خامساً: أسرار السماء السابعة ومنها

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ورأيت في السماء السابعة بحاراً من نور

يتلألأ، تَلْألُؤُها يخطف بالأبصار، وفيها بحار مظلمة، وبحار من ثلج ترعد، . . . سألت جبرئيل فقال: أبشر يا محمد واشكر كرامة ربك، واشكر الله بما صنع إليك، قال: فثبتني الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرئيل وتعجبي، فقال جبرئيل: يا محمد تعظم ما ترى؟ إنما هذا خلقٌ من خلق ربك، فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى؟ وما لا ترى أعظم من هذا! من خلق ربك أن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب. . . قال رسول الله ﷺ: فلما دخلت الجنة رجعت إلى نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها، فقال: هي سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها، ولولا تلك الحجب لتهتك نور العرش وكل شيء فيه، وانتهيت إلى سدرة المنتهى. . . قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [النجم: ٧-١٦].

سادساً: الدخول إلى الجنة وعجائبها ومنها

قال ﷺ: . . . أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني منها تفاحة فأكلتها، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء انسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي(١).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٤٣/ ص ٤٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا، فقلت لهم: مالكم ربما بنيتم وربما أمسكتم؟ فقالوا: حتى تجيئنا النفقة، فقلت لهم: وما نفقتكم؟

فقالوا: قول المؤمن في الدنيا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال: بنينا، وإذا أمسك أمسكنا(١).

سابعاً: رؤية صورة علي بن أبي عليه السلام في السموات

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لمّا عرج بي إلى السماء السابعة وجدت على كل باب سماء مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. ولمّا صرت إلى حجب النور رأيت على كل حجاب مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. ولمّا صرت إلى العرش وجدت على كل ركن من أركانه مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين(٢).
- عن الأعمش، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري بي إلى السماء فبلغت السماء الخامسة نظرت إلى صورة علي بن أبي طالب فقلت: حبيبي جبرئيل، ما هذه الصورة؟ فقال جبرئيل: يا محمد، اشتهت الملائكة أن ينظروا إلى صورة علي فقالوا: ربنا، إن بني آدم في دنياهم يتمتعون غدوة

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨/ ص ١٢٣).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٨/ ص ٣٠٤).

وعشية بالنظر إلى علي بن أبي طالب حبيب حبيبك محمد، وخليفته ووصيه وأمينه فمتّعنا بصورته قدر ما تمتع أهل الدنيا به. فصور لهم صورته من نور قدسه عزّ وجلّ، فعلي عليه السلام بين أيديهم ليلاً ونهاراً يزورونه وينظرون إليه غدوة وعشية(١).

- عن موسى بن وردان عن ثابت، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليلة أسري بي إلى السماء الرابعة رأيت صورة علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا جبرئيل، هذا علي؟ فأوحي إلي بأن هذا ملك خلقه الله في صورة علي بن أبي طالب عليه السلام يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، يسبّحون ويكبّرون وثوابهم لمحبي علي بن أبي طالب عليه السلام (٢).

ثامناً: جانب من إيحاءات الله وكلماته لرسوله في ليلة المعراج(٣)

وردت في كتب الأحاديث رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشأن «المعراج» وهي مفصّلة وطويلة نذكر جانباً منها وفيها مطالب تكشف عن أحداث وأحاديث تلك الليلة التاريخية وكيف أنّها بلغت أوج السمو والرفعة.

ونقرأ في بداية الحديث أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل الله سبحانه:ياربّ، أيّ الأعمال أفضل؟!

فقال تعالى: «ليس شيء عندي أفضل من التوكّل عليّ والرضا بما

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٨/ ص ٣٠٤).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٩/ ص ١١٠).
(٣) تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ذيل الآيات (١ - ١٩) من سورة النجم: ج: ١٧ص١٤٥.

قسمت، يامحمّد! وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ ووجبت محبّتي للمتعاطفين فيّ ووجبت محبّتي للمتواصلين فيّ، ووجبت محبّتي للمتوكّلين عليّ وليس لمحبّتي علم ولا غاية ولا نهاية.

وهكذا تبدأ الأحاديث من المحبّة، المحبّة الشاملة والواسعة، وأساساً فإنّ عالم الوجود يدور حول هذا المحور!

وجاء في جانب آخر: «يا أحمد[١]، فاحذر أن تكون مثل الصبي إذا نَظَر إلى الأخضر والأصفر أحبّه وإذا أُعطي شيئاً من الحلو والحامض اغترّ به، فقال: ياربّ، دُلّني على عمل أتقرّب به إليك قال: اجعل ليلك نهاراً ونهارك ليلاً. قال: ربّ وكيف ذلك؟ قال: اجعل نومك صلاة وطعامك الجوع.

كما جاء في مكان آخر منه: يا أحمد، محبّتي محبّة للفقراء فأَدْنِ الفقراء وقرّب مجلسهم منك أُدنِكَ وبعّد الأغنياء وبعّد مجلسهم منك فإنّ الفقراء أحبّائي.

وجاء في موضع آخر أيضاً: يا أحمد، أبغض الدنيا وأهلها وأحبّ الآخرة وأهلها. قال: ياربّ، ومن أهل الدنيا ومن أهل الآخرة؟ قال: أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه، قليل الرضا لا يعتذر إلى من أساء إليه ولا يقبل معذرة من اعتذر إليه، كسلان عند الطاعة، شجاع

(١) ممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ اسم النّبي ﷺ في كلّ مكان من هذا الحديث ورد بلفظ أحمد إلّا في بدايته، أجل فاسم النّبي في الأرض محمّد وفي السماء أحمد ولِمَ لا يكون كذلك مع أنّ أحمد بالإضافة إلى أنّه اسم تفضيل مبيّن للحمد والتكريم أكثر، وقد كان على النّبي في تلك الليلة التاريخية أن يتجاوز من «محمّد» إلى «أحمد» لأنّ الفاصلة بين أحمد وأحد غير بعيدة.

عند المعصية، أمله بعيد وأجله قريب، لا يحاسب نفسه، قليل المنفعة كثير الكلام، قليل الخوف، كثير الفرح عند الطعام وإنّ أهل الدنيا لا يشكرون عند الرخاء ولا يصبرون عند البلاء، كثير الناس عندهم قليل يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون، ويدّعون بما ليس فيهم، ويتكلّمون بما يتمنّون ويذكرون مساوئ الناس ويخفون حسناتهم..

قال: يارَبّ، هل يكون سوى هذا العيب في أهل الدنيا؟ قال: يا أحمد، إنّ عيب أهل الدنيا كثير فيهم، الجهل والحمق، لا يتواضعون لمن يتعلّمون منه، وهم عند أنفسهم عقلاء وعند العارفين حمقاء.. ثمّ يتناول الحديث أهل الجنّة فيقول: يا أحمد، إنّ أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم كثير حياؤهم قليل حمقهم، كثير نفعهم، الناس منهم في راحة وأنفسهم منهم في تعب، كلامهم موزون، محاسبون لأنفسهم، متعبون لها، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة، إذا كُتب الناس في الغافلين كتبوا من الذاكرين، في أوّل النعمة يحمدون وفي آخرها يشكرون، دعاؤهم عند الله مرفوع، وكلامهم مسموع، تفرح الملائكة بهم، الناس (الغَفلَة) عندهم موتى والله عندهم حي قيّوم وهمّتهم عالية فلا ينظرون إلّا إليه قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة يموت الناس مرّة ويموت أحدهم في اليوم سبعين مرّة ويحيا حياةً جديدة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم. وإن قاموا بين يدي كأنّهم البنيان المرصوص لا أرى في قلبهم شغلاً لمخلوق.. فوعزّتي وجلالي لأحيينّهم حياةً طيبةً إذا فارقت أرواحهم أبدانهم ولا أُسلّط عليهم ملك الموت ولا يلي قبض روحهم غيري ولأفتحنّ لروحهم أبواب السماء كلّها ولأرفعنّ الحجب كلّها دوني، ولآمرنّ الجنان فلتزيننّ.

ياأحمد، إنّ العبادة عشرة أجزاء تسعة منها طلب الحلال فإذا طيّبت مطعمك ومشربك فأنت في حفظي وكنفي.

وجاء في مكان آخر منه: يا أحمد، هل تدري أيّ عيش أهنأ وأيّ أبقى؟ قال: اللهمّ لا، قال: أمّا العيش الهنيء فهو الذي لا يغترّ صاحبه عن ذكري ولا ينسى نعمتي ولا يجهل حقّي، يطلب رضاي في ليله ونهاره.

وأمّا الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه حتّى تهون عليه الدنيا وتصغر في عينه وتعظم الآخرة عنده ويؤثر هواي على هواه ويبتغي مرضاتي ويعظّم حقّ عظمتي ويذكر علمي به ويراقبني بالليل والنهار عند كلّ سيّئة أو معصية وينقّي قلبه عن كلّ ما أكره ويبغض الشيطان ووساوسه ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطاناً.. فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبّاً حتّى أجعل قلبه لي وفراغه واشتغاله وهمّه وحديثه من النعمة التي أنعمت على أهل محبّتي من خلقي.. وأفتح عين قلبه وسمعه حتّى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي «وحقائق الغيب».

وأخيراً فإنّ هذا الحديث القدسي الكريم يختتم بهذه العبارات المؤثرة!.. يا أحمد، لو صلّى العبد صلاة أهل السماء والأرض ويصوم صيام أهل السماء والأرض ويطوي من الطعام مثل الملائكة، ولبس لباس العاري ثمّ أرى في قلبه من حبّ الدنيا ذرّة أو سعتها أو رئاستها أو حليّها أو زينتها لا يجاورني في داري ولأنزعنّ من قلبه محبّتي وعليك سلامي ورحمتي والحمد لله ربّ العالمين»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٢١ - ٣٠.

الهدف من المعراج(١)

سؤال: ما هو الهدف من المعراج؟

الجواب: قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ٤-١٨].

إذاً الهدف من المعراج هو بلوغ النّبي ﷺ مرحلة الشهود الباطني من جهة، ورؤية عظمة الله في السموات بالبصر الظاهري من جهة اُخرى والذي أشارت إليه الآيات.

وفي الآية الأولى من سورة الإسراء: (لنريه من آياتنا) والاطلاع على مسائل مهمّة - كثيرة - كأحوال الملائكة وأهل الجنّة وأهل النار وأرواح الأنبياء والتي كانت مصدر إلهام للنبي طوال عمره الشريف في تعليم وتربية الناس.

---

(١) ينظر تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ذيل الآية الأولى من سورة الإسراء والآيات (١ - ١٩) من سورة النجم.

وهذا ما يؤكده الإمام الصادق عليه السلام في جوابه على سبب المعراج.

أنّه قال عليه السلام: «إن الله لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنّه عزَّ وجلّ أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سمواته، ويكرمهم بمشاهدته صلى الله عليه وآله وسلم، ويريه صلى الله عليه وآله وسلم من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه»[(١)].

سؤال: إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عارفاً بعظمة الله سبحانه وعظمة خلقه فلماذا المعراج؟

الجواب: قلنا الهدف مِن هذا السفر الإِعجازي أنْ يشاهد[(٢)] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آيات العظمة الإِلهية... وبالرغم من أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم كان عارفاً بعظمة الله سبحانه، وكان عارفاً أيضاً بعظمة خلقه، ولكن «متى كان السماع كالرؤية؟!». قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النّجْم: ١٨] [(٣)].

وهاهنا نطرح سؤالين:

الأول: رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى... رؤية مَنْ؟

سؤال: الرؤية في قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٢-١٤]. أهي لجبرئيل أم لله سبحانه!؟

(١) تفسير البرهان، المجلد٢، ص ٢٠٠.
(٢) ويعلم علماً حضورياً.
(٣) تفسير الأمثل - لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي: ج ٨: ص ٢٥٥: ذيل الآية الأولى من سورة الإسراء.

النظرية الأولى المشهورة: تقول إنّه معلّم النّبي أمين الوحي جبرئيل الذي له قدرة خارقة.

وكان يأتي النّبيَّ بصورة رجل حسن الطلعة ويبلّغه رسالة الله، وظهر للنّبي بصورته الحقيقيّة مرّتين طوال فترة رسالة النّبي وعمره الشريف.

المرّة الأُولى هي ما تشير إليه الآيات في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١-١٨]. إذ ظهر في الأُفق الأعلى فطبق المشرق والمغرب جميعهما، وكان عظيماً حتّى إنّه هال النبي، ثمّ دنا فاقترب من النّبي فلم يكن بينهما مسافة بعيدة إلّا بمقدار ذراعين، والتعبير بـ «قاب قوسين» كناية عن منتهى الاقتراب.

والمرّة الثانية - ظهر له - في معراجه ﷺ . . .

ويرى بعض المفسّرين ممّن اختار هذه النظرية بأنّ اللقاء الأوّل الذي ظهر له جبرئيل فيه بصورته الحقيقيّة كان في غار حراء الواقع في جبل النور(١).

---

(١) هذا التّفسير وهو أنّ المراد من «شديد القوى» «جبرئيل» اختاره جماعة كثيرون منهم الطبرسي في مجمع البيان، والبيضاوي في أنوار التنزيل، والزمخشري في الكشّاف، والقرطبي في تفسيره روح البيان، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، وسيّد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، والمراغي في تفسيره وتعبيرات العلاّمة الطباطبائي في ميزانه تميل إلى هذا الرأي أيضاً. .

إلّا أنّ هذه النظرية بالرغم ممّا لها من أتباع كثيرين لا تخلو من إشكالات مهمّة ومنها:

جاء في الآيات التالية أنّ النّبي رآه «عند سدرة المنتهى» (في السماء العليا) ولو كان المقصود منه جبرئيل فهو كان مع النّبي في معراجه من بداية المعراج إلى المنتهى، ولم يره النّبي عند سدرة المنتهى فحسب.. إلّا أن يقال رآه في الأرض بصورة بشر وفي السماء بصورته الحقيقيّة.. ولا قرينة على ذلك في الآيات.

التعبير بـ «علّمه» وأمثاله لم يَرِد في القرآن في شأن جبرئيل أبداً، بل هو في شأن تعليم الله نبيّه محمّداً وأنبياءه الآخرين، وبتعبير آخر فإنّ جبرئيل لم يكن معلّم النّبي محمّد، بل أمين وحيه، ومعلّمه الله فحسب.

صحيح أنّ جبرئيل ملك له مقام رفيع، إلّا أنّه من المقطوع به أنّ مقام النّبي أعلى منه شأناً: كما ورد في قصّة المعراج أنّه كان يصعد - في المعراج - مع النّبي فوصلا إلى نقطة فتوقّف جبرئيل عن الصعود وقال للنبي: «لو دنوت قيد أنملة لاحترقت» إلّا أنّ النّبي واصل سيره وصعوده!.

فمع هذه الحال فإنّ رؤية جبرئيل في صورته الأصلية لا تتناسب والأهميّة المذكورة في هذه الآيات، وبتعبير أكثر بساطةً: لم تكن رؤية النّبي لجبرئيل على تلك الأهميّة.. فمع أنّ هذه الآيات اهتمّت بهذه الرؤية اهتماماً بالغاً! فهذا يكشف عن رؤية غير رؤية جبرئيل.

النظرية الثانية: بأنّ المراد من هذه الرؤية هي الباطنية (القلبية) لذات الله المقدّسة التي تجلّت للرسول وتكرّرت في المعراج واهتزّ لها النّبي وهالته.

والروايات وأدعية أهل البيت عليهم السلام تفسر التعليم والرؤية لله سبحانه (أي الله علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرؤية لله سبحانه وتعالى طبعاً القلبية) ومن تلك الروايات:

ينقل الشيخ الطوسي في أماليه عن ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «لمّا عُرِج بي إلى السماء دنوت من ربّي عزّ وجلّ حتّى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى»(١).

وينقل الشيخ الصدوق رحمه الله في علل الشرائع المضمون ذاته عن هشام بن الحكم عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من حديث طويل أنّه قال: «فلمّا أُسري بالنّبي وكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى رُفِعَ له حجاب من حُجُبِهِ»(٢).

وفي دعاء الندبة تعبير يناسب هذا المعنى أيضاً إذ يقول: «يابنَ مَن دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى دنوّاً واقتراباً من الملأ الأعلى» وفي ذيل هذا الدعاء ورد بعض صفات الله سبحانه «شديد القوى» إذ يقول: وأره سيّده ياشديد القوى..

سؤال: أهذه الرؤية مادية بصرية أم قلبية شهودية؟

الجواب: قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجم: ١١] دليل على الرؤية القلبية لا البصرية الحسّية لجبرئيل.

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «هل رأيت ربّك؟ فأجاب: «رأيته بفؤادي»(٣).

---

(١) نور الثقلين، ج٥، ص١٤٩.
(٢) نور الثقلين، ج٥، ص١٤٩.
(٣) بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٨٧ ذيل مبحث المعراج.

وفي خطبة الإمام علي عليه السلام (١٧٩) في نهج البلاغة ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أفأعبد ما لا أرى» فقال: وكيف تراه؟ فقال: لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ»

فمجموع هذه القرائن يدعونا إلى اختيار التّفسير الثاني القائل بأنّ المراد من «شديد القوى» هو الله، وأنّ النّبي كان قد اقترب من الله تعالى أيضاً.

الثاني: عن الجنة والنار في المعراج

سؤال: مشاهدة صور العذاب والجنة أهي البرزخي أم ما بعد الحساب والقيامة؟

الجواب: هناك أقوال؛ فبعضهم قال بأنّها:

١ - «جنّة الخلد» التي أعدّت للمتّقين المؤمنين ومكانها في السماء، ودليلهم على مدّعاهم قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٩] فهذه الآية بقرينة ما بعدها تتحدّث عن جنّة الخلد - ولا شكّ أنّها تتحدّث عن جنّة الخلد.

٢ - «جنّة المأوى» التي في السماء غير جنّة الخلد، ودليلهم قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فاحتمل بعض المفسّرين أنّ جنّة المأوى التي في السماء غير جنّة الخلد التي عرضها السموات والأرض.

لذلك فقد فسّر بعضهم «جنّة المأوى» بأنّها مكان خاصّ في جنّة الخلد، وهي قريبة من سدرة المنتهى ومعدّة للمخلصين!

٣ - وربّما فسّرها بعضهم بأنّها «جنّة البرزخ» التي تحلّ فيها أرواح الشهداء والمؤمنين بصورة مؤقتة.

ويبدو أنّ التّفسير الأخير أنسب التفاسير وأقربها، وممّا يدلّ عليه بجلاء أنّنا نقرأ في كثير من الرّوايات الواردة في المعراج أنّ النّبي ﷺ رأى جماعة متنعّمين في الجنّة، مع أنّنا نعرف أنّه لن يدخل جنّة الخلد أحد قبل يوم القيامة، لأنّ آيات القرآن تشير بوضوح إلى أنّ المتّقين يدخلون الجنان بعد الحِسابِ [في يوم القيامة] لا بعد الموت مباشرةً وأنّ أرواح الشهداء أيضاً في جنّة برزخية لأنّهم أيضاً لا يدخلون جنّة الخلد قبل يوم القيامة(١).

الخلاصة

١ - المعراج في اليقظة روحياً وجسمياً.

٢ - حصول المعراج غير مرة.

٣ - وقع المعراج أوائل البعثة.

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرزي - (ج ١٧/ ص ٢٢٢).

٤ - رؤية الجنة والنار البرزخية.

٥ - رؤية الله سبحانه قلبياً لا بصرياً.

٦ - معلم الله في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] هو الله سبحانه لا جبرئيل.

٧ - الهدف من المعراج رؤية آيات الله سبحانه بالرؤية البصرية الشهودية والتي كانت مصدر إلهام للنبي طوال عمره الشريف في تعليم وتربية الناس.

ثانياً: الشفاعة الكبرى والمقام المحمود[1]

قال تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] دلّت الآية الكريمة على أن هذا المقام سوف يعطى للنبي الأكرم يوم القيامة؛ وذلك بقرينة لفظة «البعث» الذي أطلق في القرآن عموماً على الحشر الأكبر يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٦].

روايات المقام المحمود

تضافرت الروايات حول الآية وكلّها تُجمع على أن المراد من المقام المحمود هو مقام الشفاعة الكبرى له ﷺ ومن تلك الروايات:

- أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر قال: سمعت

(١) ينظر الشفاعة لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري ص ٣١٢ - ٣٤٧.

رسول الله ﷺ يقول: «إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول: لستُ بصاحب ذلك، ثم موسى عليه السلام فيقول: كذلك، ثم محمد ﷺ فيشفع، فيقضي الله بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة»

فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلّهم(١).

- عن سماعة بن مهران عن أبي إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٩].

قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً وتؤمر الشمس فتركب على رؤوس العباد ويُلجمهم العرق وتؤمر الأرض فلا تقبل من عرقهم شيئاً. فيأتون آدم فيشفعون له فيدلّهم على نوح ويدلّهم نوح على إبراهيم ويدلّهم إبراهيم على موسى ويدلّهم موسى على عيسى ويدلّهم عيسى فيقول: عليكم بمحمد خاتم النبيّين.

فيقول محمد ﷺ: أنا لها، فينطلق حتى يأتي باب الجنّة فيدقّ فيقال له: من هذا؟ والله أعلم. فيقول: محمد، فيقال: افتحوا له فإذا فتح الباب استقبل ربّه فخرّ ساجداً فلا يرفع رأسه حتى يقال له: تكلّم وسل تُعط واشفع تشفّع. فيرفع رأسه فيستقبل ربّه فيخرّ ساجداً فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتى إنه ليشفع لمن قد أحرق بالنار، فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمد ﷺ، وهو قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسرَاء: ٧٩](٢).

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور: ج ٥ ص ٣٢٥.
(٢) تفسير العياشي: تأليف: الشيخ أبي النضر محمد بن مسعود العياشي، المتوفّى =

- عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبتاه، أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟

قال: يا فاطمة، عند باب الجنّة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمّتي إلى ربّي.

قالت: يا أبتاه، فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أمّتي.

قالت: يا أبتاه، فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول: ربي سلّم أمتي.

قالت: فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني وأنا عند الميزان أقول: ربّ سلّم أمّتي.

قالت: فإن لم ألقك هناك؟

قال: ألقيني على شفير جهنّم أمنع شررها ولهبها عن أمّتي.

فاستبشرت فاطمة سلام الله عليها بذلك(١).

شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لا تختص بأمته

سؤال: هل شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم تختصّ بأمّته؟

= ٣٢٠هـ: ج ٣ ص ٧٨، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة/ قم، الحديث: ٢٥٩٣.

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبارالأئمة الأطهار: ج ٨ ص ٨ كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث: ٦.

الجواب: من خلال الروايات يتبين أن شفاعته ﷺ تشمل كل الأمم من آدم عليه السلام إلى أمته ﷺ ومن الروايات الدالة على ذلك: عن عبيد بن زرارة قال: فسُئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم. فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد ﷺ؟ قال: نعم، إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يومئذ»(١).

في تفسير القمي قال: حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبّر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر الباقر عليه السلام يقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر، تغرون الناس وتقولون: شفاعة محمد، شفاعة محمد، فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربّد وجهه ثم قال: ويحك ياأبا أيمن! أغرّك أن عفّ بطنك وفرجك؟! أما لو علمت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد ﷺ، ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟

ثم قال عليه السلام: ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ (٢).

وهذا المعنى وهو قوله عليه السلام: ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ.

سؤال: هل يمكن استفادة ذلك من وجه قرآني؟

الجواب: من الحقائق القرآنية التي تكرر ذكرها في كلامه عزّ وجلّ أنه

(١) تفسير العياشي: ج ٣ ص ٧٨، الحديث: ٢٥٩٢.
(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٠٢.

يبعث في يوم القيامة في كلّ أمّة شهيداً عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النّحل: ٨٤] وقال: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النّحل: ٨٩] وهؤلاء هم شهداء الأعمال الذين تحمّلوا حقائق أعمال أمتهم في الدنيا وهم يستشهد بهم ويشهدون عليهم يوم القيامة.

وهذه الشهادة وإن كانت يوم القيامة لكن تحمّلها في الدنيا على ما يعطيه قوله سبحانه حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] حيث أشارت إلى أن من أهمّ وظائفه عليه السلام هي تحمل الشهادة في هذه النشأة لأدائها في النشأة الأخرى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: ١٥٩].

إن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الشهيد على الشهداء كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] حيث أشارت إلى أن لكلّ أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم، والمراد من الأمّة جماعة الناس من أهل عصر واحد يشهد أعمالهم شهيد واحد، ويكون المراد بالشهيد الإنسان المبعوث بالعصمة والمشاهدة أي تكون شهادته عن معاينة كما هو ظاهر لفظ الشهيد وظاهر تقييده بقوله: «مِنْ أَنْفُسِهِمْ» في قوله: «شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» إذ لولا المشاهدة لم يكن لكونه من أنفسهم وقع، ولا لتعدد الشهداء بتعدّد الأمم وجه، فلكلّ قوم شهيد من أنفسهم سواء كان نبياً لهم أم غير نبيهم فلا ملازمة كما يؤيده قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

وعلى هذا يكون المراد بهؤلاء في قوله: «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هؤُلَاءِ» الشهداء دون ما استظهره البعض وهم أمّته، فالشهداء شهداء على أممهم والنبيّ ﷺ شهيد على الشهداء.

- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث يصف فيه يوم القيامة: «يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسول فيسأل، فذلك قوله لمحمد: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: ٤١] وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل»[1].

عظمة شفاعته ﷺ

- عن أنس بن مالك قال: جاء جبرئيل إلى النبيّ ﷺ في ساعة ما كان يأتيه فيها متغيّر اللون.

فقال النبيّ ﷺ: ما لي أراك متغيّر اللون؟

فقال: يا محمد، جئتك في الساعة التي أمر الله تعالى بمنافخ النار أن ينفخ فيها، ولا ينبغي لمن يعلم أن جهنّم حقّ أن تقرّ عينه حتى يأمنها.

فقال النبيّ ﷺ: صِف لي النار يا جبرئيل؟

فقال: نعم يا محمد، إن الله تعالى لمّا خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة فاحمرّت، ثم أوقد عليها ألف سنة فابيضّت، ثم أوقد عليها ألف

(١) تفسير العياشي نقلاً عن: الميزان في تفسير القرآن: ج ١ ص ٣٣٢.

سنة فاسودّت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا حمرتها. والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لو أن رجلاً بالمغرب يعذّب لاحترق الذي بالمشرق من شدة عذابها. حرّها شديد وقعرها بعيد وحليّها حديد وشرابها الحميم والصديد وثيابها مقطّعات النيران ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحِجر: ٤٤].

فقال النبيّ ﷺ: أهي كأبوابنا هذه؟

فقال: لا، ولكنّها مفتوحة بعضها أسفل من بعض من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة، كل باب منها أشدّ حرّاً من الذي يليه سبعين ضِعفاً، يساق أعداء الله إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل، فتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دُبره وتغلّ يده اليُسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشدّ بالسلاسل، ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويُسحب على وجهه، فتضربه الملائكة بمقامع من حديد ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحَجّ: ٢٢].

فقال النبيّ ﷺ: من سكّان هذه الأبواب؟

قال: فأما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية، والباب الثاني ففيه المشركون واسمه الجحيم، والباب الثالث ففيه الصابئة واسمه سقر، والباب الرابع ففيه إبليس ومن تبعه من المجوس واسمه لظى، والخامس ففيه اليهود واسمه الحُطمة، والسادس ففيه النصارى واسمه السعير، ثم أمسك جبرئيل عليه السلام.

فقال النبيّ ﷺ: ألا تخبرني من سُكّان الباب السابع؟

قال: يا محمد، لا تسألني عنه.

فقال: بلى يا جبرئيل، أخبرني عن الباب السابع.

فقال: فيه أهل الكبائر من أمّتك الذين ماتوا ولم يتوبوا.

فخرّ النبيّ ﷺ مغشيّاً عليه.

فوضع جبرئيل عليه السلام رأسه في حجره حتى أفاق، فلما أفاق قال: يا جبرئيل عظمت مصيبتي واشتد حزني أوَ يدخل من أمتي النار؟

قال: نعم، أهل الكبائر من أمّتك.

إلى أن تقول الرواية: فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة: ما هؤلاء؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء، لم تسودّ وجوههم ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم. فيقول الملائكة: هكذا أُمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحال.

فيقول لهم: يا معشر الأشقياء من أنتم؟

فيقولون: نحن ممن أنزل علينا القرآن ونحن ممن نصوم شهر رمضان.

فيقول مالك: أما نزل القرآن إلا على محمد ﷺ.

فإذا سمعوا اسم محمد صاحوا فقالوا: نحن من أمّة محمد.

فيقول لهم مالك: ما كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله؟

فإذا وقف بهم على شفير جهنم ونظروا إلى النار والزبانية قالوا: يامالك، ائذن لنا نبكي على أنفسنا، فيبكون الدموع حتى إذا لم يبقَ لهم دموع يبكون دماً.

فيقول مالك: ما أحسن هذا لو كان في الدنيا، فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله تعالى ما مسّكم النار اليوم.

فيقول مالك للزبانية: ألقوهم في النار.

فنادوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، فترجع عنهم النار.

فيقول مالك: يا نار خذيهم.

فتقول النار: وكيف آخذهم وهم يقولون: لا إله إلا الله.

فيقول مالك: نعم بذلك أمر ربّ العرش. فتأخذهم. فمنهم من تأخذه إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى حلقه. قال: فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك: لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم فطالما عطشوا في شهر رمضان.

فيبقون ما شاء الله فيها فينادُون: يا أرحم الراحمين يا حنّان يا منّان.

فإذا أنفذ الله تعالى حكمه قال: يا جبرئيل ما فعل العاصون من أمّة محمد ﷺ؟

فيقول: إلهي أنت أعلم بهم.

فيقول: انطلق فانظر حالهم، فينطلق جبرئيل إلى مالك - وهو على سرير من نار في وسط جهنم - فإذا نظر مالك إلى جبرئيل عليه السلام قام تعظيماً له فيقول: يا جبرئيل، ما أدخلك هذا الموضع؟

فيقول: ما فعلت العصابة العاصية من أمّة محمد ﷺ؟

فيقول: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم! قد أحرقت النار أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان.

فيقول جبرئيل: ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم.

قال: يأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق، فإذا نظروا إلى جبرئيل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب فيقولون: مَن هذا العبد الذي لم نر قطّ أحسن وجهاً منه؟

فيقول مالك: هذا جبرئيل الكريم على الله تعالى الذي كان يأتي محمداً ﷺ بالوحي. فإذا سمعوا بذكر محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم وقالوا: يا جبرئيل أقرِىء محمّداً منّا السلام وأخبره أن معاصينا فرّقت بيننا وبينه وأخبره بسوء حالنا.

فينطلق جبرئيل حتى يقوم بين يدي الله تعالى فيقول الله عزّ وجلّ : كيف رأيت أمّة محمّد ﷺ ؟

فيقول: يا ربّ، ما أشدّ حالهم وأضيق مكانهم!

فيقول: هل سألوك شيئاً؟

فيقول: نعم يا ربّ، سألوني أن أقرأ على نبيهم السلام وأخبره بسوء حالهم.

فيقول الله جلّ جلاله: انطلق وأبلغه. فيدخل جبرئيل على النبيّ ﷺ وهو في خيمة من درّة بيضاء لها أربعة آلاف باب ولها مصراعان من ذهب. فيقول: يا محمد، جئتك من عند العصابة العصاة من أمّتك يعذّبون بالنار وهم يُقرِئونك السلام ويقولون: ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا!

فيأتي النبيّ ﷺ عند العرش، فيخرّ ساجداً ويثني على الله ثناءً لم يثنه أحد مثله.

فيقول الله عزّ وجلّ : ارفع رأسك واسأل تُعطَ واشفع تشفّع.

فيقول: يا ربّ، الأشقياء من أمّتي قد أنفذت فيهم حكمك.

فيقول الله عزّوجلّ : قد شفّعتك فيهم، فأتِ النار وأخرِج منها من قال: لا إله إلا الله.

فينطلق النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإذا نظر مالك إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم قام تعظيماً له، فيقول: يا مالك ما حال أمّتي الأشقياء؟

فيقول مالك: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم!

فيقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: افتح الباب وارفع الطبق، فإذا نظر أهل النار إلى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحوا بأجمعهم فيقولون: قد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا. ويخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنّة يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحّلين، وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم (جهنّميون عتقاء الرحمن من النار) فيدخلون الجنة، فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها، قالوا: يا ليتنا كنّا مسلمين وكنّا نخرج من النار[1]. وهو قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحِجر: ٢].

أقسام شفاعته صلّى الله عليه وآله وسلّم

سؤال: ما هي أقسام شفاعته صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

الجواب:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي عامّة لجميع الخلائق، وهي

(١) علم اليقين في أصول الدين: ج ٢ ص ١٠٣٩.

خاصّة لنبيّنا ﷺ وليس لأيّ نبي آخر الجرأة أو حقّ التقدّم إليها، وتلك الشفاعة من هول الموقف في العرصات، والتخفيف عن الخلائق بتعجيل الحساب والحكم، وتخليص الناس من محنة الموقف وشدائده.

النوع الثاني: وهي تتعلّق بإدخال فريق من المؤمنين إلى الجنّة بغير حساب، وثبوت هذا النوع لنبيّنا ﷺ قد وردت به النصوص، وهو عند بعضهم خاصّ به وحده.

النوع الثالث: وهي متعلّقة بأقوام تساوت حسناتهم وسيّئاتهم فيدخلون الجنّة بشفاعته ﷺ.

النوع الرابع: وهي تتعلّق بفئة من الناس يستحقّون دخول النار ولكن بشفاعته ﷺ لهم يدخلون الجنة.

النوع الخامس: تتعلّق برفع درجات وزيادة كرامات.

النوع السادس: تتعلّق بأناس دخلوا جهنّم ثم يخرجون منها بالشفاعة، وهي مشتركة بين سائر الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء.

النوع السابع: وتتعلّق باستفتاح الجنّة.

النوع الثامن: وتتعلّق بتخفيف العذاب عن أولئك الذين يستحقّون العذاب الدائم في النار.

النوع التاسع: وهي لزوّار قبره الشريف والمكثرين من الصلاة عليه ﷺ»(١).

إذاً: الروايات الدالّة على وقوع شفاعة النبيّ ﷺ يوم القيامة من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام «وكذا من طرق أهل السنة» بالغة حدّ

---

(١) موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ج ١ ص ١٠٣٤.

التواتر، وهي من حيث المجموع إنما تدلّ على معنىً واحد وهو الشفاعة للمذنبين من أهل الإيمان إما بالتخليص من دخول النار وإما بالإخراج منها بعد الدخول فيها. والمتيقن منها عدم خلود المذنبين من أهل الإيمان في النار، وقد عرفت أن القرآن أيضاً لا يدلّ على أزيد من ذلك»[١].

شفاعة أهل البيت عليهم السلام

سؤال: هل يشفع أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم ومحبيهم؟

الجواب: تضافرت الروايات الواردة في المقام لإثبات الشفاعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص للإمام علي أمير المؤمنين وبضعة المصطفى الزهراء البتول عليهما السلام ومنها:

- عن أبي بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ، اكشف عنّا هذه الظلمة، قال: فيُقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله. فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة. فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء. فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع، سلوهم: من أنتم؟ فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرّية

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ١ ص ١٨٣.

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نحن أولاد علي وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون. فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون(١).

- وعن محمد بن مسلم قال: سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول: لفاطمةَ وقفةٌ على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل: مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ بين عينيه محبّاً فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذريتي من النار، ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عزّ وجلّ: صدقتِ يا فاطمة، إني سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّكِ وتولّاكِ وأحبّ ذريتك من النار، ووعدي الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفّعكِ ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفكِ مني ومكانتكِ عندي.

فمن قرأتِ بين عينيه مؤمناً جذبتِ بيده وأدخلته الجنّة(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٦، كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث: ١٠.
(٢) علل الشرائع: ج ١ ص ١٧٩، الحديث: ٦.

صلاة الليل

قلنا : أفضل وسيلة للقرب الإلهي هي امتطاء الليل ولهذا نعقد حديثنا في هذه الأسطر عن صلاة الليل لبيان فضلها وكيفيتها وبعض أحكامها . . .

صلاة الليل

فضلها: ولنبدأ بما قاله الفيلسوف المتألِّه العارف السيد روح الله الخميني قُدِّس سرُّه وهو يتحدث عن صلاة الليل[١]... قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نَبِّهْ بَالتَفَكُّرِ قَلْبَكَ وَجافِ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ وَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ»[٢].

في هذا الكلام المبارك يقرن الإمام عليه السلام الأعمال القلبية والتفكر المنبّه، وتقوى الله تعالى، بإحياء الليل ومجافاة الفراش من أجل العبادات. وهذا دليل على كمال صلاة الليل وفضيلتها وأهميتها. كما أن الأحاديث الشريفة تمجد هذا العمل الشريف كثيراً. ويُستدلُّ من سيرة أئمة الهدى عليهم السلام والمشايخ العظام والعلماء الأعلام أنهم كانوا مثابرين على أدائها. بل كانوا يحرصون على اليقظة في الهزيع الأخير من الليل، بصرف النظر عن التعبُّد فيه.

لقد جاء في كتاب «وسائل الشيعة» - الذي يعتبر من أعظم كتب الإمامية، ومدار المذهب ومرجع العلماء والفقهاء - واحد وأربعون حديثاً في فضلها، والعديد من الأحاديث في كراهية تركها، وفضلاً عن

(١) الأربعون لآية الله العظمى العارف المتأله السيد الخميني: ص٢٣١ - ٢٣٥: ط٣: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.
(٢) أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب التفكر، ح ١.

ذلك يشير إلى السابقات واللاحقات من الأحاديث في شأنها. وهناك، بالطبع، أحاديث كثيرة جداً في كتب الأدعية وغيرها، ولكننا، من أجل التيمُّن والتبرُّك نورد بعضاً منها:

- «عَنِ الكافِي بإسْنَادِه عَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ عَمّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أبا عَبْد اللهِ عليه السلام يَقُولُ: كانَ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله لِعَليٍّ قوله: يا عَلِيُّ! أوصيكَ في نَفْسِكَ بِخِصالٍ فَاحْفَظْهَا، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أَعِنْهُ... إلى أنْ قالَ: وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْلِ وَعَلَيْكَ بِصَلاةِ اللَّيْل»(١).

يتبيّن من صدر هذا الحديث وذيله ما لصلاة الليل من أهمية.

- «وعَنِ الخِصالِ بِإسْنادِهِ عَنْ أبي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قالَ: قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله لِجَبْرَئيلَ: عِظْنِي، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحْبِبْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلاقِيهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قيامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ كَفُّهُ عَنْ أَعْراضِ النَّاسِ»(٢).

إن تخصيص الموعظة المقدَّسة لرسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الأمر لَيدلُّ أيضاً على أهميته البالغة. ولو كان جبرائيل الأمين يرى أهمية أكبر لأجر آخر لكان قدّمه في هذا المقام.

- وفي المجالس بإسْنادِه عَنْ ابْنِ عَبّاس قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله في حَدِيثٍ: «فَمَنْ رُزِقَ صَلاةَ اللَّيْلِ مِنْ عَبْدٍ أوْ أَمَةٍ قامَ للّهِ مُخْلِصاً

(١) وسائل الشيعة، المجلد الخامس، الباب ٣٩، من أبواب بقية الصلوات المندوبة، ح١.

(٢) وسائل الشيعة، المجلد الخامس، الباب ٣٩، من أبواب بقية الصلوات المندوبة، ح٣.

فَتَوضَّأ وضُوءاً سابِغاً وصَلّى لله عَزَّوَجَلَّ بنِيَّةٍ صادِقة وقَلْبٍ سَليم [وَبَدَنٍ خاشِعٍ] وَعَيْنٍ دامِعَة جَعَلَ اللهُ تَعالَى خَلْفَهُ سَبْعَةَ صُفُوفٍ مِنَ المَلائِكَةِ فِي كُلِّ صَفٍّ ما لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إلّا اللهُ أحَدُ طَرَفَيْ كُلِّ صَفٍّ بِالمَشْرِقِ وَالآخَرُ بِالمَغْرِبِ، فَإذا فَرَغَ، كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِعَدَدِهِمْ دَرَجاتٍ»(١).

- وَعَنِ العِلَل بِإسْنادِه إلى أَنسٍ قالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: الرَّكْعَتانِ في جَوْفِ اللَّيْل أحَبُّ إليّ مِنَ الدُّنْيا وَما فِيها»(٢).

وثمة أحاديث كثيرة أشيرَ فيها إلى أن صلاة الليل هي شرف المؤمن، وزينة الآخرة، مثلما أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا.

- وَعَنِ العِلَلِ بِإسْنادِه إلى جَابِرِ بْن عَبْدِ اللهِ الأنْصارِيِّ قالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ: مَا اتَّخَذَ اللهُ إبْراهِيمَ خَليلاً إلّا لإطْعامِ الطَّعامِ وَالصَّلاةِ بِاللَّيْلِ وَالنّاسُ نِيامٌ»(٣).

ولو لم تكن لصلاة الليل سوى تلك الفضيلة لكن لأهلها وهم لكفتها، ليسوا بأمثالي. إننا لا نعلم شيئاً عن عظمة رداء الخِلّة وما يعني مقام اتخاذ الله تعالى العبد حبيباً وخليلاً. فكل العقول تعجز عن تصور ذلك. فلو أنهم أكرموا الخليل بكل ما في الجنة من نعم، فإنه لا يلتفت إليها (ما دام مع خليله). وأنت أيضاً إذا كان لك محبوب عزيز، أو كان لك صديق حميم ودخل عليك، فإنك تترك كل نعمة ورفاه، وتستغني عن

(١) المجلد الخامس، الباب ٣٩، من أبواب بقية الصلوات المندوبة، الأحاديث ٢٩، ٣٠، ٣١.
(٢) المجلد الخامس، الباب ٣٩، من أبواب بقية الصلوات المندوبة، ح ٢٩، ٣٠، ٣١.
(٣) المجلد الخامس، الباب ٣٩، من أبواب بقية الصلوات المندوبة، ح ٢٩، ٣٠، ٣١.

ذلك بجمال المحبوب ولقاء الصديق، بالرغم من أن هذا المثل بعيد عن المقام بعد المشرقين.

- وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ إبْرَاهِيمَ بِإسْنادِهِ عَنْ أبي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قالَ: «ما مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ يَعْمَلُه العَبْدُ إلّا وَلَهُ ثَوابٌ فِي القُرْآنِ إلّا صَلاةَ اللَّيْلِ؛ فَإنَّ اللهَ لَمْ يُبيِّنْ ثَوابَها لِعَظِيم خَطَرِهَا عِنْدَهُ» فَقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧] (١).

- عن الإمام العسكريِّ عليه السلام أنه قال: (**إنَّ الوُصولَ إلَى اللهِ** عزّ وجلّ سَفَرٌ لا يُدرَكُ إلّا بِامتِطاءِ اللَّيلِ)(٢).

تُرى، ما قرة العين هذه التي يدّخرها الله ويخفيها حتى لا يعلم أحد عنها شيئاً، وما يمكن أن تكون؟ فلو كانت من قبيل «أنهار جارية» و«قصور عالية» ومن نِعم الجنة المختلفة، لذكرها الله، مثلما بيّن ما للأعمال الأخرى وأطلع الملائكة عليها.

ولكن يبدو أنها ليست من ذلك السنخ، وأنها أعظم من أن ينوّه بها لأحد، وخصوصاً لأحد من أهل هذه الدنيا. إنه لا تقارن نِعم ذلك العالم بالنعم هنا، ولا تظنَنَّ أن الفردوس والجنان تشبه بساتين الدنيا، أو ربما أوسع وأبهى. هناك دار كرامة الله ودار ضيافته. فكل هذه الدنيا لا شيء إزاء شعرة واحدة من الحور العين في الجنة. بل ليست شيئاً إزاء خيط من

---

(١) وسائل الشيعة، المجلد الخامس، الباب ٤٠، من أبواب بقية الصلوات المندوبة، ح١٣.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٧٥/ ص ٣٨٠).

خيوط الحلل الفردوسية التي أعدّت لأهل الجنة. ومع كل هذا الوصف، لم يجعلها الله ثواب من يؤدي صلاة الليل، ولكن هيهات! نحن الضعفاء في الإيمان لسنا من أصحاب اليقين، وإلّا لما كنا نستمر في غفلتنا، ونعانق النوم حتى الصباح. لو أن يقظة الليل تكشف للإنسان حقيقة الصلاة وسرّها، لأنس بذكر الله والتفكر في الله، ولجعل الليالي مركوبه للعروج إلى قربه تعالى، ولما كان ثمّة ثواب له إلا جمال الحق الجميل وحده.

الويل لنا نحن - الغافلين - الذين لا نستيقظ من النوم حتى آخر العمر. نبقى في سُكر الطبيعة غارقين، بل نزداد كل يوم سكراً وغفلة، ولا نفهم شيئاً سوى الحالة الحيوانية من مأكل ومشرب ومنكح، ومهما فعلنا، وإن كان من سنخ العبادات، فإنما نفعله في سبيل البطن والفرج. أتحسب أن صلاة خليل الرحمن كانت مثل صلاتنا؟ الخليل لم يطلب حاجة حتى من جبرئيل، ونحن نطلب حاجاتنا من الشيطان نفسه ظناً منا بأنه يقضي الحاجات! ولكن علينا ألانيئس. فلعلك بعد مدة من سهر الليالي والاستئناس بذلك والاعتياد عليه، يلبسك الله بلطفه الخفي خلعة الرحمة. كما أن عليك ألّا تغفل عن سرّ العبادة بصورة عامة، ولا تقصر همك على التجويد في القراءة وتصحيح الظاهر فقط. ولئن لم تقدر أن تكون خالصاً لله تعالى، فاسعَ، على الأقل، من أجل قرة العين التي يخفيها الله عزَّ وجلَّ، وتذكر الفقير، العاصي، الحيواني السيرة، الذي اكتفى من كل المراتب، بالحيوانية. وإذا وجدت في نفسك الرغبة، فقل بخلوص نيّة: «اللهمّ ارزقني التَّجافِيَ عَنْ دارِ الغُرُورِ، وَالإنابة إلى دارِ الخلودِ، وَالاسْتِعْدَادِ للموت قبل حُلُولِ الفوت»(١).

(١) «مفاتيح الجنان» أعمال ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان.

فوائدها

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: قيام الليل مصحَّةٌ للبدن، ومرضاةٌ للرّب عزّ وجلّ ، وتعرُّضٌ للرحمة، وتمسُّكٌ بأخلاق النّبيين[١].

ومن فوائدها المستفادة من أحاديثهم عليهم السلام أنها:

١ - مطردة الداء من الأجساد.

٢ - صحة للبدن.

٣ - تبيّض الوجه وتحسّنه.

٤ - تحسّن الخلق.

٥ - تطيّب الريح.

٦ - تجل الرزق وتدرّه.

٧ - تقضي الدين.

٨ - تذهب بالهمّ.

٩ - تجلّو البصر.

١٠ - تمنع من نزول العذاب.

١١ - تجلب رضا الرب.

١٢ - تمسّك بأخلاق النبيين.

١٣ - تعرّض لرحمة رب العالمين.

١٤ - تمحو السيئات.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٤/ ص ١٤٤).

١٥ - تذهب بما عمل من ذنب بالنهار.

١٦ - شرف الرجل.

١٧ - قبول التوبة.

١٨ - تسرّ القلب.

١٩ - تزيّن الآخرة.

٢٠ - تنوّر البيت وتجلب فيه البركة.

٢١ - تطيل العمر.

وقتها

من منتصف الليل إلى ما قبل صلاة الصبح.

سؤال: هل يجوز تقديمها على منتصف الليل؟

الجواب: يمكن تقديمها على نصف الليل لكل من يخاف فوتها في وقتها لمانع.

سؤال: هل يجوز قضاؤها؟

الجواب: نعم... وقضاؤها بالنهار لذوي الأعذار أفضل من تقديمها على وقتها، إذا دار الأمر بين القضاء والتقديم.

كيفيتها

الركعة الأولى: بعد النية يقرأ الحمد وسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الركعة الثانية: يقرأ الحمد وسور الكافرون: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١-٦] وبعد السجدتين يتشهّد ويسلّم.

الركعة الثالثة إلى الركعة الثامنة: يقرأ الحمد وسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ...﴾ أو أي سورة أخرى، وبعد كل ركعتين يتشهد ويسلم.

ملاحظة: نية هذه الركعات الثماني: أصلّي نافلة الليل قربة إلى الله تعالى.

الركعتان التاسعة والعاشرة (ركعتا الشفع): نيتهما (أصلي ركعتي الشفع قربة إلى الله تعالى).

الركعة الأولى: يقرأ الحمد وسورة الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٦].

الركعة الثانية: يقرأ الحمد وسورة الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١-٥] وتكون من غير قنوت، وبعد السجود يتشهّد ويسلّم.

الركعة الحادية عشرة (ركعة الوتر): نيتها (أصلّي ركعة الوتر قربة إلى الله تعالى) يقرأ بعد الحمد سورة الإخلاص ثلاث مرات والمعوذتين (الفلق والناس) كل منهما مرة واحدة، ثم يقنت ويستحب فيه:

١ - الاستغفار لأربعين مؤمناً أحياءً أو أمواتاً (اللهم اغفر لفلان، اللهم اغفر لفلان. . . الخ).

٢ - الاستغفار سبعين مرة (أستغفر الله وأتوب إليه).

٣. سبع مرات (هذا مقام العائذ بك من النار).

٤. العفو. . . العفو ثلاثمئة مرة.

ثم يكبر ويركع ويسجد ثم يتشهّد ويسلّم.

● دعاء الحزين بعد الصلاة (أُنَاجِيكَ يَا مَوْجُودُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَعَلَّكَ تَسْمَعُ نِدَائِي، فَقَدْ عَظُمَ جُرْمي وَقَلَّ حَيائِي، مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ، أَيَّ ٱلأَهْوَالِ أَتَذَكَّرُ وَأَيُّهَا أَنْسَىٰ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْمَوْتُ لَكَفَىٰ، كَيْفَ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَعْظَمُ وَأَدْهَىٰ؟ مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ، حَتَّىٰ مَتَىٰ وَإِلَىٰ مَتَىٰ أَقُولُ لَكَ الْعُتْبَىٰ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَا تَجِدُ عِنْدِي صِدْقاً وَلَا وَفَاءً فَيَا غَوْثَاهُ ثُمَّ وَٱغَوْثاهُ بِكَ يَا الله، مِنْ هَوَىً قَدْ غَلَبَنِي وَمِنْ عَدُوٍّ قَدِ ٱسْتَكْلَبَ عَلَيَّ وَمِنْ دُنْياً قَدْ تَزَيَّنَتْ لِي وَمِنْ نَفْسٍ أَمَّارَةٍ بِٱلسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، مَولَايَ يَا مَولَايَ، إِنْ كُنْتَ رَحِمْتَ مِثْلِي فَٱرْحَمْنِي وَإِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ مِثْلِي فَٱقْبَلْنِي، يَا قَابِلَ ٱلسَّحَرَةِ، ٱقْبَلْنِي يَا مَنْ لَمْ أَزَلْ أَتَعَرَّفُ مِنْهُ الْحُسْنَىٰ يَا مَنْ يُغَذِّينِي بِٱلنِّعَمِ صَبَاحاً وَمَسَاءً، ٱرْحَمْنِي يَوْمَ آتِيكَ فَرْداً شَاخِصاً إِلَيْكَ بَصَرِي مُقَلَّداً عَمَلِي قَدْ تَبَرَّأَ جَمِيعُ الْخَلْقِ مِنِّي، نَعَمْ وَأَبِي وَأُمِّي وَمَنْ كَانَ لَهُ كَدِّي وَسَعْيِي، فَإِنْ لَمْ تَرْحَمْنِي فَمَنْ يَرْحَمُنِي، وَمَنْ يُؤْنِسُ فِي الْقَبْرِ وَحْشَتِي، وَمَنْ يُنْطِقُ لِسَانِي إِذَا خَلَوْتُ بِعَمَلِي وَسَاءَلْتَنِي عَمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ قُلْتُ نَعَمْ، فَأَيْنَ الْمَهْرَبُ مِنْ عَدْلِكَ، وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَفْعَلْ، قُلْتَ أَلَمْ أَكُنِ ٱلشَّاهِدَ عَلَيْكَ فَعَفْوُكَ عَفْوُكَ يَا مَوْلَايَ قَبْلَ سَرَابِيلِ الْقَطِرَانِ، عَفْوُكَ عَفْوُكَ يَا

مَوْلَايَ قَبْلَ جَهَنَّمَ وَٱلنِّيرَانِ، عَفْوُكَ عَفْوُكَ يَا مَوْلَايَ قَبْلَ أَنْ تُغَلَّ ٱلأَيْدِي إِلَىٰ ٱلأَعْنَاقِ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ وَخَيْرَ ٱلغَافِرِينَ)(١).

كيفيتها المختصرة

سؤال: هل هناك كيفية مختصرة لصلاة الليل؟

الجواب: نعم، وهي: يكفي في كل ركعة بعد النيّة وتكبير الإحرام قراءة سورة الحمد، والركوع، والسجود، والتشهد، والتسليم.

من أحكامها

سؤال: في حال عدم إدراك وقت صلاة الليل هل يمكن أداؤها ولو قضاءً بعد صلاة الصبح مباشرة؟

الجواب: يجوز بل يستحب القضاء.

سؤال: هل يجوز أن أجمع صلاة ركعتي الشفع والوتر بسلام واحد؟ أي تكون عبارة عن ثلاث ركعات فأسلم بعد ركعة الوتر؟

الجواب: نعم لا يبعد جواز الاتيان بالوتر متصلة بالشفع.

سؤال: إذا لم يصلِّ الشخص نافلة الليل ولكنه صلّى الشفع والوتر فقط، فهل يجوز الإتيان بنافلة الفجر قبل دخول وقت صلاة الفجر؟

الجواب: نعم يجوز.

سؤال: هل يجوز الاستغفار في صلاة الليل لأكثر من أربعين مؤمن؟

---

(١) ضياء الصالحين - صلاة الليل.

الجواب: يجوز لا بقصد الجزئية.

سؤال: هل يجوز في صلاة الليل أن نصلي الشفع والوتر فقط وليس صلاة الليل كاملة؟

الجواب: يجوز.

سؤال: إذا كان الإنسان في صلاة الوتر وأذّن لصلاة الفجر أيجوز أن يتّم ما بقي من مستحبات أم يكتفي بما في يديه؟

الجواب: يتمّها بمستحباتها ولا يقصد الأداء والقضاء.

سؤال: هل يجوز أن أمسك المسبحة باليد اليمنى وأرفع اليسرى للدعاء والاستغفار بصلاة الليل؟

الجواب: يجوز.

سؤال: هل يجوز أن أستغفر للرجل العاصي الذي لايصلي في صلاة الليل؟

الجواب: يجوز.

سؤال: بالنسبة إلى صلاة الليل، من المعروف أن وقتها من منتصف الليل إلى طلوع الشمس ولكن وقت عملي وظروفي اليومية لاتساعدني لذلك الوقت، هل استطيع أن أقوم بها قبل النوم؟ علماً أن وقت نومي قبل منتصف الليل؟

الجواب: يجوز.

سؤال: هل يصح أن أقول: اللهم اغفر لفلان بدون ذكر اسمه مثلاً لنسيانه؟

الجواب: يجوز.

سؤال: هل ركعتي الشفع والوتر تعادلان صلاة الليل؟

الجواب: يجوز الاقتصار عليهما ولكن الأفضل الجمع.

سؤال: هل يجوز أن أصلي صلاة الليل ونافلة الصبح قبل أن أنام وعندما أستيقظ أصلي صلاة الفجر؟

الجواب: يجوز.

ملاحظة: هذه المجموعة أعلاه من الاستفتاءات مقتبسة من موقع آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله قسم الاستفتاءات: صلاة الليل: **٢٠١٤**.

سؤال: هل يجوز ذكر أهل البيت عليهم السلام في استغفار ركعة الوتر بأن أقول (اللهم اغفر لفاطمة عليها السلام مثلا)؟

الجواب: يجوز[١].

سؤال: ما المقصود بالدسّ في قولهم: ويجوز دسّهما أي ركعتي نافلة الفجر في صلاة الليل؟

الجواب: أي يصلي نافلة الصبح بعد نافلة الليل مباشرة[٢].

سؤال: إذا قام شخص لصلاة الليل ولكنه قبل أن يبدأ بالصلاة سمع المؤذن يؤذن لصلاة الصبح فصلى ركعتي الشفع وركعة الوتر بنية القضاء فهل تكتب له صلاة الليل؟

الجواب: تكتب له إن شاء الله، ولا مانع من إتيان ركعات صلاة الليل جميعها في هذا الفرض[٣].

---

(١) جواب مكتب آية الله العظمى السيد علي الخامنئي دام ظله في استفتاء خاص.

(٢) استفتاءات: السيد السيستاني، ج ١، رقم السؤال، **٦٢٢**.

(٣) المصدر السابق، ج ١، رقم السؤال، **٢٩٠**.

سؤال: هل الدعاء في صلاة الليل لأربعين مؤمناً مختص بالرجال؟

الجواب: لا يختص[١].

سؤال: هل يكفي لصلاة الوتر قراءة سورة التوحيد مرة واحدة أو أي سورة أخرى؟ وإذا لم يصلِّ الإنسان صلاة الليل حتى طلع الفجر فهل يمتد وقتها له حتى مطلع الشمس؟

الجواب: تكفي قراءة السورة مرة واحدة وإذا استيقظ فإذا الفجر طالع قدم صلاة الليل وتكون قضاء [٢].

سؤال: لو دار الأمر بين أداء صلاة الليل أو الحضور للدرس (لطلب العلم الديني) بحيث لو فعل أحدهما يفوت الآخر ماذا يقدم؟

الجواب: يقدم الحضور[٣].

سؤال: هل تجوز صلاة الليل أداءً ما بين طلوع الفجرين؟

الجواب: نعم[٤].

سؤال: ما هي نية صلاة الليل إذا صلاها بعد صلاة العشاءين؟

الجواب: أداء فيما إذا كان مسافراً أو لعذر كأن خاف فوتها لغلبة النوم أو غير ذلك[٥].

سؤال: لو صلّى الشفع والوتر هل يشرع قضاء صلاة الليل؟

---

(١) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال، **٢٣١٢**.
(٢) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال، **٢٥٦٣**.
(٣) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال، **٢٧٤١**.
(٤) صراط النجاة - استفتاءات السيد الخوئي، ج ١،رقم السؤال**٢٢٠**.
(٥) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال**٢٢١**.

الجواب: نعم يشرع قضاء صلاة الليل، لأن أتى بها قبل الفجر تكون أداء، والله العالم[١].

نفس السؤال والإجابة من مكتب السيد الخامنئي دام ظله وهي أوضح (يجوز بقصد رجاء القضاء)

سؤال: إذا نذر أن يصلي صلاة الليل طول عمره، ثم رأى بعد أن عقد النذر بمدة أن ذلك يوقعه في المشقة أو الإحراج بعض الأحيان، وأراد أن يبطل النذر فكيف يصنع؟

الجواب: يجب عليه الاتيان بها في غير الأوقات التي يكون الإتيان بها حرجياً ولا طريق له إلى إبطاله إلا أن ينهى عنه والده[٢].

سؤال مشابه موجه لمكتب آية الله الولي الخامنئي دام ظله (إذا نذر شخص أن يصلي صلاة الليل مثلاً طول عمره، ثم حنث بنذره عالماً عامداً في إحدى الليالي ولم يصلِّ، أيبقى ملزماً بصلاة الليل في باقي عمره أم إن نذره يلغى بالحنث ويكفر وإذا كان الجواب بالنفي ماذا يفعل ليحلَّ نذره؟

الجواب: انحل النذر ويكفر[٣].

سؤال: إذا نذر شخص أن يصلي صلاة الليل مثلا طول شهر رمضان المبارك، ثم حنث بنذره عالماً عامداً في إحدى الليالي ولم يصلِّ، فوجبت عليه كفارة النذر، أيبقى ملزماً بصلاة الليل في باقي ليالي الشهر أم أن نذره يلغى بالحنث؟

(١) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال١٩٧.
(٢) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال١٠٤٣.
(٣) استفتاء خاص.

الجواب: لا يبقى ملزماً بصلاة الليل في سائر ليالي الشهر ويلغى نذره بالحنث(١).

سؤال: لو نذر الإنسان أن يصلي صلاة الليل، فهل يلزمه البقاء مستيقظاً في صورة عدم الحرج مع افتراض أنه يحتمل احتمالاً عقلائياً عدم الانتباه لو نام، وعلى تقدير عدم الجواز فهل عليه كفارة؟

الجواب: نعم يجب التحفظ على المتمكن من أدائها، ومع عدم الاطمئنان بالانتباه أو عدم التسبيب إلى الانتباه وحصول الفوت يكون عمدياً موجباً للحنث(٢).

سؤال: هل يجوز الاستغفار للمؤمنات؟

الجواب: نعم.

سؤال: هل يجوز الإتيان بالأذكار (الاستغفار والدعاء. . .) أزيد أو أقل من المذكور؟

الجواب: نعم. . . ولكن الأفضل الالتزام بما ورد.

سؤال: هل يجوز قراءة سورة الإخلاص بعد الحمد في كل الصلاة؟

الجواب: يجوز.

سؤال: من قام من النوم قبيل طلوع الفجر، وليس له وقت إلا بمقدار يفي بركعة الوتر كيف يصلي صلاة الليل؟

الجواب: يصلي ركعة الوتر ويصلي نافلة الفجر فيكتب له ثواب نافلة الليل إن شاء الله تعالى. فعن الإمام الصادق عليه السلام: أما يرضى

---

(١) صراط النجاة - استفتاءات السيد الخوئي، ج ١ ،رقم السؤال ١٠٤٤.
(٢) المصدر السابق، ج ١،رقم السؤال ١٠٤٥.

أحدكم أن يقوم قبيل الصبح ويوتر ويصلي ركعتي الفجر، وتكتب له صلاة الليل(١).

سؤال: من صلى من صلاة الليل أربع ركعات فأدركه الفجر هل يتم بقية الصلاة بنية القضاء؟

الجواب: له طريقان لإتمام الصلاة:

الأول: جاز له إتمامها رجاءً أي بنية رجاء المطلوبية.

والثاني: جاز له أن يأتي بالوتر، ويؤخر الركعات حتى يقضيها في صدر النهار.

نفس السؤال والإجابة من مكتب السيد الخامنئي دام ظله وهي أوضح (جاز اكمالها مخففة بعد الاذان بنية الاداء)(٢).

عودٌ على بدء... قلنا: ما من ولي إلا ويمتطي الليل، والآن عزيزي المؤمن الكريم نستمع ونتأمل لما ينقله التاريخ لنا عن عبادة بعض الأولياء في الليل:

من عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوي فراشه، ويشدّ مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان(٣).
- وقال الإمام الصّادق صلوات الله وسلامه عليه: ... كان رسول

(١) تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه - باب كيفية الصلاة وصفتها: ح ١٤١١.
(٢) استفتاء خاص.
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٤/ ص ١٠).

الله ﷺ عند عائشة، فلمّا انتصف اللّيل قام رسول الله ﷺ عن فراشه، فلمّا انتبهت وجدت رسول الله ﷺ قد قام عن فراشها. . . فقامت تطلب رسول الله ﷺ . . . فبينا هي كذلك إذ نظرت إلى رسول الله ﷺ ساجداً كثوب متلبّد بوجه الأرض فدنت منه قريباً فسمعته يقول في سجوده: سَجَدَ لَكَ سَوادي وَخَيالي، وَآمَنَ بِكَ فؤادي، هذِهِ يَدايَ وَماجَنَيْتُهُ عَلى نَفْسي، يا عَظيمُ تُرْجى لِكُلِّ عَظيم، اِغْفِرْ لِيَ الْعَظيمَ فَإِنَّهُ لايَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظيمَ إِلّا الرَّبُّ الْعَظيم.

ثمّ رفع رأسه وأهوى ثانياً إلى السّجود وسمعته عائشة يقول:

أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَضاءَتْ لَهُ السَّمواتُ وَالْأَرَضُونَ، وانْكَشَفَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أمرُ الْأَوَّلينَ وَالْآخِرينَ، مِنْ فُجْأَةِ نِقْمَتِكَ، وَمِنْ تَحْويلِ عافِيَتِكَ، وَمِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، اَللّهُمَّ ارْزُقْني قَلْباً تَقِيّاً نَقِيّاً، وَمِنَ الشِّرْكِ بَريّاً لا كافِراً وَلا شَقِياً.

ثمّ عفّر خدّيه في التّراب وقال: عَفَّرْتُ وَجْهي فِي التُّرابِ وَحُقَّ لي أنْ أسْجُدَ لَكَ. . (١).

- روي أنه ﷺ صلّى حتى انتفخت قدماه.
- وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها فقالت: يا رسول الله، لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، ألا أكون عبداً شكوراً.
- وقال عليه السلام: كان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجليه

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٥/ ص ٤١٦).

فأنزل الله سبحانه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١-٢].

- وقال علي بن الحسين عليه السلام: إن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر فلم يدع الاجتهاد له وتعبّد بأبي هو وأمي حتى انتفخ الساق وورم القدم.

من عبادة إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

. . . كحصيلة للإعداد المميز الذي حظي به الإمام عليه السلام من لدن أستاذه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . . . فقد طُبعت شخصية الإمام عليه السلام بشخصية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في جميع مقوماتها: عبادةً وفكراً ومواقفَ. . . فقد اقتفى أثر أستاذه في كل شيء. . . ولا سيما في الجانب الروحي العبادي وامتطاء الليل من أجل القرب الإلهي(١).

والتاريخ حفظ لنا الشيء اليسير من ذلك فلنستمع للتاريخ وهو يحدثنا عن تلك العبادة بين العاشق والمعشوق. . .

- عن أبي الدرداء قال: شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار(٢) وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل(٣) فافتقدته وبعد عن مكانه فقلت: ألحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي وهو يقول: (إلهي، كم موبقةٍ حملت عن

(١) موقع راديو طهران أهل البيت عليهم السلام:
http://arabic. irib. ir/Monasebat/E - ali/shakhsiyat. htm#1.
(٢) شويحطات النجار: اسم مكان خارج المدينة.
(٣) المغيلات: النخل الوارف الظلال.

مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرةٍ تكرَّمتَ عن كشفها بكرمك. الهي ان طال عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمِّلٌ غير غفرانك، ولا أنا راجٍ غير رضوانك) فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعاتٍ في جوف الليل الغامر ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: (أه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول: خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء).

ثم قال: (آه من نار تنضج الاكباد والكلى، آه من نار نزّاعة للشوى، آه من لهبات لظى).

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك وزويته فلم ينزوِ فقلت: إنّا لله وإنا اليه راجعون، مات والله علي بن أبي طالب فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة عليها السلام : (يا أبا الدرداء، ماكان من شأنه وما قصته؟) فأخبرتها الخبر.

فقالت فاطمة عليها السلام : (هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله).

ثم أتوه بماه فنضحوه على وجهه، فأفاق ونظر إلي وأنا أبكي فقال: (ممَّ بكاؤك يا أبا الدرداء؟).

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك. فقال: (يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنى، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية).

فقال أبو الدرداء: (فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ).

هذا شاهد من شواهد تعلُّق الإمام عليه السلام بالله تعالى وشدة انشداده إليه ورهبته منه.

ويبدو أن هذا ديدن علي عليه السلام كما يتجلى من قول الزهراء عليها السلام لأبي الدرداء: (هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله).

وهذه مزيته عند التوجه إلى الله في صلاته وضراعته، الامر الذي الفه أهل البيت عليهم السلام في علي عليه السلام.

- ولكثرة قيامه للعبادة ليلاً يحدثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي... قال: بتُّ ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فكان يصلي الليل كله ويخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء ويتلو القرآن فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: (يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟).

  قلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم عليه السلام.

وهكذا كان علي عليه السلام في شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء عليهم السلام إنه ترجمة صادقة لعبادة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزهد المسيح عليه السلام.

- وحول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف يروي لنا أبو يعلى في المسند عنه عليه السلام قال: (ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صلاة الليل نور.

  فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير!؟

  قال عليه السلام: (ولا ليلة الهرير)[1].

  ولعلك تسأل ما هي ليلة الهرير؟

الجواب: قال المجلسي - في بيان وجه تسمية ليلة الهرير -: إنّما سمّيت الليلة بليلة الهرير لكثرة أصوات الناس فيها للقتال... [الحرب اشتدّت على مدى يومين بلياليها بدون هوادة].

ولمّا كان قصد الإمام حسم الأمر لم تتوقّف الحرب عند غروب الخميس بل استمرّت ليلة الجمعة أيضاً، وكانت أشدّ ليلة طوال الحرب، ولهذا سُمّيت «ليلة الهرير»... قامت الفرسان في الركب، فاصطفقوا بالسيوف، ... وذهبت مواقيت الصلاة، حتى ما كان في الفريقين أحد يُصلّي ذلك اليوم ولا سجد للَّه سجدة، ولا كانت الصلاة إلّا بالتكبير والإيماء نحو القبلة.

بينما أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ... يُبَسط له نِطَعٌ بين

---

(١) موقع راديو طهران أهل البيت عليهم السلام:
http://arabic. irib. ir/Monasebat/E - ali/shakhsiyat. htm#1.

الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِرْدَه، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته(١)!.

ومن علمائنا الأعلام الذين اقتفوا أثر أهل البيت عليهم السلام ننقل هذا النموذج من عبادتهم في الليل وتحت عنوان: **مجنون في الليل، عاقل في النهار!**

نقل الحاج سليمان خان القاجار الذي كان حاكماً لمدينة (سبزوار) الإيرانية، أن أحد أمراء أصفهان السابقين حكى له القصة التالية: فرّت إحدى جواريَّ من القصر، والتجأت إلى بيت العالم الرباني السيد محمد باقر الشفتي.. وبعد أيام أرسلها السيد إلينا وبيدها رسالة يقول فيها السيد: «لأجلي تجاوز عن هذه الجارية إن كانت مذنبة، وأرجو أن تنصحوا حراسكم وخدّامكم ألّا يؤذوها».

يقول الأمير: سألت الجارية: ماذا رأيت في بيت السيد هذه المدة؟..

فقالت: إنه مجنون في الليل، عاقل في النهار!..

سألناها: كيف ذلك؟..

قالت: في منتصف الليل يقوم في ساحة المنزل باكياً ومصلياً، وأحياناً كان يضرب على رأسه حين البكاء والمناجاة، وفي الصباح يلبس عمامته، ويضع عباءته على كتفه فتراه إنساناً سوياً(٢).

---

(١) ينظر موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الأحاديث: ٢٤٤٠، ٢٥٦١، ٢٥٦٢، ٤٣٠٢.

(٢) قصص العلماء للمهتدي البحراني: ط٦: ص١٥٣، رقم القصة ٩٩.

معنى القَدْر

معنى القَدْر

سؤال: لماذا تسمى بالقدر ولماذا تكررت كلمة القدر؟

الجواب: سميت بذلك لتضمنها كلمة القدر والتكرار يبين عظمة تلك السورة.

ومن الروايات الدالة على عظمتها ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، فغرَّة الشهور شهر الله شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر. .(١).

والقلب هو منشأ الحياة.

إذاً حقيقة شهر رمضان تكمن في ليلة القدر.

سؤال: ما معنى القدر؟

الجواب:

أولاً: يعني فيها التقدير الإلهي لعالمنا المشهود وما ينبغي له، وبعبارة أخرى هي ليلة تعيّن الميزانية للعالم.

يقول العلامة الطباطبائي: إن المراد بالقدر التقدير فهي ليلة التقدير

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج **٩٣**/ ص ٣٨٦).

يقدِّر الله فيها حوادث السنة من الليلة إلى مثلها من قابل من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء وغير ذلك كما يدل عليه قوله في سورة الدخان في صفة الليلة: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ٤-٥] فليس فرق الأمر الحكيم إلا أحكام الحادثة الواقعة بخصوصياتها بالتقدير(١).

سؤال: هل الآيات والروايات دالة على ذلك التقدير؟

الجواب: نعم، الآيات والروايات دالة على ذلك ومنها:

- قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: ٢١].
- قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢].
- قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: ٤٩].
- قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرّعد: ٨].

ومن الروايات

- عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قال ليونس مولى علي بن يقطين: «يا يونس، لا تتكلّم بالقدر. قال: إنّي لا أتكلّم بالقدر ولكن أقول: لا يكون إلّا ما أراد الله وشاء وقضى وقدّر، فقال: ليس هكذا أقول، ولكن أقول: لا يكون إلّا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى.

ثمّ قال: أتدري ما المشيّة؟

(١) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي - (ج ٢٠/ ص ١٨٦).

فقال: لا. فقال: همّه بالشيء. أو تدري ما أراد؟ قال: لا.

قال: إتمامه على المشيّة.

فقال: أو تدري ما قدّر؟

قال: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء.

ثمّ قال: إن الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراد قدّره، وإذا قدّره قضاه، وإذا قضاه أمضاه».

- فى رواية أخرى عن يونس، عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «لا يكون إلّا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى.

قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل.

قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه.

قلت: فما معنى قدّر؟

قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه.

قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مردّ له»[(١)].

- عن أبي يحيى الصنعانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: قال لي أبي محمّد عليه السلام: قرأ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القَدر: ١] وعنده الحسن والحسين عليهما السلام، فقال له الحسين: ياأبتاه كأنّ بها من فيك حلاوة، فقال له: يابن رسول الله وابني، إنّي أعلم فيها ما لا تعلم، إنّها لمّا أُنزلت بعث إليّ جدّك

(١) نقلاً عن كتاب التوحيد، ج٢، ص ١٦٤: لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

رسول الله ﷺ فقرأها عليّ، ثمّ ضرب على كتفي الأيمن وقال: يا أخي ووصيّي ووليّي على أمتي بعدي وحرب أعدائي إلى يوم يبعثون، هذه السورة لك من بعدي ولولدك من بعدك، إنّ جبرئيل أخي عليه السلام من الملائكة أحدث إليّ أحداث أمتى في سنتها، والله وإنّه ليحدث ذلك إليك كأحداث النبوّة، ولها نور ساطع في قلبك وقلوب أوصيائك إلى مطلع فجر القائم عليه السلام [(١)].

- روى الثقة الصفّار رحمه الله بإسناده عن داود بن فرقد، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ [القدر: ١-٢] قال: نزل فيها ما يكون من السنة إلى السنة من موتٍ أو مولد، قلت له: إلى مَن؟ فقال: إلى من عسى أن يكون؟ إنّ الناس في تلك الليلة في صلاةٍ ودعاءٍ ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل تنزّل الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها من كل أمر، سلامٌ هي له إلى أن يطلع الفجر[(٢)].

- روي بالإسناد عن ابن أبي عمير، عمّن رواه عن هشام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله تعالى في كتابه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: ٤].

قال: تلك ليلة القدر يُكتب فيها وفد الحاجّ وما يكون فيها من طاعة أو معصية أو موت أو حياة، ويحدث الله في الليل والنهار ما يشاء، ثمّ يُلقيه إلى صاحب الأرض؟

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٨٢١ - ٨٢٠ ح ٩.
(٢) بصائر الدرجات ٢٤٠ ح ٢.

قال الحرث بن المغيرة البصري: قلت: ومَن صاحب الأرض.

قال: صاحبُكم[(١)].

- روى ثقة الإسلام الكلينيّ قدس سره بإسناده، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخَان: ٤] يقول: ينزل فيها كل أمرٍ حكيم، والمحكم ليس بشيئين، إنّما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف، فحكمه مِن حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ومَن حكم بأمرٍ فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب، فقد حكم بحكم الطاغوت، إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا، وفي أمر الناس بكذا وكذا، وإنّه ليحدث لوليّ الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عَزَّوَجَلَّ الخاصّ والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك السنة من الأمر، ثمّ قرأ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمَان: ٢٧].

ثانياً: تسميتها بالقدر جاءت من عظمة وشرف هذه الليلة

وآياتها دالة على ذلك حيث قال سبحانه: ﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ١-٣] [(٢)].

ويكفي في شرفها أنها ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

سؤال: إذا كان الله سبحانه يقدر ما يجري في ليلة القدر إلى العام

(١) بصائر الدرجات ٢٤١ ح ٤.

(٢) الخطاب موجه لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

القابل فما فائدة الدعاء والصدقة وبر الوالدين. . . ؟والروايات بينت وبشكل صريح ومن المدرستين مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الخلفاء أن لهذه الأعمال أثراً في رد القضاء، وعلى سبيل المثال نذكر حديثين:

الأول: عن عمر بن يزيد، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إنّ الدعاء يردّ ما قد قدّر وما لم يقدّر.

قلت: وما قد قدّر عرفته، فما لم يقدّر؟ قال: حتّى لا يكون»[1].

الثاني: فعن ابن عبّاس، قال: «لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر»[2].

الجواب: أشار القرآن الكريم بوضوح إلى وجود نوعين من التقدير الإلهي أو إلى قضاءَين وأجلين، ففي قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]. تحدّثت الآية بصراحة عن أجلين، هما: قضى أجلاً، وأجل مسمّىً عنده.

وبتقييد الأجل المسمّى بقوله «عنده» يتّضح أنّ هذا هو الأجل الذي لا يقع فيه تغيير؛ لقوله سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النّحل: ٩٦] وهو الأجل المحتوم الذي لا يتغيّر ولا يتبدّل ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]. ومن ثمّ فإنّ هذا الأجل هو الموجود في أمّ الكتاب، ولا بداء فيه، لأنّ أمّ الكتاب يتطابق مع الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب العامّة التي لا تتخلّف عن تأثيرها.

---

(١) الأصول من الكافي، ج ٢، ص ٤٦٩، الحديث ٢.
(٢) المستدرك، ج ١، ص ٤٩٣.

أمّا الثاني فهو الذي أطلقت عليه الآية ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ حيث جاء مبهماً، وهو الأجل المعلّق غير المحتوم، وفيه يقع البداء، لأنّه قابل للتغيّر حيث يتوقّف تحققه على تحقّق شرطه، وهو الموجود في لوح المحو والإثبات القابل للانطباق على الحوادث من جهة استنادها إلى الأسباب الناقصة(١).

ومن أجل توضيح الإجابة نتعرف أقسامَ الأقضية الإلهية، والمستفاد من النصوص أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام ومنها نتعرف القضاءَ الذي لا يبدَّل والذي يبدَّل بوسيلة وشفاعة أعمال البر من الصدقات والدعاء... والقضاء الذي يبدل هو المسمى بالبداء:

أقسام الأقضية الإلهية(٢)

القسم الأوّل: القضاء المحتوم الذي لا يطّلع عليه أحدٌ من خلقه.

وهذا القضاء من العلم المخزون المكنون الذي استأثره الله تعالى لنفسه.

ومن الواضح أنّ هذا القسم من القضاء الإلهي لا يقع فيه البداء، إذ إنّه لم يظهر لأحد حتّى يتحقّق فيه البداء، لأنّ البداء هو الظهور للمخلوقين على خلاف ما علموه، كذلك يستحيل أن يقع البداء في هذا

(١) التوحيد لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ج١: ط٦: دار فراقد: ص٣٢٨ - ٣٢٩.
(٢) علم الإمام لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ط٢: دار فراقد: ص٣١٩ - ٣٢٥.

القسم بالنسبة إلى لله تعالى، لأنّه تعالى عالم بجميع الأشياء منذ الأزل، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، وهو العالم بتحقّق الأسباب أو عدم تحقّقها.

نعم، هذا القسم من القضاء يكون منشأً للبداء لا أنّه يقع فيه البداء. فمثلاً: قضى الله تعالى لزيد أن يعيش عشرين سنة، وعِلمَ النبيّ أو الإمام بذلك، إلّا أنّ زيداً وصل رحمه أو فعل من أفعال البرّ ما اقتضى زيادة في عمره، فزاد الله تعالى له عمره إلى ثلاثين سنة. ففي هذا المثال تقديران: أحدهما: تقدير معلوم للنبيّ أو الإمام، وهو عمر زيد عشرون سنة، وفي هذا العلم قد يقع البداء، وتقدير آخر: وهو معلوم لله تعالى فقط، وهو أنّ زيداً قد يقوم بأي عمل من أعمال البرّ، ويكون سبباً في زيادة عمره، وهذا العلم الثاني لا يطاله التغيّر والتبدّل، وإنّما يكون منه التغيّر والتبدّل، وهو منشأ حصول البداء.

وتدلّ على ذلك نصوص عديدة، منها:

- عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ لله علمين: علماً مكنوناً مخزوناً لا يعلمه إلّا هو، من ذلك يكون البداء. وعلماً علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه، ونحن نعلمه»(١).

عن معلّى بن محمّد قال: سُئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟

قال: «علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت

(١) بصائر الدرجات الكبرى: ج ١ ص ٢٣٠، باب في الأئمّة أنّه صار إليهم جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والمرسلين، الحديث: ٤٣٣.

الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء. والعلم متقدّم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء. فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء...»(١).

القسم الثاني: القضاء المحتوم الذي أخبر به أنبياءه وملائكته بحتميّة وقوعه

وهذا النوع من القضاء لا يقع فيه البداء أيضاً، لأنّ الله تعالى لا يكذّب نفسه ورسله وملائكته، وعليه فلا فرق بين هذا القسم من القضاء وبين القسم الأوّل من جهة عدم وقوع البداء فيه، نعم يفترق هذا القسم عن سابقه أنّ هذا القضاء ممّا أخبر به أولياءه، مضافاً إلى عدم نشوء البداء منه، بخلاف الأوّل.

وقد دلّت جملة من النصوص الروائيّة على هذا النوع من القضاء، منها:

- عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «العلم علمان: فعلمٌ عند الله مخزون لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلمٌ علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنّه سيكون، ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلمٌ عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء، ويؤخر منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء»(٢).

(١) المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٨، الحديث: ١٦.
(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٧، الحديث: ٦.

- عن جهم بن أبي جهمة عمّن حدّثه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أخبر محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بما كان منذ كانت الدُّنيا، وبما يكون إلى انقضاء الدُّنيا، وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه»[١].

القسم الثالث: القضاء غير المحتوم

وهو القضاء الذي أخبر به تعالى ملائكته وأنبياءه، وربما أخبروا الناس بوقوعه في الخارج لكن لا على نحو الحتم والجزم، وإنّما وقوعه معلّق على شيء آخر، من قبيل قضاء الله تعالى بموت زيد في سنّ العشرين، بيدَ أنّه علّق موته على عدم دفع زيد للصدقة أو على عدم صلة رحمه، أو عدم دعاء الناس له، فإذا تحقّق الشرط فلا يموت زيد في ذلك العمر، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وقوله تعالى هذا يفيد فائدة التعليل لقوله المتقدّم في الآية السابقة: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرّعد: ٣٨]، والمعنى: «أنّ لكلّ وقت كتاباً يخصّه فيختلف، فاختلاف الكتب باختلاف الأوقات والآجال إنّما ظهر من ناحية اختلاف التصرّف الإلهي بمشيئته، لا من جهة اختلافها في أنفسها ومن ذواتها، بأن يتعيّن لكلّ أجل كتاب في نفسه لا يتغيّر عن وجهه، بل الله سبحانه هو الذي يعيّن ذلك بتبديل كتاب مكان كتاب، ومحو كتاب وإثبات آخر»[٢].

وهذا ما أكّدته النصوص الروائيّة بشكل واضح ومنها:

---

(١) المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٨، الحديث: ١٤.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١١ ص ٣٧٥.

- عن ابن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويُثبت ما يشاء وعنده أمّ الكتاب. وقال: كلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يضعه، وليس شيء يبدو له إلّا وقد كان في علمه...»(١).

- عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ الله لم يَدع شيئاً كان أو يكون إلّا كتبه في كتاب، فهو موضوع بين يديه ينظر إليه، فما شاء منه قدّم وما شاء منه أخّر، وما شاء منه محا، وما شاء منه كان، وما لم يشأ لم يكن»(٢).

- عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «من الأمور أمور محتومة كائنة لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدّم فيها ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت منها ما يشاء، لم يُطْلع على ذلك أحداً يعني الموقوفة فأمّا ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذّب نفسه ولا نبيّه ولا ملائكته»(٣).

- عن الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «بينا داود على نبيّنا وآله وعليه السلام جالس وعنده شاب رثّ الهيئة، يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلّم عليه وأحدَّ ملك الموت النظر إلى الشابّ (أي بالغَ في النظر).

فقال داود عليه السلام: نظرت إلى هذا؟

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٤ ص ١٢١، كتاب التوحيد، باب البداء والنسخ، الحديث: ٦٣.

(٢) تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٣٩٥، الحديث: ٢٢٤٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٩٦، الحديث: ٢٢٤٤.

فقال: نعم إنّي أُمرت بقبض روحه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع.

فرحمه داود، فقال: يا شابّ، هل لك امرأة؟

قال: لا، وما تزوّجت قطّ.

قال داود: فأتِ فلاناً رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل فقل له: إنّ داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك، وتدخلها الليلة. وخُذ من النفقة ما تحتاج إليه وكُن عندها، فإذا مضت سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع.

فمضى الشاب برسالة داود على نبيّنا وآله وعليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيّام، ثمّ وافى داودَ يوم الثامن فقال له داود: يا شابّ، كيف رأيت ما كنت فيه؟

قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه.

قال داود: اجلس.

فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه، فلمّا طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني هاهنا. فمضى الشاب ثمّ وافاه في اليوم الثامن وجلس عنده، ثمّ انصرف أسبوعاً آخر ثمّ أتاه فجلس، فجاء ملك الموت داود، فقال داود: ألست حدّثتني بأنّك أُمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيّام؟

قال: بلى. فقال: قد مضت ثمانية وثمانية وثمانية.

قال: يا داود، إنّ الله رحمه برحمتك له، فأخّر في أجله ثلاثين سنة»(1).

● عن السيوطي في الدر المنثور في ظلال قوله سبحانه: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا

(1) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١١١، كتاب التوحيد، باب البداء والنسخ، الحديث: ٣١.

﴿يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، عن عليّ عليه السلام أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية، فقال له: «لأقرنّ عينيك بتفسيرها، ولأقرنّ عين أمّتي بعدي بتفسيرها، الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف، يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السوء»(١).

- عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يردّ القدر إلّا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلّا البرّ، وإنّ الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها»(٢).
- عن أبي ولّاد قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «عليكم بالدّعاء، فإنّ الدعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قُدّر وقضي ولم يبقَ إلّا إمضاؤه، فإذا دُعي الله عزّ وجلّ وسُئل صرف البلاء صرفه»(٣).

إذاً من خلال التعرف إلى موقع البداء في الأقضية الإلهية فهمنا فائدة الدعاء... بعد التقدير والقضاء الإلهي.

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور: ج ٤ ص ٦٦١.
(٢) سنن ابن ماجه، تصنيف: أبي عبدالله محمّد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣)، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدوليّة: كتاب المقدّمة، باب القدر، الحديث: ٩٠: ص ٢٧.
(٣) الأصول من الكافي: ج ٢ ص ٤٧٠، كتاب الدّعاء، باب أنّ الدّعاء يردّ البلاء والقضاء، الحديث: ٨.

ومن حقنا أن نسأل: ما هو البداء؟

الجواب:

أولاً: البداء في اللغة[١]

يعني: الظهور المسبوق بالخفاء أو العلم بعد أن لم يُعلم، أي العلم الذي يسبقه جهل، من هنا تضافرت النصوص عن أهل البيت عليهم السلام لردّ هذا المعنى من البيان بشكل واضح، ومنها ما جاء عن منصور بن حازم قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله.

قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، أليس في علم الله؟

قال: بلى قبل أن يخلق الخلق»[٢].

ثانياً: في الاصطلاح

إنّ البداء الذي تقول به الشيعة الإماميّة مغاير للمعنى اللغوي، الذي هو مستحيل على الله تعالى، إذ البداء الذي ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام هو الظهور لغيره تعالى، ومن الواضح أنّ هذا المعنى من

(١) جاء في المعجم الوسيط: «بدا بدواً وبداءً: ظهر، وبدا له في الأمر كذا: جدّ له فيه رأي. البداء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن، وأيضاً استصواب شيء عُلم بعد أن لم يعلم، وكذلك بدا لي في هذا الأمر بداءً: أي ظهر لي فيه رأيٌ آخر»: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، الطبعة الخامسة، طهران ١٤١٦ هـ: ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٨، الحديث: ١١.

البداء لا محذور فيه، لأنّه ينسب الخفاء إلى المخلوقات، لا إلى الذات الإلهيّة المقدّسة، ومن الروايات التي أشارت إلى هذا المعنى:

- عن داود بن فرقد عن عمرو بن عثمان الجهني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله لم يبد له من جهل»(١).
- عن ابن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال: فكلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلّا وقد كان في علمه، إنّ الله لا يبدو له من جهل»(٢).

ومن الواضح أنّ هذا المعنى من البداء لا محذور فيه لأنّه يثبت الخفاء للمخلوقين فقط، لا لله تعالى(٣).

ولو سألنا: ما هي ثمرة البداء أو فلسفته؟

يأتي الجواب:

أولاً: يعطي للإنسان الاختيار وحرية المصير

ما دام البداء في جوهره يتحرّك في نطاق تأثير العمل الإنساني على مصير الإنسان، فإنّ في ذلك ما يشعره أنّ مصيره وطول عمره وقصره

(١) المصدر السابق: ج ١ ص ١٤٨، الحديث: ١٠.
(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٤ ص ١٢١، كتاب التوحيد، باب البداء والنسخ، الحديث: ٦٣.
(٣) ينظر علم الإمام لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ط٢: دار فراقد: ص٣١٦ - ٣١٨.

بيده، وأنّ انفتاح أبواب الطبيعة بالعطاء والبركات تعتمد على سلوكه ونوع علاقته مع الطبيعة.

فالطبيعة يمكن أن تفيض ببركاتها على الإنسان كما يمكن أن تعيقه عن الحركة في خط التكامل، لأنّ الإنسان جزء لا ينفكّ من الوجود، يتأثّر به ويتفاعل معه، وبتعبير السيّد الطباطبائي: «إنّ لجميع أجزاء الكون ارتباطاً وتأثيراً في الوجود الإنساني»[1].

والبداء مؤشّر لبيان هذه العلاقة الجدلية بين الإنسان في عقيدته وفكره وسلوكه وبين الواقع الخارجي ونظام الوجود والتكوين. وآيات القرآن تلقي أضواءً مكثّفة على هذا التأثير والتفاعل بين الإنسان ونظام الوجود باتجاهيه السلبي والإيجابي.

- يقول سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].
- ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٧].
- وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٠.

- وقوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النّحل: ١١٢].

وقوله سبحانه الذي يأتي بمثابة القاعدة العامّة: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

هذه القاعدة القرآنية يعكس مضمونها آيات أخرى، مثل قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣] أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرّعد: ١١].

لقد صاغ السيد الطباطبائي انطلاقاً من هذه الآيات عدداً من القوانين التي تدخل في بناء نظرية إسلامية في نشوء العمران الإنساني وظهور الحضارات واندثارها؛ فبعد أن يفرغ الطباطبائي من بيان عدد من القوانين الوجودية في طبيعة العلاقة المتبادلة بين الإنسان والكون، ينتهي للقول: «فهذه حقيقة برهانية تقرّر أنّ الإنسان كغيره من الأنواع الكونية مرتبط الوجود بسائر أجزاء الكون المحيط به، ولأعماله في مسير حياته وسلوكه إلى منزل السعادة ارتباط بغيره، فإن صلحت للكون صلحت أجزاء الكون له وفتحت له بركات السماء، وإن فسدت أفسدت الكون وقابله الكون بالفساد فإن رجع إلى الصلاح فبها، وإلّا جرى على فساده حتّى إذا تعرّق فيه انتهض عليه الكون وأهلكه بهدم بنيانه وإعفاء أثره، وطهَّر الأرض من رجسه»(١).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ١٩٨.

كما يمعن في نصّ آخر بإظهار تمادي الإنسان فيما يخيَّل إليه تحدِّي الطبيعة الكونية وقهرها عبر التقدّم العلمي، ليخلص إلى القول: «كيف يمكن للإنسان وأنّى يَسَعُه أن يعارض الكون بعمله وهو أحد أجزائه التي لا تستقلّ دونه البتّة؟!».

ثمّ ينتقل إلى تقرير العلاقة الجدلية بين الفعل الإنساني صالحاً أو طالحاً وبين الطبيعة من حوله، وهو يقول: «تأمّل في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١] تَرَه شاهداً ناطقاً بذلك، فالآية تذكر أنّ المظالم والذنوب التي تكسبها أيدي الناس توجب فساداً في البرّ والبحر، ممّا يعود إلى الإنسان كوقوع الحروب وانقطاع الطرق وارتفاع الأمن وغير ذلك، أو لا يعود إليه كاختلال الأوضاع الجوية والأرضية الذي يستضرّ به الإنسان في حياته ومعاشه»[١].

تنتهي هذه النقطة إلى حصيلة تبيّن من خلال ما أثبته القرآن من تعدّد التقدير الإلهي وما أشار إليه أئمّة أهل البيت عليهم السلام من خلال مسألة البداء، أنّ مصير الإنسان بيد الإنسان نفسه، وأنّ العلاقة مع النظام الكوني تابعة لنسق علاقة الإنسان مع ربّه، فكلّما كانت العلاقة قائمة على أساس الطاعة والانقياد فإنّ الطبيعة تنقاد إليه، وتفيض بخيراتها عليه، أمّا إذا كانت العلاقة قائمة على أساس التمرّد والعصيان، وتتحرّك في نطاق الغرور والزهو والخيلاء والمنطق الفرعوني القائل﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤] فإنّ السنن الكونية الحاكمة في نظام التكوين ستقهر الإنسان ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فَاطِر: ٤٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ١٩٧ ١٩٦.

في ضوء هذه الخلفية يمكن تفهُّم بعض أسباب تركيز أئمّة أهل البيت عليهم السلام على البداء، حتى نصّت أحاديثهم على أنّه ما تنبّأ نبيّ قطّ حتّى يقرّ لله بالبداء(١).

فمصير الإنسان يرتبط بالمسألة، أي إنّ التقدير المعلّق ومصير الطبيعة والنظام الوجودي لها علاقة وثيقة بالإنسان وطبيعة ما يحمل من أفكار ومعتقدات وما ينطوي عليه من سلوك.

ثانياً: الأثر التربوي وشد الإنسان إلى الله

لا ريب أنّ البداء يفتح أمام الإنسان نافذة أمل بإمكان التحكّم بالمصير عبر العمل الإرادي، ويضيء أمامه مجرى الحياة بإشراقة تبعث في قلوب المؤمنين الرجاء بالله دائماً وأبداً، فيحثّه ذلك على الدعاء والصدقات وضروب البرّ وفنون الطاعات؛ ممّا يوثق علاقته بخالقه سبحانه، ويضع أمامه فرصاً مفتوحة على الدوام لتعديل المصير(٢).

يقول السيّد الخوئي قدّس سرّه في رسالته عن البداء: «والقول بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله، وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهمّاته وتوفيقه للطاعة وإبعاده عن المعصية.

فإنّ إنكار البداء والالتزام بأنّ ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة دون استثناء، يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه؛ فإنّ ما

---

(١) في الحديث الشريف: «ما تنبّأ نبيّ قطّ حتى يقرّ لله عزّ وجلّ بخمس: بالبداء والمشيّة والسجود والعبودية والطاعة» التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٣٣٣.

(٢) ينظر علم الإمام لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ط٢: دار فراقد: ص٣٢٥.

يطلبه العبد من ربّه إن كان قد جرى قلم التقدير بإنفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة للدعاء والتوسّل. وإن كان قد جرى بخلافه لم يقع أبداً ولم ينفعه الدعاء والتضرّع.

وإذا يئس العبد من إجابة دعائه ترَكَ التضرّع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك. وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام أنّها تزيد في العمر أو في الرزق أو غير ذلك ممّا يطلبه العبد، وهذا هو سرّ ما ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام من الاهتمام بشأن البداء»[(١)].

عن عمر بن يزيد، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إنّ الدعاء يردّ ما قد قدّر وما لم يقدّر. قلت: وما قد قدّر عرفته، فما لم يقدّر؟ قال: حتّى لا يكون»[(٢)].

وبهذا يتّضح أهمّية الإيمان بالبداء في البناء العقائدي، فإنّه لو هيمن على وجود أي إنسان نمط من الاعتقاد يفيد بأنّ ما جرى به قلم التقدير أمرٌ لا مردّ له، وهو كائن لا محالة دون استثناء، لسقط الإنسان في هوّة اليأس وضُربت عليه حالة من الإحباط والقنوط، فعلامَ يلجأ إلى الدعاء والأمر قد فُرِغ منه[(٣)].

(١) رسالتان في البداء، ص ٤٤ ٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٦٩، الحديث ٢.
(٣) التوحيد لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ج١: ط٦: دار فراقد: ص٣٨٨ - ٣٤٥.

خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

هذا المقطع من السورة الشريفة والذي قبله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ يبين عظمة هذه السورة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدّخان: ٣] والليلة المباركة هي ليلة القدر كما بيناه سابقاً(١).

سؤال: لماذا سميت مباركة؟

الجواب: يقول الراغب في مفرداته(٢): سمي محبس الماء بركة، والبركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعرَاف: ٩٦]، وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة.

ولمّا كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يُحَسّ، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة، وإلى هذه الزيادة أشير بما روي أنه: (لا ينقص مال من صدقة) لأنه بحسب الواقع ينمو ولا ينقص.

---

(١) في بحث نزول القرآن في ليلة واحدة.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن مادة برك.

يقول آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي دام ظله[١]: فأي ليلة هذه التي تكون مبدأ الخيرات، ومنبع الإحسان والعطايا الدائمة؟!

إذاً الخير الإلهي إذا أعطي لأحد في ليلة القدر فسوف يكون ثابتاً ومستمراً ولهذا سميت ليلة مباركة.

سؤال: هل البركة والخير في الأمور المادية؟

الجواب: المادي والمعنوي؛ ومن مصاديق البركة والخير الحكمة قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩].

ومن بركات ليلة القدر العمل فيها ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: ٣].

سؤال: ما هو المراد من الألف شهر؟

الجواب: الألف العدد المعروف الذي يقابل الألفين، وعليه فهي تعدل أكثر من عمر ثمانين عاماً.

والروايات تشير إلى ذلك ومنها:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... جعل الله عزّ وجلّ ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من ألف شهر ملك بني أُمية[٢].

المقصود من الألف أعلى مراتب الكثرة، والشواهد القرآنية دالة على ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ

(١) تفسير الأمثل - لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي: ذيل الآية الثالثة من سورة الدخان.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥٨/ ص ١٦٨).

ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٩٦].

الألف في هذا النص ليس المراد به أكثر أي ألفين وثلاثة... بل يريدون الخلود في الدنيا لأنهم عَمّروا الدنيا وخربوا الآخرة.

إذاً الألف في ليلة القدر هو ليس خصوص هذا العدد بل كناية عن الكثرة لأن في لغة السابقين مرتبة الألف آخر مراتب العدد ولا يوجد اصطلاح مليون و...

سؤال: ما الفرق بين الاحتمالين؟

الجواب: على الأول أنها تعدل أكثر من ثمانين سنة وعلى الثاني فيها من الخيرات لا تعد ولا تحصى.

والبركات التي فيها بحسب القانون الإلهي؛ قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

أسباب مضاعفة العمل

أسباب مضاعفة العمل

قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: ٣].

سؤال: هل يعدلُ العمل في هذه الليلة المباركة ألف شهر؟

الجواب: لم تقل يعدل ألف شهر بل قالت ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: ٣] بضعف ضعفين... علمها عند الله سبحانه ولعلها مصداق لقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]. أو قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وأمّا على مستوى الروايات فقد سُئل الإمام الباقر عليه السلام كيف تكون خيراً من ألف شهر؟

الجواب: قال عليه السلام: العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر..[١].

سؤال: كيف يتضاعف العمل؟

الجواب: روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لربكم في أيام دهركم نفحاتٍ ألا فتعرّضوا لها»[٢].

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٤/ ص ١٩).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٧/ ص ٩٥).

ويمكن تقسيم أسباب مضاعفة العمل إلى:

أولاً: المكان

ومن مصاديقه المسجد الحرام، الصلاة فيه مضاعفة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: الصلاة في الحرمين تعدل ألف صلاة..[(١)]..

ثانياً: الزمان

ومن مصاديقه ليلة النصف من شعبان؛ العمل فيها مضاعف، سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله تعالى العباد فضله، ويغفر لهم بمنِّه، فاجتهدوا في القربة إلى الله فيها فإنها ليلة آلى الله تعالى على نفسه ألا يردَّ سائلاً له فيها، ما لم يسأل معصية، وإنها الليلة التي جعلها الله لنا - أهلَ البيت - بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فاجتهدوا في الدعاء والثناء على الله تعالى عزّ وجلّ ، فإنه من سبّح الله تعالى فيها مئة مرة وحمده مئة مرة وكبّره مئة مرة غفر الله تعالى له ما سلف من معاصيه، وقضى له حوائج الدنيا والآخرة..[(٢)].

وللأيام خصوصية؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن لله عزّ وجلّ خياراً من كل ما خلقه، فأما خياره من الليالي فليالي الجُمَع، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وليلتا العيدين، وأما خياره من الأيام فأيام الجمع[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٦/ ص ٧٣).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٤/ ص ٨٥).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٨/ ص ١٢٦).

وإذا أمعنّا النظر في الروايات فإنها تعطي قيمة خاصة لليلة ويوم الجمعة ومنها:

- قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا كان يومُ القيامة بعَثَ الله الأيّامَ في صورٍ يَعرفها الخَلْق أنّها الأيّام، ثمّ يبعث الجمعةَ أمامَها يَقْدِمنها كالعروس ذات جمالٍ وكمالٍ تُهدى إلى ذي دِينٍ ومال. قال: فتقف على باب الجنّة والأيّامُ خلفها، تشهد وتشفع لكلِّ مَن أكثَرَ الصلاةَ على محمّدٍ وآل محمّد، لا غيرهم»، قيل له: وكَم الكثيرُ مِن هذا؟ وفي أيّ أوقاتٍ أفضل؟ قال: «مئةُ مرّة، ولْيكُنْ ذلك بعد صلاة العصر»، قال: فكيف أقول؟ قال: «تقول: اَللّهمَّ صَلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد، وعجِّلْ فَرَجَهم»[1].
- وقال عليه السلام: «الصدقةُ ليلةَ الجمعة بألف، والصدقةُ يومَ الجمعة بألف»[2].

إذاً لبعض الأزمنة والأمكنة قيمة مخصوصة.

ثالثاً: المعرفة التوحيدية

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ[3] وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ

(١) جمال الأسبوع للسيّد ابن طاووس: ٤٥١، بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٣٥٣: ٨٩، مستدرك الوسائل للميرزا النوري ٩٤: ٦.

(٢) المقنعة: ٢٦، روضة الواعظين: ٣٣٣، بحار الأنوار ٢٨٢: ٨٩.

(٣) «أوّل الدّين» أي: أوّل ما يجب أن يتديّن به. «معرفته» أي: بالقلب والجَنان، قال الإمام الرضا عليه السلام في علل رواها عنه الفضل بن شاذان: فإن قال قائل: فما أوّل الفرائض؟ قيل: الإقرار بالله وبرسوله وحجّته وبما جاء من عند الله. فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار بالله وبرسوله وحجّته وبما جاء من عند الله؟ قيل: لعلل كثيرة، =

التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ. .[١].

السائل يسأل إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أفنبي أنت؟ فقال: ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

سؤال: لماذا يعبر عن نفسه الشريفة بالعبد؟

الجواب: لأنه ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (مَن علّمني حرفاً فقد صيّرني عبداً)[٣] وأمير المؤمنين ما يعلمه بتعليم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الأصبغ بن نِباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمني ألف باب من الحلال والحرام، ومما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف ألف باب، حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب[٤].

= منها: أنّ من لم يقرّ بالله لم يتجنّب معاصيه، ولم ينتهِ عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحداً فيما يشتهي ويستلذّ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء، وارتكب كلّ إنسان ما يشتهي ويهواه، من غير مراقبة لأحد، كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال، وأباحوا الدماء والسبي، وقتل بعضهم بعضاً من غير حقّ ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدّنيا، وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل/أخرجه ضمن حديث طويل الصدوق في علل الشرائع ١: ٢٥٢ ح ٩، والعيون ٢: ٩٧ ح ١: نقلاً عن بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩٦/ ص ٢٦٣).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣/ ص ٢٨٣).

(٣) آداب المتعلمين.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٢/ ص ٤٦١.

- و قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي كعبادة جدّي عند عبادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم [١].

هذه الروايات تشير إلى البعد المعرفي التوحيدي وليس البعد الكمي في العبادة.

رابعاً: الإخلاص في العمل

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدنيا كلّها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلّا ما عُمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يُختم له[٢].

- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الناس كلهم هالكون إلا العالمين والعالمون كلهم هالكون إلا العاملين والعاملون كلهم هالكون إلا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم[٣].

ولهذا جعل الله سبحانه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضربة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين...

- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَضربةُ عليٍّ [أي يوم الخندق لعمرو بن عبد ود العامري] خير من عبادة الثقلين»[٤].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤١/ ص ١٤٩.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢/ ص ٢٩).
(٣) مجموعة ورام ج٢: باب صفة المساءلة: ح٢٢٦٩: ط١: إصدارات العتبة الحسينية المقدسة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ هـ: ص: ٣٧٩.
(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٩/ ص ٢.

- وقال رسول الله ﷺ: يؤمر برجال إلى النار فيقول الله جل جلاله لمالك: قل للنار لا تحرق لهم أقداماً فقد كانوا يمشون إلى المساجد، ولا تحرق لهم وجهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرق لهم أيدياً فقد كانوا يرفعونها بالدعاء، ولا تحرق لهم ألسناً فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن قال: فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء! ما كان حالكم؟ قالوا: كنا نعمل لغير الله عزوجل، فقيل لنا: خذوا ثوابكم ممن عملتم له(١).

- وعنه ﷺ: إن أول من يُدعى يوم القيامة، رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ للقارئ: ألم أعلمك ما انزلت على رسولي؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ما عملت فيما علمت؟ فيقول: يا رب، قمت به في آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: إنما أردت أن يقال: فلان قارئ، فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله تعالى: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان جواد، وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله تعالى: ما فعلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قُتلت، فيقول الله تعالى:

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٩/ ص ٢٩٦.

كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان شجاع جريّ، فقد قيل ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: أولئك تسعر لهم نار جهنم[١].

ومن القصص النافعة في هذا المجال ننقل لك أخي المؤمن هذه القصة وتحت **عنوان (أمضى ليلة في المسجد رياء)**.

ينقل أن رجلاً كان لا يقدر على الإخلاص في العمل وترك الرياء ففكر في أحد الأيام أن يذهب إلى طرف البلدة للصلاة والعبادة في مسجد مهجور لا يدخله أحد.

وذهب إلى ذلك المسجد في ليلة مظلمة ذات رعد وبرق ومطر.

شرع في العبادة وبينما هو في الصلاة، إذ دخل عليه داخل، فأحس به ودخله السرور بأن يراه هذا الداخل وهو على حالة العبادة في الليلة الظلماء، فأخذ في الجد والاجتهاد في عبادته إلى أن جاء النهار فنظر إلى ذلك الداخل فإذا هو كلب أسود قد دخل المسجد للاحتماء من المطر، فتندّم ذلك الرجل على ما دخله من الرياء عند دخول الكلب، وقال: يا نفس، إني فررت من أن أشرك بعبادة ربي أحداً من الناس، فوقعت في أن أشركت معه في العبادة كلباً أسودَ فيا أسفاه ويا ويلاه على هذا..[٢]..

ولهذا يقول الفخر الرازي[٣]... فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين،

(١) سنن النبي الأكرم ﷺ: الباب الثاني عشر: بطلان عبادة المرائي: ح٧.
(٢) إحدى محاضراتنا عن الرياء وأثره الخطرة.
(٣) تفسير الرازي - ذيل تفسير الآية ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

فقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الانشراح: ٥-٦] ومرة عشرة، ومرة سبعمئة، وتارة بحسب الأزمنة، وتارة بحسب الأمكنة، والمقصود الأصلي من الكل جر المكلف إلى الطاعة وصرفه عن الاشتغال بالدنيا، فتارة يرجّح البيت وزمزم على سائر البلاد، وتارة يفضّل شهر رمضان على سائر الشهور، وتارة يفضّل الجمعة على سائر الأيام، وتارة يفضّل ليلة القدر على سائر الليالي.

ثم يقول: هذه الآية ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فيها بشارة عظيمة وفيها تهديد عظيم، أما البشارة فهي أنه تعالى ذكر أن هذه الليلة خير، ولم يبين قدر الخيرية، وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمبارزة علي عليه السلام مع عمرو بن عبد ود (العامري) «أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة» فلم يقل مثل عمله بل قال: أفضل...

إذاً علينا ان نختار الزمان والمكان والمعرفة وإخلاص النية من أجل مضاعفة العمل؛ لأن هذه الطاعات هي رأس مال الإنسان لدخول الجنة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يُفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربعٌ وعشرون خزانة عدد ساعات الليل والنهار، فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه، ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة فيناله عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربه، ثم يفتح له خزانة اخرى فيراها فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءُه، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل فيها بشيء من مباحات الدنيا، فيناله من الغبن والأسف على

فواتها - حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات - ما لا يوصف، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التّغَابُن: ٩][١].

ولعله يصدر عمل في زمان ومكان ومعرفة له قيمة تعدل العمر كله فعلى العاقل أن يستثمر هذه المحطات ولهذا ورد عنهم عليهم السلام عن الإمام الصادق عليه السلام وهو يصف العقل بقوله: . . . العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان. .[٢].

هذه المحطات الإلهية العاقل يتزود منها بكل ما لديه من قدرة وإمكانية ومثاله مثل الإنسان يسير في صحراء مترامية الأطراف ويصل إلى محطة فيها الزاد والراحلة ماذا يعمل؟

الجواب: واضح يتزود منها بالزاد والوقود وكل ما يحتاج إليه سفره. . . ونحن في الدنيا على سفر فيه عقبات وعقبات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إن الدنيا قد ترحّلت مدبرةً وإن الآخرة قد ترحّلت مقبلةً ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة!! اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل[٣].
- وقال عليه السلام . . . : يا عباد الله، ما بعد الموت لمن لا يُغفر له أشد من الموت، القبرَ فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة،

(١) بحار الأنوار/ جزء ٧/ ص ٢٦٢.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١/ ص ١١٦).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٢/ ص ٣٥٥).

أنا بيت الدود والهوام، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار..[١].

وهذا الشهر هو شهر الدعوة والضيافة الإلهية؛ قال رسول الله ﷺ: ... وهو شهرٌ دُعيتُم فيه إلى ضيافةِ الله، وجُعِلتُم فيه مِن أهل كرامةِ الله. أنفاسُكم فيه تسبيح، ونومُكم فيه عبادة، وعملُكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب..

سؤال: ما هي المأدبة الإلهية في شهر رمضان؟

الجواب: قال رسول الله ﷺ قوله: «القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم...»[٢].

سؤال: ما أهمية هذه المأدبة في حياة الإنسان؟

الجواب:

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إنكم في زمان هدنة، وأنتم على ظهر السفر والسير بكم سريع، فقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يُبليان كل جديد ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المفاز. فقام المقداد فقال: يا رسول الله، ما دار الهدنة؟قال: دار بلاء وانقطاع، فإذا ألبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع وماحلٌ[٣] مصدّق من جعله أمامه

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٦/ ص ٢١٨).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٩/ ص ١٩).
(٣) هذا القول مجاز، والمراد أن القرآن سبب لثواب العامل به وعقاب العادل عنه، فكأنه يشفع للأول فيشفع، ويشكو من الآخر فيصدق، والماحل ههنا الشاكي وقد يكون =

قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار. .[١] [٢].

= أيضاً بمعنى الماكر، يقال: محل فلان بفلان إذا مكر به. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٩/ ص ٢٠).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٨٩/ ص ١٧).

(٢) للمزيد يرجع إلى كتابنا الموسوعة الرمضانية الضيافة الإلهية - ضيافة الله لعباده المؤمنين (المأدبة الإلهية).

الفرق بين «أنزلناه» و«ننزّل»

الفرق بين «أنزلناه» و«ننزّل»

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٤-٥].

من هنا يبدأ القسم أو المقطع الثاني من السورة المباركة.

سؤال: ما هو الفرق بين الفصلين؟

الجواب: الأول بدأ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٢] والثاني بـ ﴿تُنَزِّلَ﴾ [آل عمران: ٩٣] والفرق بينهما مضموني؛ فالأول يشير إلى نزول القرآن مرة واحدة وغير قابل للتكرار في حياة النبي ﷺ أو بعده وهو النزول الجمعي وبدون واسطة.

والثاني استمرار ليلة القدر في كل سنة من شهر رمضان؛ ولهذا فإن ليلة القدر اكتسبت أهميتها من بُعدين هما نزول القرآن واستمرار نزول الملائكة وبركاته قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٤-٥].

سؤال: ما هو الدليل على استمرار ليلة القدر؟

الجواب:

- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣-٤].

- قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٤-٥].

بقرينة (يُفْرَقُ) و(تَنَزَّلُ) فإنها مستمرة؛ لأنهما فعلان يفيدان الاستمرار.

وفي الرواية... روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، ليلة القدر شيء يكون على عهد الأنبياء ينزل فيها عليهم الأمر فإذا مضوا رفعت؟ قال: لا بل هي إلى يوم القيامة(١).

إذاً هي مستمرة ليس لنزول القرآن بل من جهة نزول الملائكة وما يرافقها من البركات...

سؤال: ممَّ اكتسبت ليلة القدر أهميتها؟

الجواب: من جهة نزول القرآن ومن جهة نزول الملائكة.

ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم.

إذاً هي مستمرة من جهة نزول الملائكة.

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢٥/ ص ٩٧).

على من تنزّل الملائكة والروح؟

على من تنزّل الملائكة والروح

سؤال: على أي بيت تنزّل الملائكة والروح ومن أين تعرج؟

الجواب: بالرجوع إلى ثقل وعدل القرآن تتضح الإجابة؛ حيث وردت عدة روايات لبيان ذلك ومنها:

- عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس: إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه يتنزل في تلك الليلة أمر السنة ولذلك الأمر ولاةٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال ابن عباس: من هم؟ قال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدثون(1).

- عن الإمام الحسن عليه السلام . . . فأنا الحسن بن محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . . . وأنا ابن الذي أُرسل رحمةً للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين كان جبرئيل ينزل عليهم ومنهم كان يعرج. . . .(2).

- روى الكراجكيّ رحمه الله بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام . . . قال: وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾

(1) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٣٦/ ص ٣٧٣).
(2) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٤٣/ ص ٣٦١).

[القدر: ٤] أي من عند ربِّهم على محمّدٍ وآل محمّد ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾ [القدر: ٤-٥] (١).

- روي عليّ بن إبراهيم القمّي... قال: تنزّل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه... (٢).
- روي... عن ابن أبي عمير... قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله تعالى في كتابه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

قال: تلك ليلة القدر يُكتب فيها وفد الحاجّ وما يكون فيها من طاعة أو معصية أو موت أو حياة، ويحدث الله في الليل والنهار ما يشاء، ثمّ يُلقيه إلى صاحب الأرض.

قال الحرث بن المغيرة البصري: قلت: ومَن صاحب الأرض.

قال: صاحبُكم(٣).

- وروي بالإسناد عن أبي الهذيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يا أبا الهذيل، إنا لا يخفى علينا ليلة القدر، إنّ الملائكة يطوفون بنا فيها(٤).
- وروي بالإسناد عن عبد الله بن سنان، قال: سألته عن النصف من شعبان، فقال: ما عندي فيه شيء، ولكن إذا كانت ليلة التاسع عشر من شهر رمضان قَسَّم فيها الأرزاق، وكتب فيها الآجال، وخرج فيها صكك الحاجّ، واطّلع الله إلى عباده فغفر الله لهم إلّا شارب

(١) كنز الفوائد ٤٧٥.
(٢) تفسير القمّيّ ٢: ٤٣٢ - ٤٣١.
(٣) بصائر الدرجات ٢٤١ ح ٤.
(٤) بصائر الدرجات ٢٤١ ح ٥.

الخمر، فإذا كانت ليلة ثلاثة وعشرين فيها يُفْرَق كل أمرٍ حكيم، ثم ينهي ذلك ويمضي. قال: قلت: إلى من؟ قال: إلى صاحبكم، ولولا ذلك لم يعلم[١].

(١) بصائر الدرجات ٢٤٠ ح ٣.

حقيقة الملائكة

حقيقة الملائكة

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٤-٥].

سؤال: ما هو منشأ خلق الإنسان والجان والملائكة؟

الجواب:

أولاً: منشأ الإنسان من الطين

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].
- وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدَة: ٧].
- وقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١].

ثانياً: منشأ الجن من النار

- قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرَّحمٰن: ١٥].

- وقال سبحانه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ثالثا: منشأ الملائكة من النور

- ... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ... إن الله عز وجل خلق الملائكة من نور..[١].

سؤال: هل هناك آثار لمنشأ تلك المخلوقات (الإنسان والملائكة والجن)؟

الجواب: لكل واحد مقتضيات وآثار وقوانين وأحكام تخصه...

الإنسان ركب فيه بحسب منشئِه الخير والشر...

- قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾ [الشمس: ٧-١١] ولهذا اعترضت الملائكة على خلافته بقولها كما حكاه عنهم الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠].

سؤال: لماذا اعترضت الملائكة وقالت: هذا المخلوق الطيني يفسد؟

الجواب: لأن الملائكة تعرف أن هذا المخلوق الطيني من طبعه

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١١/ ص ١٠٢).

الأرضي له آثار منها هذه الصفات والتي حكاها الله سبحانه عن الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

والله سبحانه لم يردَّ كلام الملائكة بل قال سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

بُعْد الإنسان الطيني

نعم في البعد الطيني يمكن للإنسان أن يتسافل ويتسافل ويبتعد عن الله تعالى، كما في الآية المباركة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأَخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨][1].

وهذا البعد الذي نظر إليه إبليس وجعله يحقّر الخليفة الإلهي ومنعه من السجود وأنساه حقيقة الإنسان وبعده الروحي.

إذاً المنشأ الطيني له مجموعة من الاقتضاءات والاستحقاقات منها ما فهمته الملائكة ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

البعد الروحي للإنسان

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

(١) فلسفة الدين، ص: ٦٢ لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

وقـال تـعـالـى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وهذا البعد هو الذي يمثل حقيقة الإنسان وجوهره، وبه يكون خليفة الله سبحانه وتعالى وبه يكون أشرف وأفضل من الملائكة؛ ففي الرواية عن عبد الله بن سنان قال: «سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم»(١).

وعلى هذا الأساس، يمكن لهذا الموجود الطيني أن يتسامى ويصعد إلى الله تعالى ويصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى؛ ذلك المقام الذي قال فيه جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو دنوتُ أنملة لاحترقت»(٢).

وأما الموجود النوري فمن أثاره: التسبيح والتقديس؛ قال تعالى حاكياً عن الملائكة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠].

وأما الموجود الناري فمن آثاره: الاستكبار والإغواء... قال تـعـالـى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٥ ٤: نقلاً عن فلسفة الدين، ص: ٦٢ لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ: ج ١ ص ١٥٥: نقلاً عن فلسفة الدين، ص: ٦٢ لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٧١-٨٣].

إذاً:

كل منشأ له مقتضياته وقوانينه الخاصة به.

١ - الجان منشؤهم النار.

٢ - الإنسان منشؤه الطين ولكن حقيقته ببُعده الآخر والمعبر عنه بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

٣ - الملائكة منشؤهم النور.

مبحث الطينة
والتي هي منشأ الإنسان
وعلاقتها بطبع الإنسان ومزاجه

مبحث الطينة والتي هي منشأ الإنسان وعلاقتها بطبع الإنسان ومزاجه

الطينة لها أحكام خاصة تنعكس على طبيعة ومزاج الإنسان.

سؤال: ما هو الدليل على ذلك؟

الجواب: من خلال تتبع الآيات والروايات تتضح الإجابة:

- قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].
- وقال سبحانه ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ﴾ [فَاطِر: ١٢].

أي بعض البلدان والمياه صالحة للثمار الطيبة والأخرى غير صالحة ولهذا ورد عن النبي ﷺ قوله: الناس معادن كمعادن الذهب(١) والفضة(٢).

(١) فكأنه ﷺ يقول: إذا صادفت أحداً فتعرَّف أحواله وتجسّس أفعاله وأقواله، فإن كان صالحاً فعليك به فهو من المعدن النفيس، فإن كان غير صالحاً فالهرب الهرب منه فهو من المعدن الخسيس/ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥٨/ ص ٦٥).

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥٨/ ص ٦٥).

وروايات أخبار الطينة دالة على ذلك ومنها:

- . . . عن يزيد بن سلام أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: . . . يا محمد، فأخبرني عن آدم لم سمي آدم؟ قال: لأنه خُلق من طين الأرض وأديمها.

قال: فآدم خلق من الطين كله أو من طين واحد؟ قال: بل من الطين كله، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة.

قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أصفر. . . وفيه أغبر وفيه أحمر وفيه أزرق، وفيه عذب وفيه ملح وفيه خشن وفيه لين وفيه أصهب، فلذلك صار الناس فيهم لين وفيهم خشن وفيهم أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب(١).

عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان(٢). فقال: إن الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماءً عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي.

وقال: كن ماءً ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم امرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً، ثم أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فإذا هم في الذر يدبون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أبالي، ثم أمر ناراً فأسعرت فقال لأصحاب

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٩/ ص ٣٠٤).
(٢) قوله عليه السلام: لما اختلف اثنان أي في مسألة القضاء والقدر، أو لما تنازع اثنان في أمر الدين.

الشمال: ادخلوها، فهابوها وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها: فقال: كوني برداً وسلاماً. فكانت برداً وسلاماً؛ فقال أصحاب الشمال: يا ربِّ أقِلنا[١]، فقال: قد أقلتكم فادخلوها، فذهبوا فهابوها، فثم ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع[٢] هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء[٣].

- عن أمير المؤمنين عليه السلام . . . : قال الله تبارك وتعالى للملائكة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

قال: وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربنا تبارك وتعالى غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات - وكلتا يديه يمين[٤] - فصلصلها[٥] في كفه فجمدت فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمة المهتدين، والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم الدين ولا أبالي، ولا أسأل عما أفعل وهم يُسألون.

---

(١) أي اصفح عنا.

(٢) عدم الاستطاعة لاتباع أهوائهم قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ٢٥٢).

(٤) لما كانت اليد كناية عن القدرة فيحتمل أن يكون المراد باليمين القدرة على الرحمة والنعمة والفضل، وبالشمال القدرة على العذاب والقهر والابتلاء، فالمعنى: أن عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفية والمصالح العامة، وبه يمكن أن يفسر ما ورد في الدعاء: والخير في يديك.

(٥) والصلصال: الطين الحر خلط بالرمل، فصار يتصلصل إذا جف.

ثم اغترف غرفة أخرى من الماء المالح الأجاج فصلصلها في كفه فجمدت ثم قال لها: منك أخلق الجبارين، والفراعنة، والعتاة، وإخوان الشياطين، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي، ولا أسأل عما أفعل وهم يُسألون.

قال: وشرط في ذلك البداء فيهم، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء، ثم خلط الماءين جميعاً في كفه فصلصلهما ثم كفأهما قدام عرشه وهما سلالة[١] من طين[٢].

- عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد الله بن الفضل، إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته وصنعنا برحمته وخلق أرواحكم منا فنحن نحنُّ إليكم وأنتم تحنّون إلينا، والله لو جهد أهل المشرق والمغرب أن يزيدوا في شيعتنا رجلاً أو ينقصوا منهم رجلاً ما قدروا على ذلك، وإنهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم وأنسابهم، يا عبد الله بن الفضل ولو شئت لأريتك اسمك في صحيفتنا. قال: ثم دعا بصحيفة فنشرها فوجدتها بيضاء ليس فيها أثر الكتابة، فقلت: يا بن رسول الله، ما أرى فيها أثر الكتابة، قال: فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبة ووجدت في أسفلها اسمي فسجدت الله شكرا[٣].
- عن أبي يحيى... قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل خلقنا

(١) وسلالة الشيء: ما انسل منه واستخرج بجذب ونزع.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ٢٣٧).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٢٦/ ص ١٣١).

من علّيين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من علّيين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك كان القرابة بيننا وبينهم، ومن ثم تحنّ قلوبهم إلينا[١].

- عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: . . . فإني أنا الله لا إله إلا أنا، عالم السر وأخفى وأنا المطّلع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه[٢].

- عن ابن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه؛ فقال: الشقي من علم اللهُ وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم اللهُ وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء. قلت له: فما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: اعملوا فكل ميسّر لما خُلق له؟

فقال: إن الله عز وجل خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فيسّر كلّاً لما خلق له، فالويل لمن استحب العمى على الهدى[٣].

- . . . عن صفوان، عن ابن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه، فمن علمه الله

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ٢٤٣).
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ٢٢٦).
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ١٥٧).

سعيداً لم يبغضه أبداً، وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه، ومَنْ علمه شقياً لم يحبه أبداً، وإن عمل صالحاً أحب عمله وأبغضه لما يصير إليه، فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً»[(١)].

- عن ابن العياشي، عن أبيه، عن أحمد بن أحمد، عن سليمان بن الخصيب قال: حدثني الثقة قال: حدثنا أبو جمعة رحمة بن صدقة، قال: أتى رجل من بني أُمية - وكان زنديقاً - جعفر بن محمد عليه السلام قال: . . . فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟

قال: الشريف: المطيع، والوضيع: العاصي، قال: أليس فيهم فاضل ومفضول؟ قال: إنما يتفاضلون بالتقوى.

قال: فتقول: إن ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟

قال: نعم، إني وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم، والأم حواء، خلقهم إله واحد وهم عبيده، إن الله عز وجل اختار من ولد آدم أناساً طهّر ميلادهم، وطيّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لا لأمر استحقوه من الله عز وجل ، ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواء، ألا من اتقى الله أكرمه ومن أطاعه أحبه، ومن أحبه لم يعذبه بالنار.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ١٥٧).

قال: فأخبرني عن الله عَزَّوَجَلَّ كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً؟

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب، لأن الطاعة إذا ما كانت فعلهم، لم تكن جنة ولا نار، ولكن خلق فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، واحتج عليهم برسله وقطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب وبمعصيتهم إياه العقاب.

قال: فالعمل الصالح من العبد هو فعله؟ والعمل الشر من العبد هو فعله؟ قال: العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره، والعمل الشر العبد يفعله والله عنه نهاه.

قال: أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه؟ قال: نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه.

قال: فإلى العبد من الأمر شيء؟

قال: مانهاه الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون(١).

- . . . عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إن الله عَزَّوَجَلَّ لما أخرج ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوة لكل نبي كان أول من أخذ عليهم الميثاق له بالنبوة محمد بن عبد

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٠/ ص ١٦٣).

الله ﷺ، ثم قال الله جل جلاله لآدم عليه السلام: انظر، ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملؤوا السماء فقال آدم: يا رب، ما أكثر ذريتي! ولأمر ما خلقتهم؟فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ فقال الله عزوجل: ليعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً، ويؤمنوا برسلي ويتبعوهم، قال آدم عليه السلام: فمالي أرى بعض الذر أعظم من بعض، وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور؟ قال الله عز وجل: وكذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم؛ قال آدم عليه السلام: يارب، فتأذن لي في الكلام فأتكلم؟

قال الله جل جلاله: تكلَّمْ فإن روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي.

قال آدم: يا ربِّ، لو كنت خلقتهم على مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلّة واحدة، وألوان واحدة، وأعمار واحدة، وأرزاق سواء لم يبغِ بعضهم على بعض، ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء، فقال الله جل جلاله: يا آدم، بروحي نطقت، وبضعف طبعك تكلّفت مالا علم لك به وأنا الله الخلّاق العليم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيّتي أُمضي فيهم أمري وإلى تدبيري وتقديري هم صائرون، لا تبديل لخلقي وإنما خلقت الجن والإنس ليعبدوني، وخلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك وإليهم، وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، وكذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة

والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم؛ فجعلت منهم السعيد والشقي، والبصير والأعمى، والقصير والطويل، والجميل والذميم، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة(١) ومن لا عاهة به؛ فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة(٢) فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائه(٣) فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته، فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء والضراء وفيما عافيتهم وفيما ابتليتهم وفيما أعطيتهم وفيما أمنعهم وأنا الله الملك القادر، ولي أن أُمضي جميع ما قدّرت على ما دبّرت، وإلي أن أغير عن ذلك ما شئت إلى ما شئت فأقدّم من ذلك ما أخّرت وأؤخّر من ذلك ما قدمت، وأنا الله الفعّال لما أريد، لا أُسأل عما أفعل، وأنا أسأل خلقي عما هم فاعلون»(٤).

وخلاصة هذه الأحاديث هي: إن الاختلافات في عالم الطبيعة تنسجم مع العدل الإلهي؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السَّجدَة: ٧].

---

(١) الزمانة: عدم بعض الأعضاء؛ تعطيل القوى.

(٢) العاهة: الآفة.

(٣) على بلائي فأثيبه على جزيل عطائي.

(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥/ ص ٢٢٦).

وهو إعطاء كل مستعد لما هو مستعد له وهو المعبر عنه الحق.

وأما الظلم فهو منع هذا الاستعداد (سواء كان في الخير أم الشر).

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التّوبَة: ٥١].

كتب ذلك لعلمه سبحانه وذلك الكتاب والعلم تابع لإرادتنا.

وفي ضوء ذلك إن الله سبحانه يهيئ المقدمات المطلوبة ويرفع الموانع؛ قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسرَاء: ٢٠] وقال سبحانه ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعَام: ٥٣] وفي الرواية (... إن الله عزّ وجلّ اختار من ولد آدم أناساً طهّر ميلادهم، وطيّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لا لأمر استحقّوه من الله عزّ وجلّ، ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده...)(١).

إذاً بحسب النظام الأحسن، الله سبحانه يعطي الموجودات وذلك بتهيئة المقدمات ورفع الموانع وكلٌّ بحسب استعداده؛ قال تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨] (٢).

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٠/ ص ١٧٠).
(٢) مستفاد من دروس العدل الإلهي للعلامة آية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

الملائكة من عالم الملكوت

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ٤-٥].

سؤال: الملائكة من عالمنا المشهود المحسوس أم عالم الأمر والملكوت؟

الجواب: الموجودات في عالم الإمكان تنقسم إلى:

أولاً: موجودات العالم المشهود أي الملكي

وهي موجودات لها تكاليف شرعية وكلٌّ بحسبه؛ للإنسان تكاليفه الخاصة ولباقي الموجودات تكاليفها الخاصة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

إذاً هذه الموجودات لها أوامر ونواهٍ ويترتب على ذلك جزاء وهي مخيرة في اختيار طريقها، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

إذاً عبادة الإنس والجن قائمة على أساس تشريعي، قد يطيعون وقد يعصون، والآيات عندما تذكر الإنسان تارة تذكره بالمدح وأخرى بالذم لإثبات هذه الحقيقة، ونذكر جملة من الآيات التي تصف الإنسان تارة بالذم والأخرى بالمدح:

١ - يؤوس وقنوط قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ

لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ [هود: ٩-١١].

٢ - ظلوم، قال سبحانه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٣ - خصيم مبين، قال سبحانه ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [النّحل: ٤].

٤ - عجول، قال سبحانه ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسرَاء: ١١].

٥ - مُعرض، قال سبحانه ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ [الإسرَاء: ٨٣].

٦ - أكثر جدلاً، قال سبحانه ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف: ٥٤].

٧ - يجعل لله أنداداً، قال سبحانه ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمَر: ٨].

٨ - شديد الإنكار، قال سبحانه ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عَبَس: ١٧].

ومن الآيات الدالة على تكريم الإنسان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسرَاء: ٧٠].

سؤال: كيف نجمع بين الآيات المادحة والقادحة للإنسان؟

الجواب: ما دام الإنسان في صراط العبودية فهو ممدوح وإلا يذم.

سؤال: وهل لباقي المخلوقات غير الجن والإنس تكاليف مثل الحيوان والطيور والوحوش...؟

الجواب: نعم، ويظهر ذلك من خلال الآيات والروايات ومنها:

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التّكوير: ٥] قال سبحانه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].
- وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. وفي الرواية... «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء(١) من الشاة القرناء التي نطحتها...»(٢).

إذاً كل شيء له تكاليف تشريعية في عالمنا المحسوس المشهود.

ثانياً: موجودات تذكر في الآيات والروايات دائماً بالتكريم

وهي سنخ من الموجودات لا تعصي الله سبحانه، والآيات والروايات تذكرها دائماً بالتكريم والتبجيل ومنها:

- قال تعالى: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

---

(١) جمع الأجم: الكبش لا قرن له.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٧/ ص ٩٠).

- وقال سبحانه ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التّحْريم: ٦].

هاتان الآيتان تدلان على:

عصمة هذا السنخ من الموجودات أي الملائكة.

هذا السنخ من الموجودات لها أوامر ولكنها ليست تشريعية من قبيل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعَام: ٧٢] بل هي أوامر تكوينية (أي كن فيكون).

هذا السنخ من الموجودات لا يصدر منه إلا الطاعة والانقياد لما يريده الله سبحانه وتعالى لا لأنهم مسيَّرون بل لأنهم لايريدون إلا أن يكونوا طائعين... وهذه واحدة من أهم صفات هذه الموجودات النورية.

ومن الروايات ننقل كلام سيد البلغاء والفصحاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: «وملائكة خَلَقْتَهم أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ»(١) (٢).

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٥٦/ ص ١٧٥).

(٢) (وملائكة خلقتهم أسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن أرضك) هذا محمول على الأغلب =

ومن المفسرين الذين بيّنوا حقيقة الملائكة العلامة محمد حسين

= أو المراد أنّ مسكنهم الأصلي هو السّماء، فلا ينافي كون بعضهم في الأرض لاقتضاء المصلحة والتّدبير مثل الكرام الكاتبين والمجاورين بمرقد الحسين عليه السلام ونظرائهم.
(هم أعلم خلقك بك) لتجرّدهم وبعد علومهم من منازعة النفس الأمارة التي هي مبدأ السّهو والنسيان والغفلة، فيكونون أبلغ معرفة وأكمل علماً (وأخوفهم لك) لأنّ العلم كلما كان أكمل كان الخوف آكد والخشية أشدّ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].
قال الطبرسي أي ليس يخاف الله حقّ خوفه ولا يحذر معاصيه خوفاً من نقمته إلّا العلماء الذين يعرفونه حقّ معرفته وإنما خصّ العلماء بالخشية لأنّ العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل، حيث يختصّ بمعرفة التوحيد والعدل ويصدّق بالبعث والحساب والجنّة والنّار.
(وأقربهم منك) أي من حيث الشرف والرتبة لا بالمكان والمنزلة، لتنزّهه سبحانه عن المحلّ والمكان وتقدّسه من لوازم الإمكان، وغير خفيّ أنّ تفضيلهم على غيرهم في القرب والشرف إنما هو إضافيّ لا حقيقيّ... لأنّ بعض أفراد البشر كالنبيّ والأئمة عليهم السلام أفضل منهم وأشرف....
وقوله: (لم يسكنوا الأصلاب) وما يتلوه من الجملات الثّلاث السّلبية إشارة إلى ارتفاعهم عن النقصانات البشرية، أي لم يسكنوا أصلاب الآباء (ولم يضمّنوا الأرحام) أي أرحام الأمّهات يعني لم يخالطوا المحالّ المستقذرة (ولم يخلقوا من من ماء مهين) أي ضعيف حقير (ولم تشعبهم ريب المنون) أي لم يفرّقهم حوادث الدهر، وهو إشارة إلى سلامتهم من الأمراض والأسقام البدنية العارضة للموادّ العنصرية المانعة من الاستغراق التامّ، والتّوجه الكلّي لشهود أنوار الحضرة الرّبوبية.
(وإنّهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك) يعني أنهم على ما هم عليه من القرب والزلفى (واستجماع أهوائهم فيك) أي كمال محبّتهم لك ورغبتهم وشوقهم إليك (وكثرة طاعتهم لك) بحيث لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون عن تقديسك (وقلّة غفلتهم عن أمرك) التعبير بقلّة الغفلة لمحض المشاكلة والمقابلة بكثرة الطاعة، وإلّا فلا يتصوّر في حقّهم الغفلة كما يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].
وفي دعاء الصّحيفة العلويّة السجّادية على صاحبها آلاف الصّلاة والسّلام والتحيّة في الصّلاة على حملة العرش: اللّهمّ وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ولا يستحسرون عن عبادتك ولا يؤثرون التقصير على الجدّ في أمرك ولا يغفلون عن الوله إليك. =

الطباطبائي قدّس سرّه يقول: «فمقتضى الآيات وما في معناها» من الروايات «أنهم في أنفسهم مخلوقات شريفة ووجودات طاهرة نورانية منزهة عن النقص والشين لا تحتمل الشر والشقاء وليس عندها إمكان الفساد والمعصية والتقصير(١) فلا يحكم فيها هذا النظام المادي المبني على أساس الإمكان والاختيار وجواز الصلاح والفساد والطاعة والمعصية والسعادة والشقاء جميعاً»(٢).

إذاً إذا قسنا هذه الحقيقة (الطاعة والانقياد) الدائمة التي هي من أهم صفات الملائكة بالنسبة إلى الإنسان وهو مرة يطيع وأخرى يعصي نحصل على نتيجة التالية:

يوجد في عالم الإمكان موجودات مادية ملكية لها تكاليف تشريعية مثل الإنسان والجن. . . لها طاعة وتمرد.

= فإنّ المقصود من ذلك كلّه الإشارة إلى كمال مراتبهم في صنوف العبادات والتأكيد لاستغراقهم في مقام المعرفة والمحبّة وبيان خلوّ عبوديّتهم من النقصانات اللّاحقة، فإنّ كلّاً من هذه الصّفات المنفية لو وجد كان نقصاناً فيما يتعلّق به وإعراضاً عن الجهة المقصودة.

وبالجملة فالغرض أنّ هؤلاء الملائكة الرّوحانيّات مع هذه المراتب والكمالات التي لهم (لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك) أي لو عرفوك حقّ معرفتك (لحقروا أعمالهم) علماً منهم بأنها لا تليق بحضرتك (ولزروا على أنفسهم) أي عابوها وعاتبوها لمعرفتهم بكونهم مقصّرين في القيام بوظائف عبوديّتك (ولعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ولم يطيعوك حقّ طاعتك) لظهور أنّ العبادة والطاعة إنما هي على قدر المعرفة وكلّما كانت المعرفة أكمل كانت العبادة أكمل، فعبادتهم الحالية على قدر معرفتهم الموجودة، فلو ازدادت المعرفة ازدادت العبادة لا محالة/ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة.

(١) يقول العلامة السيد كمال الحيدري: هي - أي الملائكة - مخيرة لامجبرة ولكن لاتوجد فيها دواعي الفساد ومثاله الطفل قبل البلوغ مخير ولكنه غير قادر على النكاح لعدم وجود الداعي (الشهوة).

(٢) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي - (ج ١٢/ ص ٥٠).

وموجودات من عالم الملكوت ومن مصاديقها الملائكة وهي ليست موجودات داخلة في نظام عالم التكليف وعالم المادة ومن هنا ليس لهم طاعة وتمرُّد وليس لهم جزاء جنة أو نار أو ثواب وعقاب كالذي عندنا وهذه هو الفارق الأساسي بيننا وبينهم... فهم من عالم الملكوت ونحن من عالم الملك والشهادة.

الملائكة وسائط للتدبير(١)

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القَدر: ٤].

سؤال: أيدبّر الله سبحانه وحده عالم الإمكان أم يسند بعض الأعمال إلى غيره سبحانه ومنها الملائكة؟

الجواب: عندما نرجع إلى القرآن يتضح لنا قسمان من الآيات:

الأولى: تحصر التدبير والحاكمية بالله سبحانه ومنها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ﴾ [يُونس: ٣].
- قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السَّجدَة: ٥].
- قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الرّعد: ٢].

---

(١) ينظر كتاب التوحيد ج٢ ص ٣٧٤ - ٣٨٤ لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ط٦: دار فراقد.

الثانية: تنسب التدبير إلى مخلوقاته سبحانه ومنها:

- الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

- الملائكة، قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات: ١-٥][(١)].

- الجن؛ قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٩-٤٠].

- الأسباب المادية، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

سؤال: كيف نوفق بين حصر التدبير به سبحانه وتعالى وإسناده إلى غيره؟

---

(١) إذ قيل مثلاً إنّ المراد من «النازعات» ملائكة الموت تنزع الأرواح من الأجساد، ومن «الناشطات» الملائكة التي تُخرج الأرواح من الأجساد أيضاً مع فارق أنّ «النازعات» خاصّة بالملائكة التي تنزع أرواح الكفّار من أجسادهم بشدّة، بينما «الناشطات» خاصّة بنزع أرواح المؤمنين. وقيل في «السابحات» إنّها الملائكة التي تنهض بمسؤولية الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنّة وبروح الكافر إلى النار، كما قيل في «السابقات» إنّها مطلق الملائكة لأنّها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح.

الجواب: يوجد اتجاهان لبيان ذلك:

الأول: ان الله سبحانه وتعالى تدبيره لعالم الإمكان بالغنى وبالذات والوسائط بالإذن منه سبحانه؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: ١٥] وتدبير غيره في طول التدبير الإلهي ولا يعني ذلك انتهاء ولايته سبحانه ثم تبدأ ولاية الوسائط بل ولاية غير الله سبحانه بإذن منه سبحانه وتعالى.

الثاني: إذا كان هناك نحو من الخالقية والولاية والعزّة والقدرة والحاكمية وما شابه ذلك، فهو بنحو الظهور والتجلّي، أو هو بحسب القرآن إن صحّت الصياغة لغويّاً بنحو الآيتيّة المشتقّة من قوله سبحانه: قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فُصّلَت: ٥٣].

مثال المرآة

لكي تتّضح فكرة التجلّي والظهور والآيتية نستعين بمثال يكثر استعماله في كلمات أهل المعرفة؛ استلهموه من استدلالات أهل البيت عليهم السلام، . . . نعني به مثال الصورة التي تنعكس في المرآة. ففي مثال الصورة المرآتية التي تعكس صاحبها من الواضح أنّ الصورة التي في المرآة غير صاحبها وهي ليست عينه، لكنّها في الوقت ذاته هي آية وعلامة دالّة على صاحبها وليست شيئاً بإزاء صاحب الصورة. بمثال آخر: إذا وضعت ناراً أمام المرآة فستبدو الصورة المرآتية وكأنّها جامعة لكلّ الخصائص الموجودة للنار الحقيقيّة، لكن من دون أن يكون هناك شيء بداخل المرآة، بل هي تعكس النار الخارجية وحسب، لا أنّ في داخل المرآة ناراً أخرى أيضاً.

هذا هو في الحقيقة الفارق بين السراب ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩] وبين الآية؛ فإنّ السراب خيال ووهم لا واقع له، بعكس الآية فإنّها حقيقة، لكن لا في نفسها، وإنّما هي تعكس حقيقة أخرى ثابتة لله سبحانه، فالسراب كاذب بيدَ أنّ الآية صادقة في كلّ ما تحكيه عن خصائص ذي الآية.

وهذا هو معنى الآية والتجلّي بحسب الاستعمال القرآني: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فُصّلَت: ٥٣] أو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

إذاً: الملائكة من أعمالها أنها وسائط تدبير في مجالات مختلفة من الحشر والنشر والعذاب والرحمة والوحي...

سؤال: إذا كانت الملائكة وسائط في التدبير ألا يتنافى مع ما يظهر من آيات قرآنية أخرى على أنّ بعضهم أو جميعهم مداومون على عبادة الله وتسبيحه والسجود له، كما في قوله سبحانه:

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]؟

الجواب: يمكن الجمع بين التدبير وبين مداومة العبادة... وذلك لجواز أن تكون عبادتهم وسجودهم وتسبيحهم عين عملهم في التدبير وامتثالهم الأمر الصادر عن ساحة العزّة والجلال بالتوسّط.

نتيجتا الموضوع

تدبير عالم الإمكان بيد الله سبحانه وهو مقتضى التوحيد على مستوى الذات والصفات والأفعال.

إسناد بعض التدبير إلى غيره سبحانه هو مظهر وآية لتدبير الله عزّوجلّ على نحو الظهور والتجلي.

تفاضل الملائكة

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القَدر: ٤].

سؤال: الملائكة في درجة واحدة من القرب الإلهي أم هم في درجات؟

الجواب: عندما نرجع إلى القرآن الكريم ونتأمل فيه نجد الإشارة والإفصاح عن تفاوت الملائكة ودرجاتهم في القرب الإلهي بشكل واضح.

ومن الآيات الدالة على ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصَّافات: ١٦٤].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير: ١٩-٢١].

سؤال: ما هو الدليل على أن الرسول في الآية هو الملك؟

الجواب: بقرينة قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فَاطِر: ١].

بعد أن ثبت أن المقصود من الرسول هو الملك نرجع لبيان المفردات:

- ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصّافات: ١٦٤]: أي لكلّ واحد من الملائكة مقام معيّن ومشخّص ليس له أن يتعدّاه(١).
- ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [التّكوير: ٢٠]: أي شديد القوة.
- ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التّكوير: ٢٠]: أي ذو مكانة عند الله تعالى ذي مكانة.
- ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التّكوير: ٢١]: أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة أمين على الوحي.

سؤال: ما هو المقصود من المكانة ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التّكوير: ٢٠]؟

الجواب: قلنا المكانة أي القرب الإلهي وهو المعنوي وهو القرب من حيث الكمالات الوجودية أي التحقق بالصفات والأسماء الإلهية ومثاله إذا فرضنا أن هناك موجوداً له مئة من الكمالات فالذي له سبعون من تلك الكمالات هو أقرب من الذي له ستون...

سؤال: هل يوجد ملائكة مقربون لهم أعوان وأمرهم مطاع؟

الجواب: يظهر من الآيات والروايات ان هناك مجموعةً من الملائكة مقربين ولهم أعوان في غاية الطاعة ومنهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح... على سبيل المثال الله سبحانه يصف

(١) تفسير الأمثل لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ذيل الآية ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤].

قبض الأرواح بواسطة ملك الموت وأعوانه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١] وعن أعوانه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعَام: ٦١].

ومن الروايات الدالة على تفاوت درجات الملائكة ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «وإنّ لله ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة، وإنّ لله ملائكة سجداً إلى يوم القيامة»(١).

إذاً لكل ملك مقام وقرب... وفي هذا المقام يقول العلامة الطباطبائي قدّس سرّه(٢): والذي يعطيه التدبر في الآيات التي تذكر شأن الملائكة أن بين الملائكة تقدماً وتأخراً من حيث مقام القرب، وأن للمتأخر التبعية المحضة لأوامر المتقدم بحيث يكون فعل المتأخر رتبة، عين فعل المتقدم، وقوله عين قوله نظير ما نشاهده ونذعن به من كون أفعال قوانا وأعضائنا عين أفعالنا من غير تعدد فيه تقول: رأته عيناي وسمعته أذناي، ورأيته وسمعته، ويقال: فعلته جوارحي وكتبته يدي ورسمته أناملي وفعلته أنا وكتبته أنا، وكذلك فعل المتبوع من الملائكة فعل التابعين له المؤتمرين لأمره بعينه، وقوله قولهم من غير اختلاف، وبالعكس كما أن فعل الجميع فعل الله سبحانه وقولهم قوله، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فنسب التوفي إلى نفسه، وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

---

(١) بحار الأنوار، المجلد ٥٩، صفحة ١٧٤ - حديث ٤.

(٢) تفسير الميزان لآية الله العظمى محمد حسين الطباطبائي في ذيل الآية ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، فنسبه إلى ملك الموت، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، فنسبه إلى جمع من الملائكة.

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١١-١٦].

الخلاصة

- التفاضل بين الملائكة بحسب قربهم من الله تعالى وهذا القرب معنوي بحسب درجات كمالهم وبعبارة أخرى بحسب التحقق بصفات الله وأسمائه.
- المتقدم من الملائكة يكون آمر والمتأخر مأمور ومطيع.
- أمر المتقدم هو عين أمر الله سبحانه وتعالى ولهذا تجد المأمور مطيعاً بكل ما للكلمة من معنى، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

الملائكة في القرآن الكريم

الملائكة في القرآن الكريم(١)

تعرّض القرآن الكريم كثيراً لذكر الملائكة، فقد تحدّثت آيات عديدة عن صفات، خصائص، مأموريات، ووظائف الملائكة. حتّى إنّ القرآن الكريم جعل الإيمان بالملائكة مرادفاً للإيمان بالله والأنبياء والكتب السماوية، ممّا يدلّل على أهميّة هذه المسألة الأساسية.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وممّا لا شكّ فيه أنّ وجود الملائكة من الأُمور الغيبية التي لا يمكن إثباتها بتلك الصفات والخصائص إلّا بالأدلّة النقلية، ويجب الإيمان بها على أنّه إيمان بالغيب.

وبالجملة يطرح القرآن الكريم خصائص الملائكة كما يلي:

١ - الملائكة موجودات عاقلة لها شعور، وهم عباد مكرمون من عباد الله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

٢ - مطيعون لأوامر الله ولا يعصونه أبداً: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

---

(١) تفسير الأمثل - لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي: ذيل تفسير الآية واحد من سورة فاطر.

٣ - الملائكة دائمو التسبيح والتقديس لله سبحانه وتعالى قال تعالى؛ ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشّورى: ٥].

٤ - وبناءً على أنّ الإنسان بحسب استعداده للتكامل يمكنه أن يكون أعلى مقاماً وأشرف موضعاً من الملائكة فقد سجدت الملائكة بدون استثناء لخلق آدم، وعدّوا آدم معلّماً لهم؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣١-٣٤].

٥ - إنّ الملائكة يظهرون بصورة الإنسان للأنبياء وغير الأنبياء، كما في قصة حمل مريم بعيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

٦ - كذلك يذكر القرآن الكريم تجلّيهم بصورة إنسان لإبراهيم ولوط عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ

﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: ٦٩-٧٧]، كما أنّه يستفاد من أواخر تلك الآيات أنّ قوم لوط أيضاً رأوهم بتلك الصورة الإنسانية السوية قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هُود: ٧٨].

سؤال: أذلك الظهور بالشكل الإنساني، له واقع عيني، أم هو بصورة تمثّل وتصرّف في قوّة الإدراك؟

الجواب: ظاهر الآيات القرآنية يشير إلى المعنى الأوّل، وإن كان بعض من كبار المفسّرين قد اختار المعنى الثاني.

يستفاد من الروايات أنّ أعداد الملائكة كثيرة بحيث إنّه لا يمكن مقايسة أعدادهم بالبشر بأي شكل من الأشكال، فحينما سئل الإمام الصادق عليه السلام: الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ قال: «والذي نفسي بيده، لَملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجرة ولا مدر إلّا وفيها ملك موكّل بها يأتي الله كلّ يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلّا ويتقرّب كلّ يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً»[1].

٧ - الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتزوجون، فقد ورد عن الإمام

(١) بحار الأنوار، الجزء ٥٩، صفحة ١٧٦ حديث ٧.

الصادق عليه السلام في حديث طويل قوله: «إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنّما يعيشون بنسيم العرش»(١).

- لا ينامون ولا يضعفون ولا يغفلون، ففي الحديث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام «وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك، فليس فيهم فترة ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك بك، . . . ولا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأصلاب ولم تضمّهم الأرحام»(٢).
- إنّ لهم مقامات، ومراتب متفاوتة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [**الصافات**: ١٦٤-١٦٦].
- وكذلك نقرأ في الحديث المذكور عن الإمام الصادق عليه السلام: «وإنّ لله ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة، وإنّ لله ملائكة سجداً إلى يوم القيامة»(٣).

إنّ لهم وظائف مهمّة وكثيرة التنوّع كلّفوا بها من قبل الباري عزّ وجلّ ومنها:

- مجموعة تحمل العرش؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [**الحاقّة**: ١٧].

سؤال: ما معنى العرش والكرسي؟

---

(١) المصدر السابق، صفحة ١٧٤ - حديث ٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٥٩، ص١٧٥، ج٦.
(٣) بحار الأنوار، المجلد ٥٩، صفحة ١٧٤ - حديث ٤.

الجواب: عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما؟ فقال: العرش في وجه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه، وفي وجه آخر العرش هو العلم(١) الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع [الله] عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام (٢).

- مجموعة تدبّر الأمر؛ قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النَّازعَات: ٥].
- وأُخرى لقبض الأرواح؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ [الأعرَاف: ٣٧].
- وآخرون يراقبون أعمال البشر؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].
- مجموعة تحفظ الإنسان من المخاطر والحوادث؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعَام: ٦١].
- وأُخرى مأمورة بإحلال العذاب والعقوبة على أقوام معيّنة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العَنكبوت: ٣٣].

---

(١) يمكن أن يكون المراد بهذا العلم العلم الفعلي بقرينة قوله عليه السلام قبيل هذا: «العرش في وجه هو جملة الخلق» فهو من وجه علم ومن وجهٍ آخر معلوم لكن المستفاد من سائر الروايات الواردة في العرش أنه مرتبة من الوجود عالية تحيط بجل المخلوقات وهي لا تنفك عن العلم وبناء على هذا فالمراد بكونه جملة الخلق بوجه اشتماله على ما تحته من المخلوقات وانطواء المراتب الضعيفة فيه.

(٢) معاني الأخبار: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الملقب بالصدوق: باب معنى العرش والكرسي.

- وآخرون يمدّون المؤمنين حال الحرب؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].
- وأخيراً مجموعة لتبليغ رسالات الوحي وإنزال الكتب السماوية للأنبياء؛ قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وغيرها من الوظائف...

الروح في القرآن

استعمالات الروح في القرآن[(١)]

قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القَدر: ٤].

تمهيد. . . . .

يطلق القرآن لفظ (الروح) على مجموعة من الحقائق غير الجسميّة، التي لم تُبرَأ في هذه الدنيا بل جاءت من محلّ أعلى وعالم أسمى، ومن هذه الأمور روحُ الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩].

ويطلق على روح الإنسان اسم (النفس) أيضاً. ونفس الشيء هو عينه وذاته. فهذا الإطلاق هو لتبيان أنّ الروح هي حقيقة الإنسان وشخصيّته الواقعيّة فهي نفسه وذاته[(٢)]، فيما يمثّل الجسد والبدن ما يشبه الآلة واللباس لها فحسب.

وحقيقة الروح تبقى حيّة بعد أن يفنى الجسد، من هنا نرى القرآن

---

(١) هذا الفصل مقتبس من كتاب دراسات عقائدية: مركز نون للتأليف والترجمة: الطبعة: الأولى: ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ.
ملاحظة: اعتمدنا المصدر المذكور بسبب عدم توافر أبحاث أستأذنا (العلامة السيد كمال الحيدري) لهذا المقطع من سورة القدر بحسب الدروس المتوافرة لدي.

(٢) والفلاسفة عندما يعبّرون بـ(النفس) ينصرف المعنى أكثر إلى جهات تعلقات الروح الماديّة، فيعنون بالأمور النفسانية الأمور الشهوانية والبدنية، وعندما يعبرون بـ(الروح والأمور الروحيّة) فأكثر ما يعنون بها الجنبات المستقلة للروح عن البدن وعالم المادّة.

بعد أن يتحدّث عن الرفات وتلاشي الجسد نراه يرجع فيعبّر عن صاحبه بأنّه حيّ، وهذا إشارة إلى تلك الحقيقة التي بها يحيا الجسد، والتي لها بُعد وراء البدن بحيث تبقى حيّة بعد تحوّل الجسد إلى رفات.

وكذلك يصرّح القرآن: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النّحل: ٩٦]، والمراد بـ ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ هو ما نراه في عالم الطبيعة المتغيّر، حيث يتعرّض للبلى دوماً، وأمّا (مَا عِنْدَ الله) وكلّ ما له جنبة إلهيّة فلا ينفد ولا يفنى بل هو باقٍ.

استعمل القرآن الروح في معانٍ مختلفة، سنتعرض إلى ذكر هذه الموارد، ثمّ سيتبيّن لنا أنّها في الواقع تعود إلى حقيقة واحدة تصدق على عدّة أمور.

- الروحُ غيرُ الملائكة: يتحدّث بعض آيات القرآن الكريم عن الروح على أنّها أمر وحقيقة غير الملائكة، كما ورد ذلك في عدّة آيات، ففي عمّ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] ، وفي القدر ورد: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، وفي آية ثالثة ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النّحل: ٢][(١)] . . . . ففي هذه الآيات يتبيّن أن الروح ليست من الملائكة، وإلا لم يكن من المناسب ذكرها في عرضهم.

(الروح الأمين) أو (روح القدس): في مواطن أخرى، يصف القرآن

(١) وهي تدلّ على ذكر الروح في عرض الملائكة سواء كانت الباء في (بالروح) للمصاحبة - أي ينزّل الملائكة ويصاحبها الروح، أم للاستمداد - أي تتنزل الملائكة بالاستمداد من الروح والاستعانة بها.

الروح بـ (الأمين)، وبـ (القدس)، يقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وفي آية أخرى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النّحل: ١٠٢].

وفي هذه المواطن من الآيات ذهب بعضهم إلى القول بأنّ روح القدس والروح الأمين هو جبرائيل، إذ هو الذي نزل بالقرآن على النبيّ ﷺ. فيما يذهب العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان إلى أنّ ما يفهم من القرآن أنّ ثمّة مخلوقاً أو موجوداً حاملاً للقرآن إلى جوار جبرائيل، فإنّ جبرائيل وإن نزل بالوحي إلا أنّه ليس الذي يحمله.

وحامل الوحي هذا هو الذي يطلق عليه القرآن اسم روح القدس الأمين، فهو في عرض الملائكة أيضاً، وليس منهم.

- الروح توءم الوحي: ذكرت آيات أخرى الروحَ كتوءم لكلمة الوحي، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشّورى: ٥٢]، فيعبّر القرآن عن آيات القرآن بأنها روح، فهي التي أوحاها إلى النبي ﷺ. وهنا يمكن أن يقال بأن آيات القرآن هي ضربٌ من تلك الحقيقة التي اسمها (الروح)، حيث تنزل على قلبه ﷺ بتلك الحقيقة المجرّدة أولاً، ثمّ تكتسي الآيات فيما بعد الصيغة اللفظيّة.

لكن العلّامة يذهب هنا أيضاً إلى أنّها بمعنى حامل الوحي، وليست هي الوحي نفسه، والمقصود من (أوحينا): (نزّلنا)، فتكون هذه الآيات مشابهة للآيات السابقة.

- الروح لقب للمسيح: ومن الموارد التي أطلقها القرآن على الروح هو اللقب الذي اكتسبه عيسى بن مريم عليه السلام، ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى

ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: ١٧١].

- الروح تأييد للمؤمنين: كما أُطلقت كلمة الروح أيضاً في مجال تأييد المؤمنين، ففي الشريفة: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

وهنا إما أن يُقصد بهذه الروح تلك الحقيقة التي في عرض الملائكة، حيث ترسل لتأييد المؤمنين كما كانت مؤيّدة للملائكة، وإمّا أنّها بمعنى الحالة المعنوية والإلهام والقوة التي ألقيت في قلوب المؤمنين، وهذا ليس ببعيد.

- الروح مع السيدة مريم: ومن المواطن التي استخدم فيها القرآن كلمة الروح ما حدث مع السيدة مريم عليها السلام، يقول تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. فالله جلّ وعلا قد أرسل الروح متمثّلة في هيئة بشر، وهبت الحياة لعيسى من غير أب.

وليس ببعيد أن تكون الروح هذه نفس تلك الحقيقة التي ذُكرت رديفاً للملائكة.

- الروح الإنسانية: ومن الموارد ما يذكره القرآن عن الإنسان بشكل عام عندما ينبض بالحياة، فبشأن آدم عليه السلام تقول الشريفة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السَّجدَة: ٩]، وفي الحجر: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ [٢٩].

والمستفاد من مجموع الآيات أن لا اختصاص لذلك بآدم الأول.

ولا تزال هناك آيات أخرى كثيرة استخدم القرآن فيها كلمة الروح، ولكن

ما ذكرناه هو جميع الموارد التي وردت فيها الآيات، فهذه هي الموارد التي استخدمت فيها الروح في القرآن بشكل كلّي.

ونلاحظ أن هذا اللفظ كما استخدم في السور المدنيّة فإنه استخدم أيضاً في السور المكية(١).

ويسألونك عن الروح (حقيقة الروح)

ومن الآيات التي وردت فيها كلمة الروح، في الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. وردت هذه في سياق الاستفهام عن حقيقة الروح، وأجابت على ذلك بأنّ الروح (من أمر ربّي).

في البداية لا بدّ من معرفة ما هي الروح التي وقع السؤال عنها، ثمّ نشرح ما هي حقيقتها وفقاً لهذه.

اختلف المفسّرون في الروح التي وقعت محلاً للسؤال:

فذهب فريق إلى أنّها الروح التي ذُكرت بعرض الملائكة في ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ﴾ [النبأ: ٣٨] وأمثالها(٢) فوقع السؤال عنها.

وذهب فريق آخر إلى أنّ المقصود من الروح هنا القرآن نفسه، طبقاً لما ورد في آية أخرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشّورى: ٥٢]، فبمعنى أنّهم إذا سألوك عن القرآن فقل هو من أمر ربّي، أي أمر نازل من عند الله.

---

(١) كما في الآية التالية من الإسراء: و﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٢) ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

فيما ذكر فريق من المفسّرين أن المقصود هو جبرائيل. وهذا الفريق هو الفريق الذي ساوى بين الروح الأمين وروح القدس وبين جبرائيل، فالمراد معرفة ماهية جبرائيل.

وثمة مجموعة أخرى تقول بأنّ المراد من الروح هنا الروح الإنسانيّة، التي ذُكرت في الآيات من قبيل: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: ٢٩].

والرأي الأخير، وقد اختاره صاحب الميزان، يتبنّى أنّ السؤال عن الروح هنا ليس عن الروح بمعنىً خاصّ، بل عندما رأوا القرآن يذكر لفظة الروح كثيراً لم تتّضح لديهم، فسألوا عنها.

وعلى أيّ حال فإنّ الجواب قد جاءهم: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسرَاء: ٨٥]. وهو جواب واقعيّ، فما هي حقيقته، وما هي الروح؟

حقيقة الروح

تبيّن معنا أنّ القرآن يجيب السائلين عن الروح بأنّها: (من أمر ربّي). وهذا التعريف يشتمل على جزأين، فهي أمر، وهي من الله، فما معنى ذلك؟

أولاً: ما معنى أنّها من الله (تفسير نسبتها إلى الله).

إذا أردنا أن نعرّف شيئاً فتارة نعرّفه بأجزائه الذاتية أي التي يتكوّن منها، كأن نعرّف السجادة بأنّها مجموعة خيوط ملوّنة من القطن أو الصوف، ويسمّى هذا التعريف بالتعريف بالعلل الداخليّة (أي العلة المادية للشيء والعلة الصوريّة)، وأخرى نعرّف هذا الشيء بأمور خارجة

عن ذاته، كالغاية والغرض الذي وُجد لأجله، بأن نعرّف السجادة بأنّها ما يُفرش ويستفاد منه بالجلوس، كما أنّه قد نعرّفه بفاعله، كأن نقول إنّها سجادة عجميّة من صناعة أهل يزد مثلاً، ويُسمّى التعريف بالغاية أو بالفاعل تعريفاً بالعلل الخارجية (أي العلّة الغائيّة والعلّة الفاعليّة).

وليكون التعريف تامّاً فلا بدّ أن يتوافر فيه بيان العلل الداخليّة والخارجيّة، فتُذكر أجزاؤه وتُبيّن غايته وفاعله. إذا عدنا إلى التعريف الذي ذَكَرَتْهُ الآية للروح نجد أنّها عرّفتها بأنّها شيء ناشئ من الله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسرَاء: ٨٥]، فهي لم تذكر أجزاءها، لأنّها بسيطة لا أجزاء لها، ولم تبيّن غايتها، إذ ليس للروح غاية يمكن أن يعرفها السائل[1].

ثانياً: ما معنى كون الروح أمراً إلهيّاً؟

الأمر في القرآن[2] تارة يتحدّث عن (خلق الله)، وأخرى عن (أمر الله). حينما يعبّر القرآن بقوله (خلق الله) فالمنظور هو الإيجاد التدريجيّ، الذي يرتبط بعاملي الزمان والمكان، كما في خلق السموات والأرض في ستة أيام - أياً كان المقصود من الأيّام الستّة - ، وكما في تحوّلات النطفة في الرحم.

أمّا حين يعبّر بـ (أمر الله)[3] فالمقصود هو الوجود الدفعيّ، الذي لا

(١) فغاية الروح أن ترجع إلى الله، والسائل لا يعرف معنى العودة إلى الله.
(٢) يسوق هذا الكلام العلامة الطباطبائي، وهو معنى موجود في كلمات آخرين سبقوه.
(٣) يُنسب الأمر في القرآن أحياناً إلى غير الله، كنسبته إلى المتصدّين للشؤون، كما في ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقد ينسبها إلى أشياء أُخر.

محلّ للتدرّج فيه، فهو ينتسب إلى الله مباشرة من دون دخلٍ لعاملَي الزمان والمكان، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القَمَر: ٥٠]، والمقصود أنّه لا محل للزمان والتدرّج وما شاكل في أمر الله، فقوله وفعله أي ما يريده عين الوجود وعين ما يوجده، دون أن تكون هناك لُبثة انتظار أصلاً. .وقد اجتمع كلا المعنيين في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعرَاف: ٥٤].

وهكذا نفهم المراد من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسرَاء: ٨٥]، فبالإضافة إلى أنها منسوبة إلى الله وحده، فإنّها من جنس أمره، وليست من جنس خلقه كالسموات والأرض وباقي موجودات هذا العالم.

الإنسان ووجهاه الأمري والخلقي

تبيّن فيما سبق أن الروح التي ذكرنا تشمل روح الإنسان أيضاً، وهذا يعني أنّ في الإنسان، بالإضافة إلى بدنه، روحاً هي من موجودات (أمر الله)، ولذا فللإنسان جنبتان ووِجهتان وجوديّتان: الوجهة الخلقيّة والوجهة الأمريّة.

يعبّر القرآن عن الوجهة الخلقيّة بصيغة: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ [ص: ٧٢]، وعن الوجهة الأمريّة بالقول: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾ [المؤمنون: ١٤]، أو ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢].

والذي يظهر من الآيات أنّ الإنسان بعد أن يصل في خلقته التدريجيّة إلى مرحلة معيّنة فإنّه يُفاض عليه بشيء من عند الله، أي بشيء له أُفُق أرفع من هذا الأفق.

يبقى أن نشير إلى أنّ المتيقّن هو استخدام الروح الأمريّة بإزاء الإنسان دون بقيّة موجودات العالم.

النتيجة

١ - تمثّل الروح مجموعة من الحقائق غير الجسميّة، ومنها روح الإنسان التي تشكّل شخصيّته الحقيقيّة، والتي تبقى بعد فناء جسده.

٢ - تتوافر النصوص الدينيّة المختلفة، من قرآن وأدعية وأحاديث، على ذكر الروح، بحيث بلغت حدّ التواتر، ولا تترك مجالاً للشكّ فيها.

٣ - ذكر القرآن الروح في استعمالات متعدّدة، وتعود جميعها إلى حقيقة واحدة، وهي كونها مخلوقاً من نوع أمر الله.

معنى كون الروح من أمر الله مسألتان:

- فمعنى أنها أمر الله وليست خلقاً، كون إيجادها دفعياً، لا محلّ للتدرّج والزمان وما شابه فيه، بل ينتسب إلى الله ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القَمَر: ٥٠].
- ومعنى أنّها من الله كونها مُنحت نفحة إلهية تمنحها البساطة والتجرّد والبقاء.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القَدر: ٥]

السلام في ليلة القدر

قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥].

في قوله سلام وجوه:

أحدها: أن ليلة القدر، إلى طلوع الفجر سلام أي تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجاً فوجاً من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر فترادف السلام لكثرة النزول.

وثانيها: وصفت الليلة بأنها سلام، ثم يجب ألا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل في قصة العجل الحنيذ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صار نار نمرود عليه برداً وسلاماً أفلا تصير ناره تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا برداً وسلاماً! لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلاً مشوياً وهم يريدون منا قلباً مشوياً، بل فيه دقيقة، وهي إظهار فضل هذه الأمة، فإن هناك الملائكة، نزلوا على الخليل، وههنا نزلوا على أمة محمد ﷺ.

وثالثها: أنه سلام من الشرور والآفات، أي سلامة؛ وهذا كما يقال: إنما فلان حجٌّ وغزوٌ أي هو أبداً مشغول بهما، ومثله: «فإنما هي إقبال وإدبار».

وقالوا: تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات

ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام، أي سلامة ونفع وخير.

ورابعها: سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءاً.

وخامسها: أنها من أولها إلى مطلع الفجر سالمة في أن العبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر، ليست كسائر الليالي.

وسادسها: سلام هي، أي جنة هي لأن من أسماء الجنة دار السلام أي الجنة المصوغة من السلامة.

مطلع الفجر

المطلع: الطلوع يقال: طلع الفجر طلوعاً ومطلعاً، والمعنى أنه يدوم ذلك السلام إلى طلوع الفجر.

هذا ما أورده الرازي(١)...

وأما ما روي عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام ففي أصول الكافي بإسناده إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» صدق الله عزّ وجلّ أنزل القرآن في ليلة القدر إلى أن قال: سلام هي حتى مطلع الفجر» يقول: تسلم عليك يا محمد ملائكتي وروحي بسلامي من أول ما يهبطون إلى مطلع الفجر(٢).

---

(١) تفسير الرازي.
ملاحظة: اعتمدنا المصدر المذكور بسبب عدم توافر أبحاث أستأذنا (العلامة السيد كمال الحيدري) لهذا المقطع من سورة القدر بحسب الدروس المتوافرة لدي.

(٢) تفسير نور الثقلين ذيل سورة القدر.

- وعن داود بن فرقد قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [القدر: ١-٢] قال: ينزل فيها ما يكون من السنة إلى السنة من موت أو مولود، قلت له: إلى من؟ قال: إلى من عسى أن يكون؟! ان الناس في تلك الليلة في صلاة دعاء ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل نزول الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها من كل أمر سلام هي له إلى أن يطلع الفجر(١).
- وفي هذا المقام يقول العلامة آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي دام ظله(٢): (سلام هي حتى مطلع الفجر) وصف لليلة القدر بأنّها مفعمة بالخير والسلامة والرحمة حتى الصباح.

القرآن نزل فيها، وعبادتها تعادل عبادة ألف شهر، وفيها تنزل الخيرات والبركات، وبها يحظى العباد برحمة خاصّة، كما أنّ الملائكة والروح تتنزل فيها... فهي إذاً ليلة مفعمة بالسلامة من بدايتها حتى مطلع فجرها. والرّوايات تذكر أنّ الشيطان يكبل بالسلاسل هذه الليلة فهي ليلة سالمة مقرونة بالسلامة.

وإطلاق كلمة «سلام» على هذه الليلة بمعنى «سلامة» (بدلاً من سالمة) هو نوع من التأكيد كأن نقول فلانٌ عَدْلٌ، للتأكيد على أنّه عادل.

وقيل: إنّ إطلاق كلمة (سلام) على تلك الليلة يعني أنّ الملائكة تسلّم باستمرار على بعضها أو على المؤمنين، أو أنّها تأتي إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته المعصوم، تسلّم عليه.

---

(١) المصدر.

(٢) تفسير الأمثل ذيل سورة القدر.

ومن الممكن أيضاً الجمع بين هذه التفاسير.

إنّها - على أي حال - ليلة ملؤها النور والرحمة والخير والبركة والسلامة والسعادة من كلّ الجهات.

وسئل الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام عمّا إذا كان يعرف ليلة القدر، قال: «كيف لا نعرف والملائكة تطوف بنا فيها!».

وجاء في قصّة إبراهيم عليه السلام أنّ عدداً من الملائكة جاءت... وسلمت عليه، وفي الرّواية أنّ إبراهيم أحسّ بلذة من سلام الملائكة لا تعدلها لذّة، إذاً، فأيُّ لذّة وبركة ولطف في سلام الملائكة على المؤمنين وهي تتنزل في ليلة القدر!!

علاقة سورة القدر بالزهراء عليها السلام

والإمام المهدي عجّل الله فرجه

علاقة سورة القدر بالزهراء عليها السلام والإمام المهدي عجل الله فرجه

عوداً على بدء... قلنا إن السورة لها علاقة بأهل البيت عليهم السلام وتعرّفنا بعضَ مقاماتهم عليهم السلام من خلال الأبحاث السابقة والآن نسأل هذا السؤال: هل هناك روايات أخرى تبين ذلك؟

الجواب: من خلال مراجعة الروايات الصادرة عن النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم يتبين لنا وبوضوح أن سورة القدر جاءت لبيان مقامات أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً علاقتها بالزهراء عليها السلام وبالإمام المهدي الموعود عجّل الله فرجه... :

أولاً: علاقة سورة القدر بفاطمة الزهراء عليها السلام [(١)]

في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار[(٢)] عن تفسير فرات الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام سر الوجود: السيد عادل العلوي.
(٢) بحار الأنوار ٤٢: ١٠٥.

الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى.

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القَدر: ١]، الليلة فاطمة الزهراء والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها.

- عن زرارة عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدّر الله فيها؟ قال: لا توصف قدرة الله إلّا أنّها قال: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: ٤]، فكيف يكون حكيماً إلّا ما فرق! ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنّه يحدث ما يشاء، وأمّا قوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القَدر: ٣]، يعني **فاطمة** عليها السلام، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ [القَدر: ٤] والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمّد عليهم السلام، «والروح روح القدس وهو في فاطمة عليها السلام» ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ﴾ [القدر: ٤-٥] يقول من كلّ أمر مسلّمة ﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القَدر: ٥] يعني حتّى يقوم القائم عليه السلام [(١)].

- قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر: وأمّا تأويله عليه السلام ليلة القدر بفاطمة عليها السلام فهذا بطن من بطون الآية، وتشبيهها بالليلة إمّا لسترها وعفافها، أو لِما يغشاها من ظلمات الظلم والجور، وتأويل الفجر بقيام القائم بالثاني أنسب، فإنّه عند ذلك يسفر الحقّ، وتنجلي عنهم ظلمات الجور والظلم، وعن أبصار الناس أغشية الشبه فيهم،

---

(١) البحار ٢٥: ٩٧.

ويحتمل أن يكون طلوع الفجر إشارة إلى طلوع الفجر من جهة المغرب الذي هو من علامات ظهوره، والمراد بالمؤمنين هم الأئمة عليهم السلام وبيّن أنّهم إنّما سمّوا ملائكة لأنّهم يملكون علم آل محمّد عليهم السلام ويحفظونها ونزولهم فيها كناية عن حصولهم منها موافقاً لما ورد في تأويل آية سورة الدخان أنّ الكتاب المبين أمير المؤمنين عليه السلام والليلة المباركة فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدّخان: ٤] أي حكيم بعد حكيم وإمام بعد إمام.

وقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [القدر: ٤-٥] على هذا التأويل هي مبتدأ، وسلام خبره، أي ذات سلامة، ومن كلّ أمر متعلّق بسلام، أي لا يضرّها وأولادها ظلم الظالمين، ولا ينقص من درجاتهم المعنوية شيئاً، أو العصمة محفوظة فيهم فهم معصومون من الذنوب والخطأ والزلل إلى أن تظهر دولتهم ويتبيّن لجميع الناس فضلهم[1].

- ويقول العلامة آية الله العظمى السيد عادل العلوي هذا وقد ذكرت في رسالة فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر أربعة عشر وجه شبه بين فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام وبين ليلة القدر، وإجمالها كما يلي:

١ - ليلة القدر وعاء زماني للقرآن الكريم وفاطمة الزهراء وعاء مكاني.

٢ - ليلة القدر يفرق فيها كلّ أمر حكيم، كذلك الزهراء عليها السلام فهي الفاروق بين الحقّ والباطل.

٣ - ليلة القدر معراج الأنبياء لكسب العلوم والفيوضات الإلهيّة، كذلك

(١) المصدر.

فاطمة الزهراء فهي مرقاة النبوّة ومعرفتها معراج الأنبياء.

٤ - ليلة القدر هي خير من ألف شهر، كذلك تسبيح فاطمة الزهراء تجعل كلّ صلاة بألف صلاة وبمحبّتها تضاعف الأعمال كليلة القدر.

٥ - ليلة القدر ليلة مباركة، ومن أسماء فاطمة الزهراء (المباركة) عليها السلام.

٦ - علوّ شأن ليلة القدر ومقامها الشامخ بين الليالي، كذلك الزهراء، وأنّه لولاها لما خلق الله محمّداً وعليّاً عليهما السلام كما ورد في الخبر الشريف.

٧ - العبادات في ليلة القدر تضاعف كرامةً لها، كذلك حبّ الزهراء عليها السلام يوجب تضاعف الأعمال، وإذا كانت ليلة القدر منشأ الفيوضات الإلهيّة، فكذلك الزهراء والتوسّل بها.

٨ - القرآن هو النور ونزل في ليلة القدر ليلة النور، وفاطمة هي النور فهي ليلة القدر كما في تفسير آية النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: ٣٥].

٩ - ليلة القدر ليلة السعادة، وفاطمة سرّ السعادة.

١٠ - تقدّست ليلة القدر وما قبلها من الأيام والليالي وما بعدها كرامةً لها وتعظيماً لمقامها، كذلك الزهراء يحترم ذرّيتها ويقدّسون عند الأُمّة كرامةً لها وحبّاً بها ولغير ذلك.

١١ - ليلة القدر ليلة الخلاص من النار والعتق من جهنّم، كذلك فاطمة تفطم شيعتها من النار وتلتقطهم من المحشر كما تلتقط الدجاجة حبّات القمح.

١٢ - ليلة القدر سرّ من أسرار الله، وكذلك الزهراء عليها السلام فهي من سرّ الأسرار.

١٣ - ليلة القدر سيّدة الليالي، وفاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة النساء.

١٤ - لقد جُهل قدر ليلة القدر، وكذلك فاطمة الزهراء بنت الرسول عليها السلام فقد جهل الناس وما زالوا قدرها، كما أنّها مجهولة القبر إلى ظهور ولدها القائم من آل محمّد عليهم السلام.

ثانياً: علاقة سورة القدر بالإمام المهدي القائم عجل الله فرجه[1]

إن فهم علاقة سورة القدر بالإمام (عجل الله فرجه) يتضح من خلال فهم تفسير تلك السورة، ويتضح ذلك بما يلي:

أولاً: هناك مجموعة من المفسرين يرون استناداً إلى مجموعة من الروايات أن المراد بمطلع الفجر هو ظهور المهدي عليه السلام.

- ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يذكر تفسيراً لقوله تعالى: «بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر»: يعني حتى يخرج القائم[2].
- وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام في حديثه عن سورة القدر قال: وإنه ليحدث ذلك إليك كإحداث النبوة. ولها نور ساطع في قلبك وقلوب أوصيائك إلى مطلع فجر القائم عليه السلام [3].

(١) مقتبس من موسوعة الأسئلة العقائدية الإلكترونية: قسم الإمام المهدي عجل الله فرجه.
(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ج٥ ص٥٠٢.
(٣) انظر معجم أحاديث الإمام المهدي ج٥ ص٥٠٣.

أما القمي فيقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القَدر: ٥] قال: تحية يحيّا بها الإمام إلى أن يطلع الفجر.

ثانياً: إن ليلة القدر ليلة مستمرة إلى يوم القيامة كما يوضح ذلك النبي ﷺ إلى أبي ذر بعدما سأله: يا رسول الله، ليلة القدر شيء يكون على عهد الأنبياء ينزل فيها عليهم الأمر فإذا مضوا رفعت؟ قال النبي ﷺ: لا بل هي إلى يوم القيامة.

وإن الملائكة كانت تنزل على النبي ﷺ ثم على الأئمة واحداً بعد واحد في ليلة القدر بما قدّر فيها من الآجال والأرزاق وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدب أو خير أو شر.

وإن الملائكة الآن مستمرة في النزول على الإمام الغائب من كل سنة في ليلة القدر، هكذا فسر بعض المفسرين نزول الملائكة في زمان الإمام الغائب عليه السلام استناداً إلى روايات، منها ما روي أن صاحب هذا الأمر في شغل تنزل الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها في كل أمر سلام هي له إلى أن يطلع الفجر(١).

---

(١) مستدرك الوسائل ج٧ ص٤٦٢.

التفسير الإجمالي لسورة القدر

التفسير الإجمالي لسورة القدر

بمنّه وعونه سبحانه وتعالى بعد بيان بعض الأبحاث المتعلقة بسورة القدر. . . الآن نبيّن بعض الأسرار في سورة القدر أو التفسير الإجمالي لهذه السورة المباركة **وتحت عنوان «أسرار ليلة القدر في القرآن الكريم»**[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [القدر: ١-٥].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

عندما انهمر فيض الوحي على قلب الرسول ﷺ في ليلة القدر في شهر رمضان، وتنزلت ملائكة الرحمة والروح بالقرآن، رسالة السلام، وبشير الرحمة، عندئذ خلّد الله هذه المناسبة المباركة التي عظمت في السموت والأرض، وجعلها ليلة مباركة خيراً من ألف شهر.

إنها حقاً عيد الرحمة، فمن تعرض لها فقد حظي بأجر عظيم!! فقال الله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

---

(١) تفسير (من هدى القرآن) لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي دام ظله.

وكذلك قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣-٤].

كذلك نزل القرآن كله على قلب الرسول في تلك الليلة، ثم نزل بصورة تدريجية طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، لتأخذ موقعها من النفوس، وليكون كتاب تغييرٍ يبني الرسول به أمة وحضارة، ومستقبلاً مشرقاً للإنسانية.

وكذلك قال ربنا سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ومعروف أن القرآن تنزل بصورته المعهودة في أيام السنة جميعاً، فله إذاً نزلة أخرى جملة واحدة.

والسؤال: لماذا سميت هذه الليلة بليلة القدر؟

الجواب: يبدو أن أهم ما في هذه الليلة المباركة تقدير شؤون الخلائق، وقد استنبط اللفظ منه، فهي ليلة الأقدار المقدَّرة، كما قال ربنا: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وقال بعضهم: بل لأنها ليلة جليلة القدر، قد أنزل الله فيها كتاباً قديراً، ولأن الذي يحييها يكون عند الله ذا قدر عظيم(١).

من ذا الذي يستطيع أن يدرك أبعاد تلك الليلة التي باركها الله لخلقه بالوحي، وجعلها زماناً لتقدير شؤون العالمين؟ من ذا الذي يدرك عظمة الوحي، وجلال الملائكة، ومعاني السلام الإلهي؟ إنها ليست فوق الإدراك بصورة مطلقة، ولكنها فوق استيعاب الإنسان لجميع أبعادها، وعلى الإنسان ألا يتصور أنه قد بلغ علم ليلة القدر بمجرد معرفة بعض

(١) تفسير جامع الأحكام للقرطبي، ج٢٠، ص١٣٣.

أبعادها، بل يسعى ويسعى حتى يبلغ المزيد من معانيها، وكلما تقدم في معرفتها استطاع الحصول على مغانم أكبر منها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

سبق القول من بعضهم: إن هذه الجملة وردت في القرآن لبيان أهمية الحقيقة التي تذكر بعدها.

بينما تترك الحقيقة مجملة إذا ذكرت عبارة: وما يدريك.. هكذا قالوا، وأعتقد أن كلتا الجملتين تفيدان تعظيم الحقيقة التي تذكر بعدها.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

كيف نعرف أهمية الزمان؟ أليس عندما يختصر المسافة بيننا وبين أهدافنا؟ فإذا حصلت في يوم على مليون دينار، وكنت تحصل عليه خلال عام أليس هذا اليوم خيراً لك من عام كامل؟ كذلك ليلة القدر تهب للإنسان الذي يعرف قدرها ما يساوي عمراً مديداً؛ ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر. وبتعبير أبلغ؛ ألف شهر.

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ أَجَلُ الواحد منا مسمى عند الله، وقد يكون قصيراً، قد لا يبلغ الواحد منا معشار أهدافه فيه، فهل يمكن تحدي هذا الواقع؟ نعم؛ ولكن ليس بالصورة التي يتخيلها الكثير، حيث يتمنون تطويل عمرهم، وقليل هم الذين يحققون هذه الأمنية، لأن عوامل الوفاة عديدة وأكثرها خارج عن إرادة الإنسان. فما هو إذاً السبيل إلى تمديد العمر؟ إنما بتعميقه، ومدى الانتفاع بكل لحظة منه. تصور لو كنت تملك قطعة صغيرة من الأرض، ولا تستطيع توسيعها فكيف تصنع؟ إنك سوف تبني طوابق فيها بعضها تحت الأرض وبعضها يضرب في الفضاء وقد تناطح السحب؛ كذلك عاش بعض الناس سنين معدودات

في الأرض، ولكنهم صنعوا عبرها ما يعادل قروناً متطاولة؛ مثلاً عمر رسولنا الكريم ﷺ لم يتجاوز الثلاث والستين سنة، وأيام دعوته ثلاثة وعشرون عاماً منها، ولكنها أبعد أثراً من عمر نوح المديد، بل من سني الأنبياء جميعاً.

وهكذا خص الله أمته بموهبة ليلة القدر، التي جعلها خيراً من ألف شهر، ليقدروا على تمديد أعمارهم في البعد الثالث (أي بعد العمق) ولعل الخبر المأثور عن رسول الله ﷺ يشير إلى ذلك، فقد روي أن رسول الله ﷺ أري أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألّا يبلغوا من العمر مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر(١).

وفي حديث آخر؛ أنه ذكر لرسول الله رجل من بني إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب من ذلك رسول الله عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فقال: يارب! جعلت أمتي أقصر الناس أعماراً، وأقلّها أعمالاً. فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ الذي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل شهر رمضان(٢).

إنك قد تحيي ليلة القدر بالطاعة فيكتب الله اسمك في السعداء، ويحرم جسدك على نار جهنم أبداً، وذلك بما يوفقك له من إصلاح الذات إصلاحاً شاملاً، من هنا جاء في الدعاء المأثور في ليالي شهر

(١) تفسير جامع الأحكام للقرطبي، ج٢٠، ص١٣٣.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦١٥.

رمضان مجموعة من البصائر التي تتحول بتكرار تلاوتها إلى أهداف وتطلعات يسعى نحوها المؤمن بجد ومثابرة، ويجتهد في طلبها من ربه.

(اللهمّ أعطِني السعةَ في الرزق، والأمنَ في الوطن، وقرةَ العين في الأهل والمال والولد، والمقامَ في نعمك عندي، والصحةَ في الجسم، والقوةَ في البدن، والسلامةَ في الدين، واستعملني بطاعتك وطاعةِ رسولك محمد ﷺ أبداً ما استعمرتني، واجعلني من أوفر عبادك عندك نصيباً في كل خير أنزلته وتنزله في شهر رمضان في ليلة القدر)[1].

وهكذا ينبغي أن يكون هدفك في ليلة القدر تحقيق تحول جذري في نفسك، تحاسب نفسك بل تحاكمها أمام قاضي العقل، وتسجّل ثغراتها السابقة، وانحرافاتها الراهنة، وتعقد العزم على تجاوز كل ذلك بالندم من ارتكاب الأخطاء، والعزم على تركها والالتجاء إلى الله ليغفر لك ما مضى ويوفقك فيما يأتي.

وقد جاء في تأويل هذه الآية: أنها نزلت في دولة الرسول التي كانت خيراً من دول الظالمين من بني أمية، حيث نقل الترمذي عن الحسن بن علي عليه السلام: (أن رسول الله ﷺ أري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يعني نهراً في الجنة، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١-٣] يملكها بعدك بنو أمية)[2]،

(١) كلمات من دعاء أبي حمزة الثمالي المأثور لأسحار شهر رمضان، انظر مفاتيح الجنان، ص١٩٦.
(٢) تفسير جامع الأحكام للقرطبي، ج٢٠، ص١٣٣.

وكانت حكومة بني أمية ألف شهر لا تزيد ولا تنقص، وهكذا فضيلة حكومة العدل وأثرها العظيم في مستقبل البشرية أكثر من ألف شهر من حكومة الجور.

سؤال: لماذا أمست ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟

الجواب: لأنها ملتقى أهل السماء بأهل الأرض، حيث يجددون ذكرى الوحي، ويستعرضون ما قدّر الله للناس في كل أمر، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَآئِكَةُ﴾ والكلمة أصلها تتنزّل، وصيغتها مضارع تدل على الاستمرار، فنستوحي منها أن ليلة القدر لم تكن ليلة واحدة في الدهر، وإنما هي في كل عام مرة واحدة، ولذلك أمرنا النبي ﷺ بإحيائها.

فقد جاء في الأثر عن رسول الله ﷺ أنه لما حضر شهر رمضان - وذلك في ثلاث بقين من شعبان - قال لبلال: «نادِ في الناس» فجمع الناس، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس؛ إن هذا الشهر قد خصكم الله به، وحضركم، وهو سيد الشهور، ليلة فيه خير من ألف شهر)[١].

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابن العباس: «إن ليلة القدر في كل سنة وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله. فقال ابن عباس: من هم؟ قال عليه السلام: (أنا وأحد عشر من صلبي)[٢].

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦١٨.
(٢) المصدر، ص٦١٩.

معنى الرُّوحُ

سؤال: (وَالرُّوحُ) ما هو الروح؟ أهو جبرائيل عليه السلام أم هم أشراف الملائكة؟ أم هم صنف أعلى منهم وهم من خلق الله، أم هو ملك عظيم يؤيِّد به اللهُ أنبياءه؟

الجواب: استفاد بعضهم من الآية التالية:

- أن الروح هو جبرئيل عليه السلام، حيث قال ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].
- واستظهر بعضهم من الآية التالية، أن الروح هي الوحي، فإن الملائكة يهبطون في ليلة القدر به؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وجاء في حديث شريف ما يدل على أن الروح أعظم من الملائكة، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل هل الروح جبرئيل عليه السلام؟ فقال: جبرئيل من الملائكة، والروح أعظم من الملائكة، أليس أن الله عز وجل يقول: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] [(١)]. وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] مما يدل على أن الروح هو ما يؤيد الله به أنبياءه.

خلاصة الآراء لتفسير الروح

ويبدو أن الروح خلق نوراني عظيم الشأن عند الله، وأن الله ليس

(١) تفسير نمونة، ج٢٦، ص١٨٤ نقلاً عن تفسير البرهان، ج٤، ص٤١٨.

يؤيد أنبياءه عليهم السلام به فقط، وإنما حتى الملائكة - ومنهم جبرائيل - يؤيدهم به. وبهذا نجمع بين مختلف الاحتمالات والأدلة، والله العالم.

﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾

عظيمة تلك الليلة التي تتنزّل الملائكة فيها، وعظيمة لأن الأعظم منهم هو الروح يتنزّل أيضاً، ولكن لا ينبغي أن نتوجه إلى عظمة الروح بعيداً عن عظمة الخالق سبحانه، فإنهم عباد مكرمون، مخلوقون مربوبون، وليسوا أبداً بأنصاف آلهة، وليس لهم من الأمر أي شيء، ولذلك فإن تنزّلهم ليس باختيارهم، وإنما بإذن ربهم.

﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾

قالوا: معناه لأجل كل أمر، أو بكل أمر. فالملائكة - حسب هذا التفسير - يأتون لتقدير كل أمر، ولكن أليس الله قد قدر لكل أمر منذ خلق اللوح وأجرى عليه القلم؟ بلى؛ إذاً فما الذي تتنزّل به الملائكة في ليلة القدر؟ يبدو أن التقديرات الحكيمة قد تمت في شؤون الخلق، ولكن بقيت أمور لم تحسم وهي تُقدَّر في كل ليلة قدر لأيام عام واحد، فيكون التقدير خاصاً ببعض جوانب الأمور، وليس كل جوانبها. بلى؛ فالتقديرات جميع الأمور، ولكن من كل أمر جانباً.

وهكذا يكون حرف «من» للتبعيض وهو معناه الأصلي، وهو أيضاً ما يستفاد من النصوص المأثورة في هذا الحقل.

سأل سليمان المروزي الإمام الرضا عليه السلام وقال: ألا تخبرني عن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] في أي شيء نزلت؟ قال: يا سليمان؛ ليلة القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من

حياة أو موت، أو خير أو شر أو رزق. فما قدره الله في تلك الليلة، فهو من المحتوم[١].

وهكذا تختلف بصائر الوحي عن تصورات البشر، فبينما يزعم الإنسان أنه مجبور لا أثر لمشيئته في حياته يعطيه الوحي قيمة سامية، حيث يجعله قادراً على تغيير مجمل حياته؛ من سعادة وشقاء، وخير وشر، ونفع وضر.. كل ذلك بإذن الله، وعبر الدعاء إلى الله في ليلة القدر.

إن البشرية في ضلال بعيد عن حقيقة المشيئة، فهم بين من ظن أنه صاحب القرار، وقد فوّض الله الأمور إليه تفويضاً مطلقاً، فلا ثواب ولا عقاب ولا مسؤولية ولا أخلاق، وبين من زعم أنه مضطر تسوقه الأقدار بلا حرية منه ولا اختيار.

ولكن الحق هو أمر بين أمرين؛ فلا جبر لأننا نعلم يقيناً أن قرارنا يؤثر في حياتنا، أولست تأكل وتشرب وتروح وتأتي حسب مشيئتك وقرارك؟ وكذلك لا تفويض لأن هناك أشياء كثيرة لا صنع لنا فيها؛ كيف ولدت، وأين تموت، وماذا تفعل غداً، وكم حال القضاءُ بينك وبين ما كنت تتمناه، وكم حجزك القدر عن خططك التي عقدت العزمات على تطبيقها؟

نعم؛ إن الله منح الإنسان قدراً من المشيئة لكي يكون مصيره بيده، إما إلى الجنة وإما إلى النار، ولكن ذلك لا يعني أنه سيدخل الجنة بقوته الذاتية أو النار بأقدامه، وإنما الله سبحانه هو الذي يدخله الجنة بأفعاله الصالحة، أو يدخله النار بأفعاله الطالحة.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٣٠.

إذاً فالإنسان يختار، ولكن الله سبحانه هو الذي يحقق ما اختاره من سعادة وشقاء، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. وها هنا تتركز أهمية الدعاء وبالذات في ليلة القدر التي هي ربيع الدعاء، وقد تتغير حياة الإنسان في تلك الليلة تماماً، فكم يكون الإنسان محروماً وشقياً إن مرت عليه هذه الليلة دون أن يستفيد منها شيئاً.

ويتساءل بعضهم: أليس هذا يعني الجبر بذاته؟ فإذا كانت ليلة تحدد مصير الإنسان فلماذا العزم والسعي والاجتهاد في سائر أيام السنة؟!

الجواب: كلا؛ ليس هذا من الجبر في شيء، ونعرف ذلك جيداً إذا وعينا البصائر التالية:

البصيرة الأولى: يبدو أن التقدير في هذه الليلة لا يطال كل جوانب الحياة، فهناك ثلاثة أنواع من القضايا:

النوع الأول: قدر في ليلة واحدة في تاريخ الكون، فقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتدري ما معنى ليلة القدر؟ فقلت: لا يا رسول الله! فقال: إن الله تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكان فيما قدر عزّ وجلّ ولايتك وولاية الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة(١).

النوع الثاني: تقديرات تتم في السنة التي يعيشها الإنسان.

النوع الثالث: تبقى مفتوحة تخضع لمشيئة الإنسان وهي الفتنة.

مثلاً؛ أن الله يقدر للإنسان في ليلة القدر الثروة، أما كيف يتعامل الإنسان مع الثروة، أينفق منها أم يبخل بها ويطغى؟ فإن ذلك يخضع

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٢٩.

لمشيئة الإنسان وبه يتم الابتلاء. كذلك يقدر الله للإنسان المرض، أما صبر المريض أو جزعه فإنه يتصل بإرادته.

ومع ذلك؛ فإن لله البداء، إذ لا شيء يحتم على ربنا سبحانه، وقد قال سبحانه: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] وقد جاء في حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكَتَبَة إلى السماء الدنيا، فيكتبون ما يكون من قضاء الله في تلك السنة، فإذا أراد الله أن يقدِّم شيئاً أو يؤخِّره، أو ينقص أمر الملكَ أن يمحو ما شاء، ثم أثبت الذي أراد.

قلت: وكل شيء هو عنده ومثبت في كتاب؟ قال: نعم.

قلت: فأي شيء يكون بعده؟ قال: سبحان الله! ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى)[1].

هكذا تبقى كلمة الله هي العليا، ومشيئته هي النافذة، ولكن الاتكال على البداء، وتفويت فرصة ليلة القدر نوع من السذاجة، بل من السفه والخسران.

البصيرة الثانية: إن الله يقدِّر لعباده تبعاً لحكمته البالغة ولقضائه العدل، فلا يقضي لمؤمن صالح متبتّل ما يقدِّر لكافر طالح، (وما ربك بظلام للعبيد). وهكذا يؤثر الإنسان في مصير نفسه بما فعله خلال العام الماضي، وما يفعله عند التقدير في ليلة القدر، وما يعلمه الله من سوء اختياره خلال السنة. مثلاً؛ يقدر الله لطاغوت يعلم أن لا يتوب بالعذاب في هذه السنة لأنه سوف يظلم الناس خلالها، ولو افترضنا أنه وُفّق

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٣١.

للتوبة ولم يظلم الناس خلالها، فإن لله البداء في أمره، ويمحو عنه السقوط ويمدّ في ملكه، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ [الرعد: ١١].

البصيرة الثالثة: إن الناس يزعمون أن هناك أحداثاً تجري عليهم، لا صنع لهم فيها كموت عزيز، والإصابة بمرض عضال، والابتلاء بسلطان جائر، أو بالتخلف، أو بالجفاف، ولكن الأمر ليس كذلك إذ إن حتى هذه الظواهر التي تبدو أنها خارج إطار مشيئة الإنسان إنما تقع بإذن الله وتقديره وقضائه، وإن الله لا يقضي بشيء إلّا حسبما تقتضيه حكمته وعدالته، ومن عدله أن يكون قضاؤه وتقديره حسب ما يكسبه العباد، أوَلم يقل ربنا سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الرُّوم: ٤١].

وإن في ذلك لَكرامةً بالغةً لمشيئة الإنسان؛ أن يجعل الله تقديره وفق قرار ما، أليس كذلك؟[١].

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾

السلام كلمة مضيئة تغمر الفؤاد نوراً وبهجة، لأنها تتسع لما تصبو إليه النفس، وتتطلع نحوه الروح، ويبتغيه العقل، فلا يكون الإنسان في سلام عندما يشكو من نقص في أعضاء بدنه، أو شروط معيشته، أو تطلعات روحه. فهل للمريض سلام، أو للمسكين عافية، أو للحسود أمن؟ كلا؛ إنما السلام يتحقق بتوافر الكثير الكثير من نعم الله التي لو افتقرنا إلى واحدة منها فقدنا السلام. أوَلم تعلم كم مليون نعمة تتزاحم

(١) تفسير جامع الأحكام للقرطبي، ج٢٠، ص١٣٣.

على بدنك حتى يكون في عافية، وكم مليون نعمة تحيط بمجمل حياتك وتشكلان معاً سلامتها؟! وليلة القدر ليلة السلام، حيث يقول ربنا سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القَدر: ٥] حينما تنسب هذه الموهبة الإلهية إلى الزمن نعرف أنها تستوعبه حتى لتكاد تفيض منه. فالليل السلام كل لحظاته سلام لكل الأنام، كما اليوم السعيد كله هناء وفلاح، بينما اليوم النحس تتفجر النحوسة من أطرافه.

فماذا يجري في ليلة القدر حتى تصبح سلاماً إلى مطلع الفجر؟لا ريب أن الله سبحانه يغفر في تلك الليلة لفئام(١) من المستغفرين، وينقذهم - بذلك - من نار جهنم، وأي سلام أعظم من سلامة الإنسان من عواقب ذنوبه في الدنيا والآخرة!

من هنا يجتهد المؤمنون في هذه الليلة لبلوغ هذه الأمنية وهي العتق من نار جهنم، ويقولون بعد أن ينشروا المصحف أمامهم: (اللهم إني أسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأكبر، وأسماؤك الحسنى وما يخاف ويرجى أن تجعلني من عتقائك من النار)(٢).

كذلك يقدّر للإنسان العافية فيها، وإتمام نِعَم الله عليه، وقد سأل أحدهم النبي ﷺ: أي شيء نطلبه من الله في هذه الليلة؟ فأجابه - حسب الرواية - (العافية)(٣).

وقد تدخل هذه الليلة على فرد وهو من الأشقياء فيخرج منها

---

(١) الفِئَام من الناس: الجماعة.
(٢) مفاتيح الجنان، ص٢٢٥.
(٣) المصدر، ص٢٢٦.

سعيداً، أوَليست الليلة سلاماً؟ من هنا ينبغي للإنسان أن يدعو فيها بهذه الكلمات الشريفة:

اللهمّ امدُدْ لي في عمري، وأوسع لي في رزقي، وأصحَّ لي جسمي، وبلّغني أملي، وإن كنت من الأشقياء فامحُني من الأشقياء، واكتبني من السعداء، فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسَل صلواتك عليه وآله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] (١).

وفي هذه الليلة يقدِّر الله الرزق لعباده، وهو جزء من السلام والأمن، وعلى الإنسان أن يطلب منه سبحانه التوسعة في رزقه. كما يقدِّر الأمن والعافية والصحة والذرية، وكلها من شروط السلام.

حقاً؛ إن المحروم هو الذي يُحرم خيرها كما جاء في حديث مأثور عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها كانت تأمر أهلها بالاستعداد لاستقبال ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان المبارك بأن يناموا في النهار لئلا يغلب عليهم النعاس ليلاً وتقول: (محرومٌ مَن حُرم خيرَها)(٢).

وقال بعضهم: إن معنى السلام في هذه الآية؛ أن الملائكة يسلّمون فيها على المؤمنين والمتهجّدين في المساجد، وأن بعضهم يسلّم على الآخر. وقيل: لأنهم يسلّمون على إمام العصر عليه السلام وهم يهبطون عليه.

---

(١) المصدر، ص٢٣٥.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٢٣٦.

المصادر

المصادر

١ - القرآن الكريم.

٢ - آداب المتعلمين: الخواجه المحقق نصير الدين الطوسي قدّس سرّه.

٣ - الأربعون للسيد الخميني: ط٣: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.

٤ - أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت.

٥ - استفتاءات: السيد السيستاني.

٦ - استفتاءات مكتب آية الله العظمى السيد علي الخامنئي.

٧ - أعلام الهداية محمد المصطفى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم: مجمع أهل البيت عليهم السلام العالمي: ط١: ١٤٢٢هـ.

٨ - إقبال الأعمال: للعالم العابد رضي الدين علي بن سعد الدين أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس المتوفَّى ٦٦٤ هـ: ط١: مطبعة البقيع: ١٤٢٦ هـ.

٩ - بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: للعلامة المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي (١٠٣٧ - ١١١٠) هـ.

١٠ - بصائر الدرجات: للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ «الصفار».

١١ - تأويل الآيات الظاهرة: للسيد شرف الدين الحسيني الإسترآبادي: جامعه مدرسين قم، ١٤٠٩ هجري قمري.

١٢ - تفسير من هدي القرآن: لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.

١٣ - تفسير الأمثل: لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي.

١٤ - تفسير البرهان السيّد هاشم البحراني (ت١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ).

١٥ - تفسير الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (أبو عبد الله).

١٦ - تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي.

١٧ - تفسير الميزان، للعلامة محمد حسين الطباطبائي.

١٨ - تفسير مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي. .

١٩ - تفسير نمونة: جمعي از فضلا(فارسي).

٢٠ - تفسير نور الثقلين: للعلامة الخبير والمحدِّث النحرير الشيخ عبد علي بن جمعة ألعروسي الحويزي قدّس سرّه.

٢١ - تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه.

٢٢ - التوحيد: الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق).

٢٣ - جمال الأسبوع: السيّد عليّ بن موسى المعروف بابن طاووس قدّس سرّه.

٢٤ - الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

٢٥ - رباعيات الخيام: عمر الخيام.

٢٦ - رسالتان في البداء: آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي، والعلامة المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي.

٢٧ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلّامة الآلوسي البغدادي، طبعة دار إحياء التراث العربي.

٢٨ - روضة الواعظين: الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري الشهيد في سنة ٥٠٨ هـ

٢٩ - سنن ابن ماجة، تصنيف: أبي عبدالله محمّد بن يزيد ابن ماجه القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣).

٣٠ - سنن النبي الأكرم ﷺ: مجمع البحوث الإسلامية.

٣١ - شرح القيصري على فصوص الحكم: للشيخ الأكبر محيي الدِّين ابن عربي، المتوفّى ٦٣٨ هـ.

٣٢ - الشفاعة: للعلامة المحقق آية الله العظمى السيد كمال الحيدري: ٢٢١: دار فراقد: قم: ايران: ط٢.

٣٣ - شواهد التنزيل، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحذاء النيسابوري الحنفي المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الأوقاف والإرشاد الإسلامي، طهران - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٤ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.

٣٥ - الصحيح من سيرة النبي ﷺ للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي: ج ٣: ط٥ لسنة ١٤٢٧ هـ: المركز الإسلامي للدراسات.

٣٦ - صراط النجاة - استفتاءات السيد الخوئي.

٣٧ - ضياء الصالحين: محمد حسن الجوهرجي.

٣٨ - علل الشرائع: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ره المتوفى سنة ٣٨١ هـ.

٣٩ - علم الإمام، لأية الله العظمى السيد كمال الحيدري، ط٢، ١٤٣٣ هـ، دار فراقد.

٤٠ - علم اليقين في أصول الدين: المولى محسن الفيض الكاشاني.

٤١ - فاطمة الزهراء عليها السلام سر الوجود: السيد عادل العلوي.

٤٢ - فصوص الحكم، داود القيصري، تحقيق: آية الله حسن حسن زاده الآملي، بوستان كتاب قم، الطبعة الأولى ١٤٢٤.

٤٣ - فلسفة الدين، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

٤٤ - قصص العلماء للمهتدي البحراني: ط٦.

٤٥ - الكافي: لثقة الإسلام، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي من أبرز علماء الشيعة في بداية القرن الرابع الهجري: المتوفى ٣٢٩ هـ.

٤٦ - كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر، تأليف: أبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزّاز القمّي الرازي، من علماء

القرن الرابع، حقّقه العَلَم الحجّة السيّد عبد اللطيف الحسينيى الكوه كمري الخوئي، انتشارات بيدار، مطبعة خيام، قم.

٤٧ - كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، للعلّامة علاء الدِّين علي المتّقي بن حسام الدِّين الهندي، المتوفّى سنة ٩٧٥، مؤسّسة الرسالة، ١٣٩٩ هـ.

٤٨ - كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن علي الكراجي.

٤٩ - مجموعة ورام ج٢: ط١: إصدارات العتبة الحسينية المقدسة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ هـ.

٥٠ - محاسبة النفس، علي بن موسى بن طاووس (ت: ٦٦٤ هـ)، ط٣، منشورات المكتبة الرضوية، طهران.

٥١ - مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: للعلامة المولى محمد باقر المجلسي.

٥٢ - المسائل المنتخبة: الخوئي والسيستاني: الأغسال المستحبة: ط١: دار الصفوة: ٢٠٠٧.

٥٣ - مستدرك الوسائل: تأليف خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠

٥٤ - المعاد رؤية قرآنية، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

٥٥ - معجم أحاديث الإمام المهدي: العلامة الشيخ علي الكوراني.

٥٦ - المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، الطبعة الخامسة، طهران.

٥٧ - مفاتيح الجنان دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام .

٥٨ - المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٥٠٢ هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٥٩ - المقنعة: للشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد.

٦٠ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٦١ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، للعلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج٣: بيروت - لبنان.

٦٢ - منهج الصدر: آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر.

٦٣ - موسوعة الأسئلة العقائدية الإلكترونية بإشراف مكتب سماحة السيد السيستاني. : قسم الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٦٤ - موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: المؤلف: محمد الريشهري: دار الحديث للطباعة والنشر: الطبعة: الثاني، ١٤٢٥.

٦٥ - الموسوعة الرمضانية، آداب الضيافة، للسيد يوسف حلو الناجي.

٦٦ - موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي: محمد بن علي بن محمد، ت بعد: ١١٥٨ هـ.

٦٧ - نهج البلاغة، مجموعة ما اختاره الشريف الرضي من كلمات الإمام عليّ عليه السلام ، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدكتور صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة، قم: الخطبة ١٣٣ .

٦٨ - وسائل الشيعة: «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»: للمحدث الكبير والعلامة المحقق الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي من علماء الشيعة الكبار ومن فقهائهم البارزين في القرن الحادي عشر(١٠٣٣ - ١١٠٤هـ): لمؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ١٤٠٨: ط١.

٦٩ - موقع راديو طهران أهل البيت عليهم السلام.

الفهرس